

الفهرس

151	لكي لا يكون المشرق الضحية على مذبح عالم ما بعد الانسانية ريجينا صنيفر
أدب	
157	الأسطورة في الشعر العربي المعاصر: خليل حاوي أنموذجاً د. دورين نصر و د. ماريا نصر
177	هل نحن العبيد الجدد؟ زاهر العريضي
181	بين يسوع وفلسطين حليم رزوق
185	حبيبتني!! د. إلي جرجي الياس
مرصد تحولات الثقافة	
187	«صندوق هويدا السري» مسلسل يضيئ على حقبة مؤثرة من تاريخ لبنان الحديث
189	منتدى «ريشة عطر» مجلس جديد وأنشطة ثقافية متنوعة
فكر	
208	Advantages and Disadvantages of Democracy: A Comparative Analysis of Lebanon and Switzerland waseem Kaakour

رأي	
3	جورج ابراهيم عبدالله يتأمل بحل الكذبتين التهجير مدخل للحروب العنقودية... حسن حماده
فكر	
13	رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأسد يوسف الأشقر
19	هل انتهت صلاحية الأحزاب العربية؟ نبيل صالح
25	«ألغام» خطيرة في عجلة محور إقليمى منتصر سعد محيو
35	الحرب العالمية الثالثة: احتمالات وفرضيات!! د. إلي جرجي الياس
71	تعددية الأحزاب السياسية الكردية وتأثيرها على القرار السياسي (حزب العمال الكردستاني نموذجا) د. قاسم سمحات
91	فلسفة الألوان وعلاقتها بالذات الفنية والنفس البشرية د. ديمارعد
101	الأُنوثة المعنوية ومكانة المرأة في مُجتمَع المُوحّدين الدروز حسام علي نصار
123	الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط سيطرة أم تحالفات؟ د. نغم أبو شقرا

تحولات

فصلية، فكرية، ثقافية، تعنى بشؤون المشرق والمنطقة

المدير العام المسؤول: سر كيس أبو زيد

abouzeid@gmail.com

مجلة محكمة

مديرة التحرير التنفيذية: هنادي شموط

Hanadyshamout76@gmail.com

مدير العلاقات العامة: أ. زاهر العريضي

اللجنة العلمية المشرفة على تقييم الأبحاث

د. فاتن المر

د. عاطف عطية

د. علوان أمين الدين

د. زهير فياض

د. لؤي زيتوني

د. قاسم سمحات

هيئة التحرير

د. حسن حماده

أ. نصري الصايغ

أ. سليمان بختي

أ. الياس فرحات

أ. نجيب نصير

د. محمود حيدر

هاتف: 841086 (71 - 00961)

صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت - لبنان.

لبنان - بيروت - الحمرا

الإخراج الفني: ZAID MAHDI

الاشتراك السنوي - لبنان

للأفراد: 100 دولار أو ما يعادله.

للمؤسسات: 200 دولار أو ما يعادله

الاشتراك السنوي - خارج لبنان

للأفراد: 100 دولار أو ما يعادله

للمؤسسات: 200 دولار أو ما يعادله

يضاف على قيمة الاشتراك السنوي

أجور الشحن حسب كل بلد

سعر المجلة داخل لبنان \$10 أو ما يعادلها

تصدر في طبعتين من فلسطين ولبنان

مدير عام طبعة فلسطين: سعاده مصطفى أرشيد

هاتف: 0599305248

صندوق بريد: 41 جنين - فلسطين

توزيع: شركة الأوائل لتوزيع الصحف والمطبوعات

بيروت - لبنان

هاتف: 00961 - 1 - 666668 - 666314

فاكس: 00961 - 1 - 653260

المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها

جورج ابراهيم عبدالله يتأمل بحل الكذبتين التهجير مدخل للحروب العنقودية...

حسن حماده

... ودخلنا عصر الحروب العنقودية.

من أبرز ضحايا حرب الإبادة التي تنفذها «إسرائيل» بحق الفلسطينيين، في غزة وفي الضفة الغربية، ويعاونها فيها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفها الأطلسي ومن لفّ لفيها، سقوط القانون الدولي صريعاً وهذا ما قد يحدث تردّات قد تجعل العديد من مرتكبي جرم الإبادة هذه يلعنون الساعة التي شاركوا فيها في الجريمة ويترحمون على زمن ذلك القانون مع نواقصه وأحياناً مع سيئاته وما أكثرها.

فأي تنظيم للعلاقات الدوليّة ولو كان مليئاً بالسلبيات، كصكوك الانتداب التي منحتها عصبة الأمم لبريطانيا وفرنسا، الإمبراطوريتين الاستعماريّتين، يظلّ يحتوي على قدر من الإيجابية لأنه يقونن تلك العلاقات ويؤطرها ويشكل صمام أمانٍ لتجنب الحرب وإن أعطى أحياناً كثيرة مكافآت للمتصرين في الحروب. وصكوك الانتداب بحد ذاتها مثال للمكافآت.

جرت العادة أن يكون القانون الدولي ملاذاً للضعفاء، إلا أنه في أحيانٍ كثيرة يشكل مخرجاً للمعتدين والمستبدين إمّا لشرعنة عدوانهم واستبدادهم وإمّا لإخراجهم من ورطة يكونوا هم قد ورّطوا أنفسهم فيها.

إن إيجابيات القانون الدولي لها وظيفة وسلبياته لها وظيفة أيضاً.

ولقد احترق القانون الدولي في الحرب العالمية الثانية ومعها احترقت عصبة الأمم،

فقامت على أنقاضها منظمة الأمم المتحدة. واليوم، مع حرب الإبادة المتزامنة مع «الحرب الأوكرانية» يحترق القانون الدولي وقد يجرح خلفه إلى النار منظمة الأمم المتحدة.

هذه المرة سوف يفتح كل من الحريين حروباً جديدة أكثر تعقيداً من الماضي. فحرب الإبادة، ومعها التهجير الجديد للفلسطينيين كما تطرحه الولايات المتحدة ستحدث ما يمكن اعتباره «حروباً عنقودية»، تنفجر تباعاً وتُفجّر معها الجغرافيا وتعبث بالتاريخ، في رقصة تيهٍ لن تعرفِ التوقف إلاً غرقاً بالدماء وبالدموع وبالندم الفاقد لبوصلة النجاة، ما يسمح بل

ويحتم بل ويشجّع على تكرار ارتكاب الأخطاء نفسها، بل الخطايا، وبكلفةٍ مضاعفةٍ مرةً تلو مرةً، وفي كل مرةٍ، وهنا المفارقة الغريبة العجيبة، يتم توقع ... نتائج أفضل... إلهي.

الحروب العنقودية تنفجر تباعاً
وتُفجّر معها الجغرافيا وتعبث
بالتاريخ، في رقصة تيهٍ لن تعرفِ
التوقف إلاً غرقاً بالدماء وبالدموع
وبالندم الفاقد لبوصلة النجاة.

أقلّ ما يقال هو أن الولايات المتحدة

استخدمت مصر والأردن لفرض الحصار المحكم، الخانق، حول غزة المليونين ونصف المليون إنسان، من كل الأعمار مع أكثرية موصوفة للأطفال والمراهقين والشباب والشابات، مع كل ما حمّله ويحمّله الحصار من أهوال على الصعيد الإنساني انحصرت في ذاكرة التاريخ بأن الدولتين المذكورتين شكّلتا فكيّ الكماشة العربيّة حول غزة وأهلها، بلا اعتراض، ولا تملل، ولا تلوّك، على مدى خمسة عشر شهراً كان خلالها الصهيوني اللعين يغرق في عجزه عن حسم المعركة عسكرياً لصالحه فانفضح... انفضح أمام العالم حيث كانت الدعايات المروجة لتفوق جيشه العنصري السادي البربري تعمُّ الآفاق، فإذا بالحقيقة تظهر ناصعة وكذلك فشل السلاح المنتج

إسرائيلياً والذي كان يقال عنه أنه «سلاحٌ لا يقهر»، كما جيشه الصهيوني، هذا دون الحديث عن انحطاط عناصره وجبنهم الموصوف بحيث صار الغزايون الأبطال يرددون: «هذا الصهيوني يقتل (من الجو طبعاً) ولا يقاتل. إنه جبان وسراق...».

... ومع ذلك راح الحصار يطبق، أكثر فأكثر، وفكي الكماشة العربيّة يخنقان غزة وأهلها. لقد أظهرت الدولتان انضباطاً مذهلاً في تنفيذ المهمة، لكن الكماشة لم تنجح في إجبار الغزايين على الاستسلام. يا له من مشهد.

صارت «إسرائيل» تغرق، يوماً بعد يوم، في عجزها عن الحسم فيتعرض جيشها للإهانة والإذلال على يد الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين، كما يتعرض على جبهة لبنان للإهانة والإذلال من جديد، بعد ذلّ عامي 2000 و 2006، وأيضاً على يد اللبنانيين الأقحاح أصحاب الأرض الأصليين، فطلب الصهاينة من واشنطن وبإلحاح شديد التوسط لوقف إطلاق النار لتمرير خدعة هدنة الشهر الواحد من جديد بعد أن كانت قد أنقذتهم إبان حرب 1948، فكانت الهدنة وخلفياتها المخادعة مع تبدل الإدارة الأميركية وما تحدثه من عواصف رملية تُعمي بصر العرب، عديمي البصيرة أصلاً، إذ ظنوا بأن من مصلحتهم أن يثابروا في إطاعة أمر المستعمر الغربي والخضوع الكامل لمشيئته... فكان ما كان، وكان ما هو حاصل.

واشنطن اختبرت، للمرة الألف، ردود فعل الأنظمة العربية، وربما تكون قد فوجئت بدرجة الانصياع حتى في حرب الإبادة... الإبادة، الإبادة التي فجرت غضب الجماهير العربيّة الشابة فنزلت إلى الشوارع وملأت الساحات هتافات تدعو بالموت لـ«إسرائيل» وللصهيونية، ما شكل صرخات اعتراض تصدر للمرة الأولى في تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية لتشكّل صفعاتٍ متتاليةً على وجه الدكتاتورية الصهيونية المتحكمة في الغرب كلّ، بقدر ما تشكّل إيداناً بقرب بزوغ فجر الحرية في عالم ظنّ نفسه خطأً أنه حرّ فيما هو غارق في العبوديّة والذل، مستعبد من قبل

الصهيونية وعالم المال والمصارف والقوى الخفية الشريرة المنتجة لشتى أنواع الجرائم السادية. صار علم فلسطين يرمز بالنسبة إلى الأجيال الشابة إلى الحرية والعدالة وصحوة الضمير وخلص الإنسانية.

المستر واشنطن، المسنود من قِبَلِ جبهة قوية، داخل «الدولة العميقة»، والذي يمثل تياراً قوياً داخل الكتلة الصناعية العسكرية وعالم الاستخبارات والمال - المال - الأعمال... المستر واشنطن هذا، وقد تأكد من نجاح معادلة التكامل الصهيوني العربي - الإسرائيلي حتى في تنفيذ الإبادة الجارية تنفيذها وفق المعادلة الثلاثية: الحصار عربي والتمويل عربي والمطرقة إسرائيلية والضحية فلسطين... طلب، بأسلوب الأمر الذي لا مفرّ من تنفيذه، ممن يفترض أن يكونوا موضع ثقته بين العرب أن يسهموا مباشرة في تسهيل عملية تهجير ملايين الفلسطينيين من غزة ومن الضفة الى مصر والأردن ولبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية وأن تقوم «الدولة الفلسطينية» في مكان ما من بقاع العرب الشاسعة... على أمل أن يفضي ذلك، في سياق تنفيذ المخطط، إلى تفجير تلك الكيانات عبر شتى أنواع الحروب المدمرة دماراً كاملاً شاملاً، فيكتمل هدف حرب 1948 وتقوم «إسرائيل العظمى» بسواعد العرب وأموالهم ودمائهم ودموعهم.

كان يصعب عليّ رؤية ملك الأردن في المنظر الذي ظهر فيه داخل المكتب البيضاوي وهو يمثل بين يدي «السيد الأبيض»... ولا ضرورة للمزيد من التعليق. هكذا قال المستر واشنطن شكراً للأعراب الذين امتهنوا أن يقولوا له «نعم»، دائماً وأبداً «نعم»، ولا يتلفظون أمامه بعبارة «لا» إلا حين يسألهم ما إذا كانوا قد تعبوا من ترداد كلمة «نعم». هذا جزاء المتعاونين، المتكافلين، المتضامنين، مع قوى الاستعمار التي لم تتوقف ولو للحظة واحدة عن تدمير بلادنا بأيدينا... يا للمفارقة.

تخطفني تجربة التاريخ، الحاصلة في بدايات القرن العشرين، الى المقارنة بين موقفنا

في الماضي من السلطنة العثمانية وموقفنا اليوم من إيران، ففي الحالتين كان رهاننا خاطئاً، بكلّيته خاطئ، خصوصاً أن المشروع الصهيوني الغربي لا يزال هو نفسه، لم يطرأ تغيير عليه، وهو اليوم يكتمل. هذه المقارنة ستكون مادة بحثٍ وعرضٍ ومناقشة، من مختلف جوانبها على صفحات «تحوّلات».

وفي انتظار أن يفاجئنا «الأشقاء» بموقف قوي وجريء، إن هم اختاروا درب الحرية والكرامة والإنسانية والاستقلال... بديلاً عن درب العبودية المفتوح مباشرة على الجحيم... الجحيم الذي يهددنا به الوحش الساكن في البيت الأبيض فيردد

كلامه الوحش الإسرائيلي مفاخرًا

بأن لقاءهما، لقاء الوحشين، كرس

التفاهم الكامل على استئثاف العدوان

والإبادة. وهنا أيضاً نكرّر أخطاءنا التي

ارتكبتها في هدنة الشهر الواحد عام

1948. فلماذا نستمر في احترام هدنة

«مؤقتة» لا يحترمها العدو. والدليل

الأبرز والذي يدعو إلى السخرية ما

ينفذه العدو في الجنوب اللبناني تحت عنوان الهدنة بإشراف وحماية ورعاية الولايات المتحدة التي اعتبرناها «وسيطاً» و«مشفراً على الهدنة»... وذهب بنا «الذكاء» حد وصفها بـ«الوسيط النزيه».

هي لوحات من الغباء واستمراء للتبعية في ثقافة مريضة «غيبية»، وليدة مرض الطائفية - المذهبية العضال والذي أحدث عندنا تراجعاً فظيماً على مستوى قدراتنا العقلية يشكل، أي هذا التراجع، أبرز خطر فتاكٍ يهدد وجودنا بالكامل ويجولنا إلى خدم للصهيونية في إطار «وحدة الموقف العربي».

القبول بهدنة الشهرين جاء تكراراً
غيباً لهدنة الشهر الواحد عام
1948 فكانت النكبة.

بعيداً عن مسرح اللامعقول الذي تتابع فيه الصهيونية العربية دورانها العبثي
الوضيع ثمة مراقب حرّ، جرى، مخلص، إنساني، وطني، عاشق لفلسطين، نصير
للمستضعفين، لا ينحني للطغاة والمتجبرين، حرّ الضمير، حرّ الرأي، صلب
المعنويات، رقيق المعشر، مرهف الإحساس، نزيه العقل، ممسك بناصية الرجاء،
متمسك بالحق، محارب لا يستسلم، يمضي عامه الثاني والأربعين في السجن
الإنفرادي، داخل زنزانتها الضيقة اسمه يخيف الصهاينة المستبدين والطغاة وسارقي
الشعوب والطائفين ومن لف لفيفهم. اسمه جورج ابراهيم عبدالله، أحد أقدم
السجناء السياسيين في العالم، وأقدم سجين سياسي في دول «الاتحاد العجوز». وأقدم
رهينة سياسية، بعد الأميرة أوروبا ابنة ملك صومالية عهد.

لقد حوكم بتهمة جرمية من العيار الثقيل تحت عنوان «الإرهاب الدولي»، فيما هو
بريء من الجرم المنسوب إليه، وبشهادة شاهد من أهله قال السيد إيف بونيه، المدير
السابق لأحد أبرز أجهزة الاستخبارات الفرنسية أن «بقاء جورج في السجن هو قرار
سياسي غير قضائي».

فبعد أن أمضى جورج ابراهيم عبدالله 25 سنة في السجن، من دون أي مخالفة
ولو بسيطة، قرر القضاء الفرنسي إطلاق سراحه لكونه، وبشهادة كل الذين
تعاطوا معه من السجناء، سجيناً نموذجياً، «يفرض احترامه على الجميع وكلهم
يجبونه ويعجبون به ويتأثرون بلطفه واحترامه لنفسه وإخلاصه لقناعاته... فإذا
بوزارة الخارجية الأميركية تتدخل وترسل كتاباً إلى الخارجية الفرنسية بردع الدولة
الفرنسية عن إطلاق سراحه فتنصاع باريس «أم الدساتير» (كما يجلو لها أن تسمي
نفسها ويشاركها في ذلك العديد من دول العالم بدءاً بالذين تنظلي عليهم أكاذيب
«الديمقراطية وحقوق الإنسان والعالم الحر»...) وتلغي السلطة التنفيذية قرار
القضاء. (عاش مبدأ «استقلال القضاء» ومبدأ «الفصل بين السلطات» ويعود
مونتسكيو إلى قبره وهو، بالمناسبة، كان يتاجر بالعبود ويحاضر بالقانون!!!...)

وتتكرر طلبات إطلاق سراحه فيرفض القضاء، ويبقى جورج ابراهيم عبدالله في زنزانته وهو الإنسان البريء، المظلوم، ويلتزم النظام اللبناني المنحط، نظام التمييز العنصري والمعتقلات الطائفية - المذهبية الذي يدمر الدولة وينظم عملية الإفكار المتعمد للشعب ويفرض على الدولة التبعية للاستعمار... يلتزم النظام اللبناني مقاطعة المواطن اللبناني الحرّ، البريء، المظلوم، جورج ابراهيم عبدالله، ولا يطالب بإطلاق سراحه، ولا يزعم المسؤولين الفرنسيين الذين يترددون بكثرة على لبنان بسؤال ولو بسيط عن جورج ابراهيم عبدالله ولو من منطلق إنساني بحت.

وهنا تفرض الأمانة علي أن أذكر شخصية لبنانية، جريئة نزيهة مقدامة، خرقت المحظور وتوجهت الى السجن الفرنسي والتقت مطولاً بهذه القامة الإنسانية العظيمة النزيهة الراقية المناضل الأمي جورج ابراهيم عبدالله. هذه الشخصية اللبنانية هي الأستاذة الجامعية ماري كلود نجم. تمت الزيارة يوم الجمعة في 19 آذار 2021. يومها كانت ماري كلود نجم وزيرة للعدل. فعملت بما يمليه عليها ضميرها الإنساني ونزاهتها المهنية كحقوقية ومسؤوليتها الحكومية تجاه مواطن لبناني مظلوم. بصفتها وزيرة للعدل تمكنت من الحصول على موافقة من السلطات الفرنسية والتقت جورج في سجنه لمدة 3 ساعات. ثم تغيرت الحكومة اللبنانية وأعيد ملف جورج ابراهيم عبدالله الى النسيان. وسط السكوت المدوي، يصح بهاري كلود نجم القول: «ما كانت الحسنة ترفع سترها لو أن في هذه الجموع رجالاً».

إثنان، عدا عن ماري كلود نجم، قابلا جورج ابراهيم عبدالله في سجنه، عدا طبعاً عن عدد قليل من كبار المحامين الدوليين يتقدمهم ألمع الجزائريين الراحل الأستاذ جاك فيرجيس الذي بدأت علاقتي به يوم زرتة ورفيقي وصديقي الأستاذ سركيس أبوزيد في مكتبه الباريسي عام 1986 بمعية الراحل الكبير المناضل المطران إيلاريون كبوجي، مطران القدس في المنفى، للبحث في موضوع جورج ابراهيم عبدالله، وكانت الحكومة الفرنسية قد استنجدت بمطران القدس للقيام بوساطة لتهدئة الأمور حقناً

لدماء البرياء إثر تفجيرات باريس عام 1986. فأصّر مطران القدس على زيارة جورج في سجنه، فكان له ما أراد، وعقد معه جلسة كتلك التي حصلت بين البابا الراحل القديس يوحنا بولس الثاني ومحمد علي أقجه الذي حاول اغتياله. وكما فعل البابا، تعمد المطران أن يتبادل الكلام مع جورج همساً، من الشفاه إلى الأذن مباشرة كي لا تلتقط آلات التصوير حركة الشفاه فتكون السلطات قد تعرفت على مضمون الحوار. سأله المطران ما إذا كان له علاقة بالتفجيرات فنفى جورج التهمة نفيًا قاطعاً أقنع المطران. تماماً كما أكد لنا ذلك الأستاذ فرجيس.

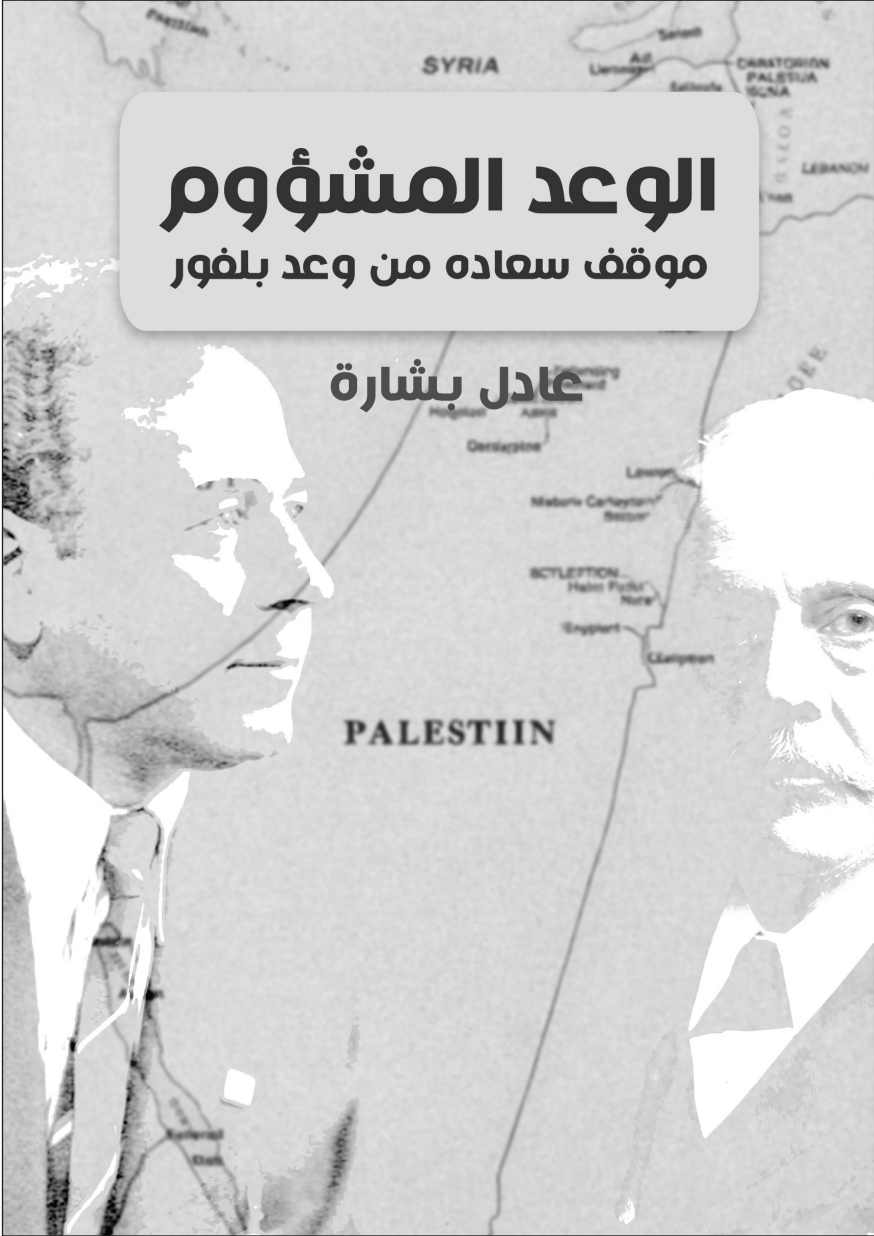
وأما الزائر الثالث لجورج، الثالث طيلة 42 عاماً، فكانت ريبا حسن العضو في البرلمان الأوروبي عن حزب «فرنسا غير المنصاعة» وهي فرنسية من أصل فلسطيني وتتعرض لأقصى الحملات العنصرية من جانب الأوساط الصهيونية بسبب دعمها الكامل لشعبها ومقاومتها للإبادة. ومطالبتها باعتقال ننتياهو وشركائه في قيادة «إسرائيل».

المطران كبوجي والوزيرة اللبنانية
المحترمة ماري كلود نجم والنائب
الأوروبي عن فرنسا ريبا حسن،
الفلسطينية الأصل، وحدهم
أصروا على تفقد سجين العصر
جورج ابراهيم عبدالله، فيما
تهرب السياسيون اللبنانيون من
مسؤولياتهم تجاه المواطن البريء
المسجون السياسي منذ 42 سنة.

أتت ريبا حسن لتؤكد تضامنها مع جورج في إطار حملة الضغط الشعبي لإطلاق سراحه بمناسبة جلسة المحكمة يوم 20 شباط 2015 والتي سوف تنطق بقبول طلب إطلاق سراح جورج أو رفضه.

سيدتان وأسقف، فقط لا غير. ثلاثة هم أمة من الناس من خيرة الناس. وجورج ابراهيم عبدالله يظل عملاقاً لا تهزه الأعاصير، يرفض العروض الخبيثة، الخسيصة،

السادية، التي تعرض عليه ثمناً وشرطاً لإطلاق سراحه ومضمون هذه العروض التي تتكرر مع اقتراب كل اجتماع للمحكمة أن يعلن عن أسفه للأحداث التي ألصقت به كذباً، وعن ندمه على ارتكابها فيما هو بريء. ما أحقر هكذا دول في حضرة عملاق كجورج ابراهيم عبدالله، يظل يحمل عذاب فلسطين في روحه وقلبه وجراحاتها في جسده ويتقدم... يتقدم في اتجاه القدس ويتأمل بألم لا ينال من عزيمته، يتأمل بمدى غباء الركض خلف حل الكذبتين، وبمحاذير الحروب العنقودية... ويتابع الكفاح حتى يكون لمروره في كوكب الأرض معنى. إنه سجين العصر وأحد عمالقة الميامين.



دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الحمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 - 113 بيروت - لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأسد

يوسف الأشقر - مفكر

هذا الكتاب المفتوح الذي وجهه المفكر والباحث والمؤرخ والسياسي العقائدي المرموق الأستاذ يوسف الأشقر إلى الرئيس السوري السابق بشار الأسد، يشكل وثيقة تاريخية بكل معنى الكلمة.

تعهد الأشقر، الذي ترأس الحزب السوري القومي الاجتماعي أربع مرات، توجيهها عبر صحيفة السفير بعد أن تبين له عدم اهتمام الرئيس بمضمونها ربما لصراحتها القاسية، بل والجارحة، إذ دعاه فيها إلى الثورة على نظامه الفاسد الذي يشكل استمراره خطراً على سوريا وعلى الأمة جمعاء. إنها بمثابة نبوءة كتبت قبل انفجار «الربيع العربي» بقليل ونشرت في السفير في أوائل الأحداث عام 2011 ما اعتبر بمثابة تحدٍ للرئيس السوري ولنظامه.

حسن حماده

سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الجزيل الإحترام.

تحية احترام وتقدير

-1-

موضوع رسالتي هو دعوة سيادتكم للقيام بثورة على النظام، لإزالة المفارقة الخطيرة بين متطلبات القضية القومية وواقع النظام. لا سيما أن هذه المتطلبات قد تضاعفت في السنوات الأخيرة لسبب مزدوج:

(1) نُشرت في جريدة السفير، 11 نيسان 2011.

تعاظم الأخطار الخارجية وتسارع وتيرة تقدمها من جهة أولى، وارتداد السياسات العربية مؤخراً على القضية بشكل سافر، بعد أن كانت في السابق مكتفية بمظهر الموقف «الحيادي» اللامسؤول، من جهة ثانية.

إنها أخطر المفارقات في حياتنا القومية الراهنة. إزالتها باتت شأنًا مصيرياً. إما أن تقوموا بثورتكم المنشودة على النظام لتغييره في صالح القضية، أو أن يتمكن المشروع الحربي العدو من الدخول علينا، من باب النظام، للإقراض على القضية.

الأسباب الموجبة للثورة على النظام تتلخص بوجهين، الفساد والعجز.

فهو فاسد ومفسد في الداخل، وقد أفسد علاقة الدولة بالمجتمع إلى حدّ الصدام. فاعتدى على الدولة والمجتمع معاً. واستنزفها معاً. وأذلمها معاً. وهو عاجز عن مواجهة التحديات الخارجية، بدليل كونه كَلَّى المعرفة بخصوصيات المواطنين، وقليل المعرفة بما يتهدد عموم الوطن. حتى بات العدو على عتبات الدار، والنظام شبه غافل. ولولا يقظة الرئيس وطليلة من رجالات الدولة ومؤسساتها العريقة ومن تيار التنوير الواعي، لما كان في الأدرج المخابراتية، التابعة للنظام، إلاّ القليل القليل من الملفات أو الدراسات أو المعلومات الدقيقة عن المشروع الحربي المتقدّم. وقد يصحّ في هذا النظام ما قاله مكيا فيلي في المرتزقة: «هم عبء وعالة على الدولة في حالة السلم، وهم عديمو الجدوى في حالة الحرب. فضلاً عن أنهم يشكلون خطراً على الدولة في جميع الحالات».

مهمة ثورتكم، الأولى، هي تحرير الدولة من النظام. ومهمتها الثانية، تحرير المجتمع. فالدولة هي الطرف الأصيل، والنظام دخيل اعتدى على الأصيل وأقعده، واختزل صورته. وعلى ثورتكم أن تعيد الحق إلى أصحابه والصورة إلى أصلها، بإلغاء الدخيل.

خصوصية ثورتكم المنشودة، وفرادتها، أنها ثورة الدولة على النظام.

وخصوصيتها الإجرائية العملية (المحكومة بالنجاح بالرغم من صعوباتها)، هي فرز ما تداخل من شؤون الدولة ومشاكل النظام، وإزالة الالتباس بين الانتماء إلى الدولة والتابعة

فكر ▶

للنظام. عندها، وعندها فقط، يتم تحرير المجتمع من النظام. أما الحيتان الجدد، فنأصو المال العام والخاص، فمصيرهم التحقيق والمحاسبة الصارمة، لمصلحة العدالة، والعدل الاجتماعي، وخزينة الدولة. ولعلّ مصداقية ثورتكم تبدأ من وضع هذه الحيتان في قبضة العدالة.

-2-

نقول بالثورة لا بالإصلاح، في ضوء خصوصية وضعنا الراهن.

فالإصلاح، هنا، يمتد في الزمان ويخضع لنواميسه، والثورة تختصر الزمن وتخضعه لناموسها. الإصلاح وعد، والثورة واقع. الإصلاح، هنا، يتمثل بتغيير القانون، والثورة تذهب إلى تغيير روح القانون وحاضنته الثقافية والأخلاقية. الإصلاح يحتمل التشكيك به، والثورة إفحام. الإصلاح يتسع للاحتتمالات والتردد، والثورة تحسم خيارها الواحد.

ما نقوله الآن في الإصلاح، يا سيادة الرئيس، هو قراءة لتجربتكم الشخصية مع هذا الموضوع في خلال السنوات الماضية. ألم يكن الإصلاح حلمكم الدائم، والتردد، من موقع النظام، كابوسكم؟ ألم تعدوا أنفسكم بالإصلاح، من ضمن النظام، قبل أن تعدوا أياً آخر، فأصابتكم الخيبة المريرة قبل أن تصيب أياً آخر؟ ألم تسهروا الليالي الطويلة مع رجالات الدولة لوضع القوانين الجديدة، لكنها لم تبصر النور مع طلوع الصباح بسبب ظلمية النظام؟

وحدها الثورة، يا سيادة الرئيس، تتلاءم مع تسارع الزمن الجديد ووتيرة التحديات الداهمة. وهي فعل حاسم وفوري، يعبر عن مصدر قوة ويؤدي إلى موقع قوة. وحدها الثورة لا تكتفي بتغيير القوانين بل تعمل على تغيير روحها وثقافتها وأخلاقية تطبيقها. تتجاوز النص إلى الجوهر.

وحدها الثورة تستعيد الثقة بالسلطة وتعزز الإيمان بالقضية، كما تكشف عن مصداقيتكم العالية ليس فقط في الحرص المبدئي على القضية، بل أيضاً في تصميمكم وقدرتكم على

تأمين شروط انتصارها. وحدها الثورة قادرة على تغيير المعادلة وصورتها، وبالتالي على تغيير موازين القوى لصالح القضية. تغيير المعادلة جذرياً من صورة نظام يرتن الدولة ورئيسها في مواجهة الشعب، إلى معادلة جديدة، متحررة من النظام، تجمع الدولة والشعب، بقيادة الرئيس، على مواجهة المشروع الحربي العدو. وهذا من شأنه أن يغيّر ميزان القوى التقليدي ويُلهم ثوراتنا العربية ويسدّد خطاها.

أنتم، يا سيادة الرئيس، الطرف الأول المعنيّ بهذه الثورة بالذات، وأنتم الجهة الوحيدة القادرة على القيام بها.

لا نقول هذا تمجيحاً للشخصكم، بل انطلاقاً من موقفكم المعزّز بموقعكم، من حيث أنكم رأس الدولة المطلوب إسقاطها، ورئيس البلاد المطلوب تدمير مجتمعتها.

ليس صحيحاً أنّ المطلوب إسقاط النظام أو إصلاحه، فالنظام يتلاءم مع متطلبات المشروع الحربي العدو. فهو ينتمي إلى النظام العربي الواحد الذي خرجتم عليه منفردين. ثم إنكم، بسبب هذا الموقف المتفرد، الحاكم العربي الوحيد الذي يتمتع بشعبية عابرة لحدود الدول العربية، المرسّمة، و«حدود» الطوائف والمذاهب المعمول على ترسيمها. ولعلّ هذا ما يقلق المشروع العدو بشكل مضاعف ويزيد في تصميمه على تركيز حربه عليكم.

من هنا، إنّ ثورتكم المنشودة على النظام هي استكمال لخروجكم على النظام العربي الواحد المشؤوم، وتعزيز قدرتكم على المواجهة.

-3-

هذه الثورة المنشودة هي قيمة في ذاتها، ومفترق طريق. لكنها قيمة لا تكتمل إلا بما يُبنى عليها، ومفترق لا يكتسب كامل معناه إلا بسلوك الطريق التي فتحتها. فتحير الدولة والمجتمع من كابوس النظام هو، في وجهه الأهمّ، سبيل لمشروع مقاومة متكامل بين الدولة والمجتمع، قادر على مواجهة المشروع الحربي العدو.

فكر ▶

نحن، يا سيادة الرئيس، لا نتعرض لمؤامرة، مجرد مؤامرة، تتراجع أو تزول إذا أحببناها، وتنتهي مهمتنا بإحباطها. نحن نواجه مشروعاً حربياً لا كالمشاريع الحربية المعروفة، لا يكتفي بالهيمنة والاستغلال، كما الكولونيالية والإمبريالية، بل يتوخى الإلغاء. عقيدته الحربية هي الحرب على المجتمعات، بتدميرها المباشر، أو بإدخالها في دوامة التدمير الذاتي. وهو يحتضن الدول التي تسهل له هذه المهمة أو تتولاها بنفسها، ويعمل على إسقاط الدول التي تمتنع وتتصدى. هذا هو دليله الأساس والوحيد.

هذا المشروع لن يتراجع، يا سيادة الرئيس، كما يزعم التضليل الأميركي-الأوروبي ورُسل الشؤم والذلل من الأنظمة العربية. إنه ينكفي على جبهة، لأيام أو أسابيع، ليطل على جهات أخرى وبوجه أخرى.

هجومه المصمّم والحاسم على سوريا (الجمهورية العربية السورية) يعود لسبب مزدوج: منه ما يختص بسوريا في ذاتها، ومنه ما يتعلق بعلاقتها بالمقاومة.

ما يختصّ بسوريا يتلخص بموقعها المركزي في أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية (وهو عامل ثابت وسبب كافٍ بذاته)، وموقفها المتفرد في العالم العربي، وتميُّز شعبها بوعيه القومي واستعداده ليصبح، بكامله، مجتمعاً مقاوماً.

أمّا ما يختص بعلاقتها بالمقاومة، فهو أيضاً سبب كافٍ بذاته. فالمقاومة، بالنسبة للمشروع الحربي العدو، هي ظاهرة خطيرة إقليمياً ودولياً، ونموذج رائد لعصر إنساني جديد يهدد مستقبل المشروع. ردعت الآلة العسكرية الإسرائيلية، فلم تمنع فقط اعتداءً، بل هددت جوهر وجود «إسرائيل» القائم على الاعتداء. وانتصرت على جيش القوة العظمى الإقليمية المدعوم بالقوة العظمى العالمية، فلم تنتصر فقط في معركة حربية، بل غيرت قوانين المؤسسة الحربية في ذاتها. ثم قدّمت نموذجاً رائداً، فلم تُلهم فقط الثورات الشعبية العربية، بل أيقظت شعوب العالم، المستضعفة، على ثقتها بنفسها وقدرتها على الدفاع عن حقها وكرامتها، فأسّست، بذلك، لعصر إنساني جديد.

من الطبيعي أن يجنّ العدو جنونه لعلاقتكم الثابتة بالمقاومة وإمكانية تطوّرها النوعي، وأن يكون شرطه الأول أو الوحيد فسخ هذه العلاقة، حتى يتاح له أن يستفرد بكم ويستفرد بالمقاومة، فيُسقط معادلة القوة الوحيدة القائمة في وجهه، ويستبق قيام معادلة أشدّ وأدهى عليه.

سيادة الرئيس؛

هذا المشروع الحربي لن يتراجع. قدّرنا أن نعرفه على حقيقته من دون أيّ التباس، وأن نواجهه، وأن نتصر عليه. ولعلّ الثورة على النظام هي الشرط الأول لاستتباع العدو ووضع أمام معادلة جديدة تُسقط مشروعه.

أرجو أن تتقبلوا، يا سيادة الرئيس، كامل اعتزازنا وثقتنا بقيادتكم.

هل انتهت صلاحية الأحزاب العربية؟

نبيل صالح - كاتب سوري

«الدكتور نبيل صالح مفكر سوري. هو أكاديمي وأستاذ جامعي وسياسي مشهود له بالاستقلالية وبطروحاته الجسورة وأفكاره المتقدمة».

حسن حماده

تأمل ألبوم صورك القديمة مع أهلك وأصدقائك فتشعر بالسذاجة مما كنت عليه، كونك أوغلت في المعرفة وازدادت خبراتك مع تغيّر العالم من حولك. وقد يضحك أولادك أو أحفادك على اللباس الذي كنت ترتديه وعلى تسريحة شعرك وشكل شاربيك.. كذلك تنظر الأجيال الجديدة إلى الجيل السابق عليها كما لو أنهم في متحف للتاريخ الوطني، ذلك أنّ الزمن يسخر من الجميع بعدما يمر عليهم.. والأمر كذلك عند الأمم، حيث تسخر تلك المتقدمة من تلك التي تأخّرت عنها في الزمن والمعرفة وتعتبرها من ألبوم الحضارات القديمة في عقلها وأديانها وعاداتها.. صوراً بالأبيض والأسود لمجتمعات تجاوزها الزمن!

أحزاب الصناديق

ولكن ماذا عن صورة الأحزاب التي مر عليها ثلاثة أو أربعة أجيال دون أن تغيّر في أيديولوجيتها التي فاتها الزمن؟! الأمر يبدو كارثياً خصوصاً في الأحزاب العربية، ومعها بالطبع الجماعات الأصولية التي ترفض كل أنواع الحداثة والديمقراطية، سوى تقنية صناديق الاقتراع التي يمكن أن توصل مرشديها إلى السلطة ليحكموا غيرهم بالإكراه، كما رأينا في العديد من تجاربهم المعاكسة لحركة الزمن..

تشير سورة الأحزاب في القرآن الكريم إلى قبائل ومجموعات العرب الوثنيين واليهود

الذين تحزّبوا ضد المسلمين. و«الحزب» أيضاً هو كل / 10 / صفحات من القرآن الكريم، حيث يُقسّم القرآن إلى ثلاثين جزءاً كل جزء يحتوي على حزبين، بمعنى أن القرآن يتكون من ستين حزباً، و«الحزب» الواحد يُقسّم إلى أثمان خاصة في قراءة قالون عن نافع.. فبعد وفاة الرسول والتنافس على إرثه نشأت سلسلة من التحالفات كل منها تدعم مرشحها للخلافة، حيث تشكل منها ما يشبه الأحزاب السياسية، إذ لم يكن الخلاف على الدين وإنما على السلطة، حسب ما وصلنا من السرديات الإسلامية. وبمرور الزمن بات لكل حزب من أحزاب السلطة ومعارضيهها نظامه الداخلي ومُنظّمه الفقيه الذي يشكل مدرسة الحزب ومنهجه طبقاً لتفسيره للنصوص المقدسة، ومن ثم تحولت كل مدرسة إلى مذهب متوارث وكيان منفصل متصل بالأمة الإسلامية. وبسبب الاختلاف على شروحات النص وتأويله انقسم المذهب الواحد إلى أجنحة يسار ويمين ووسط، حتى بات لدينا عشرات الأحزاب الإسلامية التي لم تتمكن حتى الآن من تشكيل جبهة موحدة، كما هو حال أكبر حزبين متنافرين: السنة والشيعة والأحزاب التي انشقت عنها فيما بعد.. إذاً، فالمذاهب هي أحزاب في عمقها السياسي ولكنها ملحقة باللاهوت شكلياً.

وهم «العاذل المستبد»

يقول الفيلسوف الإيطالي أمبرتو إيكو في دراسة له عنوانها (ابتكار العدو): «إن وجود العدو مهم، ليس لتحديد هويتنا فحسب؛ وإنما - أيضاً - ليوفر لنا عائقاً نقيس إزاءه قِيَمَنا، ونثبت - أثناء محاولتنا تخطيه - قيمتنا. أما في حالة عدم وجود عدو، فمن الواجب ابتكاره». وهذا يقودنا إلى أن أفضل ما حصل للعرب قد يكون غزو الأوربيين لهم، لأن هذا العدو شكل عائقاً خلق حالة من التحدي حتى يوازوه في نظامه وقوته، فتغيرت بنية التحزب الإسلامي من اللاهوتي إلى العلماني، حيث اختار منظرو الأحزاب العربية ما يناسبهم من الأيديولوجيات والفلسفات الأوروبية الحديثة، القومية والاشتراكية والليبرالية، وكان إقبال الشعوب العربية على الأحزاب الأولى قوياً كون مجاهبتهم للاستعمار الأجنبي قد وحدتهم وحيّدت عصبياتهم الدينية والإثنية لتملاً العصبية الحزبية فراغها، فكانوا أشبه

فكر ▶

بمؤنين علمانيين يتبعون رسالة ملهمهم الخالدة.. وبما أن قادة الثورات ضد الاستعمار أصبحوا زعماء بلدانهم بعد الاستقلال، فقد حملت أحزابهم سمات إسبارطية، وساعدهم أن جماهيرهم تعرف العدالة الدينية أكثر مما تفهم الديمقراطية الشعبية، كونهم نشؤوا في بيئات أبويّة مذهبية، وبالتالي كان من الطبيعي أن يشكل الأمين العام وصحابته وحوارّيوه شخصية الحزب وسيرته، فقيدوا الحرية الفردية المنفلتة عن دائرتهم وعصبيتهم الحزبية، ونبذوا الأعضاء المختلفين والمستعصين كما ينبذ المتدينون الكافرين! وكان لكل حزب جهازه العسكري والأمني الذي يحتاج إلى عداوة مع الأحزاب الأخرى لتأكيد وجوده، مثلما كان أجدادهم يقارعون أتباع المذاهب والمدارس الأخرى لتأكيد سيطرة أربابهم دون أرباب الآخرين؛ فهم ترثوا في مجتمعات مذهبية قدرية استبدادية، وواجهوا استعماراً أكثر شراسة واستبداداً، الأمر الذي أعطاهم وسم العسكرية، وسهّل لهم ممارسة الاستبداد تحت وهم «العادل المستبد»، وهكذا تخلصت الأحزاب من مثقفيها وأصحاب العقل فيها وأبقت على الأصوليين التّقليين، كأرقام يستخدمونها في كل مسرحية ديمقراطية تنتهي كما يريدون، والأمثلة كثيرة، من العراق وسورية فمصر والجزائر والسودان، أما الممالك العربية فقد نجت من الألعاب الديمقراطية واستمرت كأنظمة سلفية استبدادية بطبيعتها، ولم تقبل غير الإسلام حزباً والفقهاء منظراً والسيف حاكماً، بينما استمرت الأحزاب الدينية على نهج مذهبها القديمة مع إضافات فقهاء الظلام.

أحزاب بلا ديمقراطية

بين الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت غالبية الأحزاب في سورية والعراق ومصر ليبرالية تهيمن عليها طبقة الأعيان من الإقطاعيين والتجار، وبعد الاستقلال تشكّلت الأحزاب من نخب موظفي الدولة المحسوبين على الطبقة الوسطى، بينما غالبية جمهورها كان من طبقة العمال والفلاحين وصغار الكسبة والجنود ممن يؤمنون بأفكار المواطنة. وقد انتعشت هذه الفئات بفضل مشاريع التنمية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، بعدما ساوت دساتير الجمهوريات، نظرياً، بين الجميع في الحقوق والواجبات.. وشكّل

الحزب بعد منتصف القرن الماضي هوية الفرد العربي، وبدلاً من كونه مسلماً أو مسيحياً، سنياً أو شيعياً، كان بالدرجة الأولى قومياً أو اشتراكياً وحدوياً أو شيوعياً أو حتى وجودياً لا ينتمي إلى أية مرجعية. فتراجعت المذاهب والأديان إلى كهوفها. غير أن الأحزاب العلمانية التي شكلت حياة العرب لم تعلمهم الديمقراطية كما لم تجرؤ على تجديد الفكر الديني، إنما أضافت عصبية جديدة إلى عصبياتهم المتوارثة، وبعد مرور نصف قرن تكلّست أحزابنا وتحولت إلى أحزاب أصولية يديرها العجائز، فلم تعد قادرة على تلبية احتياجات مجتمعاتها التي تصبو إلى مستقبل لا يكونون فيه أقلّ من أعدائهم السابقين. بينما استمرت القيادات السياسية باستغلال اسم الاستعمار كعدو حاضر بالرغم من جلائه، ثم أضيفت إليها جملة العدو الإسرائيلي، حتى بالنسبة للدول البعيدة عن الكيان المحتل جغرافياً. فقد كان العداء للاحتلال الإسرائيلي محفزاً إيجابياً للأحزاب والسلطات لإشغال جمهورها عن مسائل التنمية الديمقراطية، فلم تتطور الحياة المدنية العربية بقدر ما تطورت جيوشها ومخابراتها الوطنية طرداً مع تحديات مواجهة الجيش اليهودي، فتضاعفت قوة مؤسسة الجيش حتى تجاوزت المؤسسات المدنية مجتمعة، وقفز جنرالاتها إلى سدة السلطة بدعم من الأحزاب المتنافسة، بحيث شكلت نفوراً مدنياً استغلته الجماعات «الإسلاموية» باستقطاب البسطاء من (أهل الفطرة) ليشكلوا جيوشاً مخفية داخل المؤسسات الوطنية، فأصبحوا بذلك دولة مخفية داخل الدولة الرسمية، وبات لدينا حكومات مركبة يتصارع أتباعها في الظلام معرفين تقدمنا السياسي والاجتماعي. وكذا حصل داخل المجتمع الإسرائيلي الذي ما فتئ ساسته يسعون لاستيعاب الجماعات الأصولية واستغلالها، كون عقيدتهم العسكرية قامت على أكاذيبهم التوراتية، وباتوا يغذون جمهورهم أيضاً بأيديولوجيا العداء للعرب والمسلمين، فعرقلت أساطيرهم التوراتية وعنصرتها تشكيل كيان آمن لهم، ليبقى الصراع مفتوحاً مع الفلسطينيين بمن فيهم حامو الجنسية الإسرائيلية من مسلمين ومسيحيين.

أيديولوجيات مستهلكة

بعد مرور عدة أجيال على الأحزاب لم تعد أيديولوجيات الأجداد تثير شهية الأحفاد

فكر

بعدها استهلكها السياسيون في خطاباتهم ومزاوداتهم وأكاذيبهم، بل واستغلوها بعكس ما كانت تدعو إليه، ولم يراجعوا أدبياتهم ومفاهيمهم الحزبية ومدى مواكبتها لمتغيرات الزمن فازداد انغلاقها وتراجعها. غير أن بداياتها العلمانية تركت بصمتها على مجتمعاتها التي تبنت الحداثة الأوروبية بغلاف عربي، بدءاً من مناهج التعليم والبحث العلمي وصولاً إلى أنواع الفنون والأزياء، ولكنها لم تتمكن من اختراق المجموعات المحافظة التي بقيت مغلقة على ثقافتها العثمانية المتوارثة، تستهلك منتجات الحداثة وترفضها دون استيراد العقل والثقافة التي أنتجتها.. وفعلياً فإن كل السلطات العربية، السلفية والعلمانية، كانت سياساتها استبدادية هُمُّها السيطرة أكثر من ترقية شعوبها، كونها تستند فعلياً إلى الجيش والأمن، وبالتالي ظلت مجتمعاتها خارج مضمار السباق الأُمِّي!؟

ويجمع المراقبون اليوم أنه «لم يعد للأحزاب في البلدان العربية أي صوت، ولم تعد ذات فاعلية، وباتت تفتقد لأي حامل اجتماعي، أو جماهيري لها حتى غدت مجرد ديكور في الحياة السياسية العربية»؛ بالرغم من التحديات التي تواجهها المنطقة في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية حيث نشهد اليوم انقلاباً على المنظومات السياسية والأخلاقية الكلاسيكية التي شكلت حياة مجتمعات القرن الروماني الماضي. ومنذ دخول العرب في الألفية الثالثة تشكلت مئات الأحزاب الجديدة غير المؤثرة، في سورية والعراق ومصر وليبيا والسودان، ولم تأخذ واحداً بالمئة من شعبية أحزاب القرن الماضي التي توفر لها منظرين كباراً عرفوا كيف يستقطبون الجمهور ويجنّدونه قبل أن تنقسم هذه الأحزاب و«تتسلفن» وتصل إلى حالة من الانسداد التاريخي.

تعاونيات وطنية

في الواقع ما زالت الأحزاب، القديمة والجديدة المقلدة لها، تنتمي إلى العالم الواقعي الذي شكل مجتمع القرن العشرين الذي راح يتراجع أمام تمدد العالم الافتراضي منذ دخولنا في الألفية الثالثة، بحيث باتت منصات التواصل الاجتماعي ونجومها أكثر تأثيراً وقدرة

على التفاعل والتشبيك، وهذه حقيقة مؤلمة لا يمكنهم إنكارها، وقد أفادت منها جماعات الإسلام السياسي في تهيج الناس ضد سلطاتهم وأحزابهم ونسائهم ومفكريهم..

يوجد العديد من التعريفات لمصطلح السياسة، أضيف إليها تعريفي بأن السياسة هي الموازنة بين مصالح الناس ومصالح الدولة، وإدغام الدولة في السياسة العالمية، وتمييز العدو من الصديق، وعدم انقطاع التعامل مع العدو أو الانحياز الكامل للصديق.. غير أن مشكلة الأحزاب العربية التي تحكم دولها أنها تقدم مصالحها على مصالح الناس، وكذا أحزاب المعارضة التي تستثمر في أحلام الناس وميوهم إلى أن تستلم السلطة، ليبقى عدم التوازن في سياسة الطرفين سبباً في غياب الديمقراطية. لهذا بتنا بحاجة إلى تعاونيات وطنية جغرافية تهتم برعاية مصالح أفرادها عبر التشبيك بينهم اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، وخلق تحالفات بين الأقاليم لتشكيل عصب وحدة نافعة للأفراد بعد انتهاء زمن الأيديولوجيات التي استخدمت كإعلان لمصرف يبيع ويشترى بعواطف الجمهور ويعصف بمصائريهم.

ألفام

خطيرة في عجلة محور إقليمي منتصر

سعد محيو - كاتب، ومدير منتدى التكامل الإقليمي

أجل. حقق محور العولمة النيوليبرالية، المتمثل بمشروع الممر الاقتصادي من الهند إلى دول الخليج و«إسرائيل» بزعامة الولايات المتحدة، نصراً شابه كامل، وقد يصبح قريباً مجلجلاً، على محور المقاومة الإيراني - الروسي - الكوري الشمالي (الصين تقف على حوافي هذا المحور).

لماذا هو شبه كامل؟

لأنه سيستكمل قريباً في الغالب في العراق، لإبعاد أو إضعاف النفوذ الإيراني فيه، ومن ثم في إيران نفسها، سواء سلباً أو حروباً. لا بل باتت الحرب هي أول الخيارات في الشرق الأوسط، بعد تغيير العقيدة العسكرية الإسرائيلية من الحرب الخاطفة والسريعة إلى الحرب المديدة، بدعم وإشراف وتمويل كامل من الولايات المتحدة التي عادت بدورها في عهد الرئيس ترامب-2 إلى مبدأ التوسع الاستعماري والاستيطاني الذي ولد في القرن التاسع عشر.

أجل أيضاً. يحق لأرباب محور العولمة الاحتفاء بالنصر. وهم يفعلون ذلك الآن عبر التعبير عن «مكناوتهم» الجيو- سياسية والإيديولوجية بكل الصراحة الممكنة.

وهكذا نقرأ للكاتب السعودي البارز عبد الرحمن الراشد (الشرق الأوسط، 12 كانون الثاني/يناير الحالي): «..وفي الحقيقة اتفاقات السلام تحمي الدول العربية وليس «إسرائيل» التي هي دائماً متفوقة عسكرياً. كما تضمن هذه الاتفاقات حقوق الدول العربية في أراضيها

ومواردها من تبدلات الصراع مع «إسرائيل» ودول المنطقة» (لا ذكر لفلسطين في هذه الخلاصة، كما يلاحظ).

ونقرأ لكاتب سعودي آخر عبد الله بن بجاد العتيبي (الشرق الأوسط 12 كانون الثاني/يناير الحالي): «نور ثقافي أشع من دول الخليج وأشرق شمس ثقافة خليجية.. وقبل عقد ونصف العقد وإبان «الربيع العربي» الأسود (...)، وقفت السعودية والإمارات والكويت موقفاً تاريخياً ضد كل القوى الدولية والمحاور الإقليمية في مصر والبحرين وعدد من الدول العربية حتى انقشعت الغيمة، من دون أن تستعمل (دول الخليج) شعارات بالية ولا إيديولوجيات مهترئة، بل استعملت السياسة والاقتصاد والوعي المتقدم».

أخيراً، نقرأ للكاتب اللبناني حازم صاغية: «الصراع مع «إسرائيل» لم يعد موضوعاً مقفلاً على ذاته وحسب، بل بات موضوعاً ميتاً. ومعظم الأكلاف الناشئة عنه ناجمة عن تأخير إعلان موته... وقد دأبت قوى الممانعة على مدى عقود في نفخ الحياة في هذا الصراع من خلال الحؤول دون التوصل إلى سلام، أي سلام».

إلى أين من هنا؟

احتفالات النصر قائمة، إذأ، وهي باتت صريحة في الحديث عن طبيعة النظام الإقليمي - الدولي الذي ترغب بأن يكون درة تاج هذا النصر.

ولكن، أي نظام إقليمي؟ ما معالجه الجيو سياسة؟ ما إيديولوجيته؟

خلال حروب غزة ولبنان، وقبل تحولات سورية الصاعقة، حدّد توماس فريدمان حدود وآفاق الصراع الإقليمي في المنطقة، حين أعلن أن المعركة في الشرق الأوسط تغيرت بعد نهاية الحرب الباردة، وباتت الآن بين «قوى الاندماج» في الإقليم والعالم بقيادة الولايات المتحدة (أي قوى العولمة)، وبين قوى المقاومة الراضة لهذا الاندماج بقيادة إيران وروسيا وكوريا الشمالية.

فكر ▶

حسناً. لكن، من هي قوى الاندماج في الشرق الأوسط؟

هذا السؤال يكشف على الفور طبيعة العقبات كأداء الجيوسياسية التي قد تقف في وجه هذا المشروع المتعوم، والتي تختفي الآن في خضم احتفالات النصر الراهنة.

هناك ثلاث قوى رئيسة في المنطقة تشكّل المثلث الذهبي الذي صاغ على مدار التاريخ كل حضارات المنطقة وتوازاناتها وتوجهاتها منذ ستة آلاف سنة وحتى العصور الأوروبية الحديثة: إيران، مصر وتركيا. وما لم يشمل النظام الإقليمي العتيد هذه القوى، سيحوّلها إلى هذه العقبات التي ألعنا إليها ويعيد رسم معالم صراع جديد ربما يكون أكثر عنفاً في المنطقة. وهذا سيحدث حتى ولو تم مثلاً تغيير سلوك النظام الإيراني أو حتى تغيير النظام السياسي نفسه. لماذا؟

لأن أي نظام إيراني مهما كان شكله، إسلامي - قومي أو فارسي - قومي، لن يقبل بأي حال أن يكون مجرد ملحق بنظام إقليمي تقوده «إسرائيل» التلمودية والسعودية الوهابية. حتى شاه إيران رفض بقوة العام 1977 ما أسماه سيطرة اليهود ليس فقط في المنطقة بل أيضاً على الولايات المتحدة نفسها.

وقل الأمر نفسه على مصر، التي أجبرتها هزيمة 1967 وما تلاها من اتفاقات كامب ديفيد وملاحقها على التخلي عن نفوذها الإقليمي التاريخي مقابل استعادة أراضيها المحتلة، لكنها حتماً لن تقبل أن تُدرج كقوة هامشية في نظام إقليمي متعوم تقوده «إسرائيل» والسعودية، ليس فقط بدفع من الكرامة الوطنية بل أيضاً لأسباب اقتصادية - اجتماعية. فمثل هذا التهميش الاقتصادي - التكنولوجي سيهدد النسيج المجتمعي بسبب الانفجار الديمغرافي الهائل الذي يتطلب أعلى درجات النشاط الاقتصادي الإنتاجي وتوفير فرص العمل على نطاق واسع لن يوفره (لأسباب استراتيجية) محور العولمة الراهنة.

نأتي إلى تركيا التي قد تكون بحق محور الصراعات الجديدة في المنطقة، سواء قبل أو بعد

تعديل مواقع إيران ومصر في الإقليم.

لماذا؟

لأن «إسرائيل» لن تقبل بأي حال مشاركة تركيا في «نظام إسرائيلي للشرق الأوسط» (وهذا عنوان مقال في فورين أفيرز للكاتبين الإسرائيليين أموس يادلين وأفير غولوف). إذ أن تركيا دولة إقليمية كبرى مساحة وسكاناً واقتصاداً، والأهم: طموحاً. وهي تتذكر بكل أشكال أنظمتها أنها كانت إمبرطورية حيثية 1500 قبل الميلاد، ثم إمبرطورية بيزنطية من العصور القديمة المتأخرة إلى القرون الوسطى، ثم الإمبرطورية العثمانية بدءاً من العام 1453. وبالتالي، كيف يمكن حشر هذا التاريخ الضخم في مشروع يهودي حتى ولو كان تحت مظلة إمبرطورية العولمة الغربية، على رغم احتلال تركيا مقعداً فيها عبر حلف شمال الأطلسي؟

وما يسري على إطالة «إسرائيل» على تركيا يسحب نفسه على مقاربة المملكة السعودية لها. إذ هي أيضاً تعتبر نفسها في موقع النقيض لأنقرة تاريخياً وحاضراً، وتتنافس معها على زعامة العالم الإسلامي، خاصة بعد تحالف تركيا مع الإخوان المسلمين، ثم تمدد نفوذها مؤخراً إلى سورية.

عدا ذلك، هناك التناقض الفاقع بين العولمة الاقتصادية - «اللايديولوجية» للمحور وبين الطموحات الجيوسياسية والتلمودية الإسرائيلية.

كيف؟

الكاتب السعودي ممدوح المهيني، مدير قناتي العربية والحدث، اعتبر في مقال نشرته صحيفة «الشرق الأوسط» أن عهد الإيديولوجيات والجيوبوليتيك انتهى لصالح عهد العولمة والاقتصاد والمال».

قال:

فكر ▶

«كل التجارب التي استخدمت الأيديولوجيات الدينية والقومية انتهت إلى الفشل. نعيش في زمن مختلف حيث تختلط فيه الشعوب ببعضها وتنتقل رؤوس الأموال حيث الأماكن المستقرة والفرص الواعدة ويتنافس العالم في السياحة والصناعة وبناء أكبر المطارات والاستفادة من آخر مبتكرات الذكاء الاصطناعي. الصراع بين القوى الكبرى ليس لاحتلال أراضٍ أو فرض أيديولوجيات معينة، ولكنه حرب حول الثراء والازدهار الاقتصادي الذي تنبع منه القوة العسكرية والقوة الدبلوماسية».

هذا صحيح. ونحن نتفق مع الأستاذ المهيني على هذا التوصيف حول الحاضر العالمي. لكننا نختلف معه حول أمرين:

- الأول، أن «إسرائيل»، التي يفترض أن تشكل أحد المحاور الأساسية للنظام الإقليمي المتعولم الجديد في الشرق الأوسط مع الدول الخليجية، لا تزال تعيش في جيوبوليتيك وإيديولوجيات القرن التاسع عشر بعد الميلاد (وربما القرن التاسع عشر قبل الميلاد أيضاً). فهي لا تزال تريد التوسع جغرافياً، وترسيخ الحروب الدينية أديولوجياً، ومعها مفهوم الحرب الدائمة، ومنح الأولوية لمعارك «العرقادة» (التطهير العرقي والإبادة الجماعية)، وليس لتحديات التنمية والتعاون الاقتصاديين.

وهذا البند الأخير ينطبق أيضاً على الذكاء الاصطناعي الذي لا تستعمله الدولة العبرية الآن لترقية الاندماج الإقليمي بين الدول بل لتمزيق هذه الدول مع مجتمعاتها (نموذج لبنان وسورية وغزة).

- الأمر الثاني، أننا نعتقد (جازمين تقريباً) أن هناك طرفاً لن يسمح لقوى العولمة التكنورأسمالية وتوابعها أن تمسح القيم العليا بإسم النمو الاقتصادي، وجنون تدمير البيئة بإسم الرفاهية، وإخضاع الروح البشرية لعبودية المادة الميكانيكية بإسم السعادة. هذا الطرف هو أمناً الطبيعة (غايا) التي بدأت بالفعل من الآن في سوم البشرية (التي

تقودها الرأسالية المتوحشة) سوء عذابات «الانقراض السادس» في تاريخ الأرض.

وبالمناسبة، السبب الرئيس حالياً لهذا الانقراض، الذي يتجلى بوضوح في تغير المناخ والاحتباس الحراري والحرائق والفيضانات والتصحر وتلوث المحيطات والبحار والأنهار والأجواء، هو الوقود الأحفوري وانبعاثاته من ثاني أكسيد الكربون والميثان وكوكبة أخرى من الغازات الدفيئة.

نعترف أستاذ المهيني أن معسكركم الاقتصادي - المادي الميكانيكي (وقريباً السايبورغي) منتصر الآن ويحكم سعيداً كوكب الأرض. لكنها للأسف ستكون في الغالب سعادة قصيرة الأجل.

فالجيوبوليتيك التلمودي الإسرائيلي سيقوّض كل صرح النظام الإقليمي الاقتصادي الجديد، وسيطرح عليكم في دول الخليج بالذات سؤال الهوية والانتفاء الحضاري... ومعنى الحياة والحضارة خارج المتطلبات البيولوجية. (وهو بالمناسبة سؤال طرحه على نفسه المليونير أسامة بن لادن ونعرف الآن النتائج).

ثم هناك توازنات البيئة التي تتأثر حتى برفرفة الفراشة (كما يؤكد علماء المناخ) والتي تخضع إلى سلطة أم عطوف ورؤوم، (غايا) لكنها أم حين تغضب لا ترحم. وغايا الآن غاضبة. غاضبة للغاية.

السعادة، السعادة

هذا عن دور الجيوبوليتيك الإسرائيلي وغضب أمنا الطبيعة في تهديد أولوية المال - الاقتصاد على القيم والمثل العليا. لكن هناك أيضاً بعض الجوانب السايكولوجية الموضوعية: منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين، باتت مسألة سعادة البشر تقاس بالدخل والثروة والملابس والمنازل الفاخرة، ثم لاحقاً بالسيارات واليخوت

فكر ▶

والطائرات. وهذا كان أمراً بديهياً بسبب الوحشية التي طُبِّقَ بها في البداية نمط الإنتاج الرأسمالي، بما أنتجه من فوارق هائلة بين طبقات مترفة وأخرى عاملة تسعى لمجرد سد الرمق؛ ثم للمقارنة التي باتت تُعقد لاحقاً بين مستوى المعيشة في الدول الصناعية المتقدمة وبين أوضاع العالم الثالث الذي يفتك به على نحو مريع الفقر والجهل والأمراض.

الصراع على الموارد والثروات، وبالتالي السلطة، كرّس وعي صراع البقاء لدى البشر الموروث منذ آلاف السنين، والذي وضعهم في حالة حرب دائمة مع الطبيعة ومع أنفسهم، وخلق الوهم الكبير حول الرابط الكبير بين السعادة وبين الثروة المادية.

بيد أن القرن العشرين أثبت خطأ هذه الفرضية. فالمجتمعات الغربية نجحت في تلبية الحاجات المادية الأساسية الضرورية للبقاء، لكن أي إضافات مادية أخرى على هذه الحاجات لم تجعل الناس أكثر سعادة. العكس كان صحيحاً. أو هذا على الأقل ما يراه جوناثان بوريت jonathan porrit، الذي لا يُعتبر بأي حال معادياً للرأسمالية، بل هو من الداعين إلى أن تكون «الرأسمالية المسؤولة» هي قبطان إنقاذ البشرية والحياة على كوكب الأرض. كتب:

«الأساس الاجتماعي للسخط والاستياء في المجتمع الحديث (أي الغربي) لا يكمن في نقص الدخل بل في وحشة الوحدة، والضجر والسأم، والاكتئاب، والغربة، والشك بالنفس، والأوضاع الصحية والسيكولوجية العليلية التي ترافق كل ذلك. والحال أن الإقصاء الاجتماعي ليس في الواقع إقصاءً عن بنى الإنتاج والاستهلاك بقدر ما هو إقصاء من العلاقات الاجتماعية وأنماط فهم الذات التي تُنعم علينا بالمعرفة وتقدير الذات والمعنى. معظم مشاكل المجتمع الحديث ليست إذاً حصيلة الرواتب غير المناسبة بل هي نتيجة البنى الاجتماعية، والإديولوجيات والمعطيات الثقافية التي تمنع الناس من تحقيق قدراتهم ومن ممارسة حياة راضية مرضية في مجتمعاتهم».

ثمة توضيح أكثر لمسألة العلاقة بين المال والسعادة تقوّم به كلّ من Robert Lane, Ed Diener, and Ruut Veenhoven. يقول هؤلاء أنه «بعد نقطة معينة، تضعف العلاقة بين المال والسعادة ثم تتبدد. وهذا ينسف الفكرة الاقتصادية المغلوطة التي يتغنّى بها بعض السياسيين والأكاديميين بأنه بعد تجاوز الفقر أو مستويات الحاجات الأساسية، ستوفّر الدخول المرتفعة السعادة والسلام الداخلي. وهذا أيضاً ما تنفيه بقوة الدراسات والأرقام. إذ ثمة إجماع متزايد بين العديد من علماء النفس والاجتماع على أن الإكتئاب في الغرب، على سبيل المثال، يتزايد بدل أن يتناقص منذ خمسينيات القرن العشرين بنحو الضعف مع كل جيل، خاصة بين الشباب. هذا على رغم بزوغ دولة الرفاه في كل البلدان الغربية. وفي العام 2002 استطلعت مؤسسة بريطانية آراء 22 ألف مواطن بريطاني يعيشون في المدن، معظمهم تحت سن الثلاثين. وجاءت النتيجة كالتالي:

- 76% منهم يشعرون بتعب بشكل منتظم.

- 58% يعانون من تقلبات المزاج.

- 25% يشعرون بالافتقار إلى العاطفة والحوافز.

- 50% يعانون من القلق.

- 47% يجدون صعوبة بالنوم.

- 43% يعانون من ضعف الذاكرة أو يجدون صعوبة في التركيز.

- 42% تعرضوا إلى الإكتئاب.

هذا الاستطلاع تكرر بحذافيره تقريباً في العديد من دول العالم، سواء الغني منه أو الفقير، الأمر الذي رسم علامات استفهام كبرى عن مضامين كل من «الحلم الأميركي» الذي تسيّد على عقول البشر منذ قرن، ومعه حتى أيضاً ما يسمى الآن بـ«الحلم الصيني».

► فكر

فالعلم الأميركي «بات مجرد قبلة موت تتكوّن من الأعمال الرتيبة، والنزعة الاستهلاكية، والاستسلام للقدر؛ ومن مقايضة الروح البشرية بالطاعة والتفاهات الاستهلاكية المادية». وبدل أن يكون هذا العلم منصة إنطلاق لإنسان جديد متحرر من القيود والعبودية، بات الأميركيون «أمة خاضعة، صموتة، تابعة. والأمر الجنوني هنا هو أن الأميركيين لا يدركون هذه الحقيقة ولا زالوا يعتبرون أنفسهم أحراراً». البشر يعيشون في جهنم من دون أن يدرون.

لذلك، قد يكون مفيداً لزملائنا وإخوتنا في الخليج وخارجه أن يصارحوا النفس وهم في نشوة الشعور بالانتصار ليس فقط حول مسائل «إسرائيل» وتوازن الطبيعة بل أيضاً حول مسألة الهوية الخطيرة .. ومعنى الوجود.

يصدر هذا الكتاب بمناسبة مرور مئة عام
على ولادة الأب يواكيم مبارك
(20 تموز 1924 - 24 أيار 1995)

الأب يواكيم مبارك

كتابات في المارونية والإسلام وفلسطين
«المجموعة الكاملة باللغة العربية»

تقديم: جورج قرم

جمع وتحقيق:
سر كيس أبو زيد



دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الحمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 - 113 بيروت - لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

الحرب العالمية الثالثة: احتمالات وفرضيات!!

د. إيلي جرجي الياس - كاتب، وباحث استراتيجي، وأستاذ جامعي (*)

مقدمة

ما خلفته الحربان العالميتان، الأولى 1914 - 1918 والثانية 1939 - 1945، من دمار وخراب وعذاب ووفيات ومعاقين ومفقودين وجرحى... لم يكفِ الإنسانية لتتعض! وما تركته الحروب الباردة، الأولى 1947 - 1991 والثانية 2000 - 2020 والثالثة 2022 - والمستمرّة حتى اليوم، لم يجعل البشرية تستيقظ تماماً من واقعها المؤلم والخطير! ناهيك عن النتائج القاسية لانتشار الفيروسات والأوبئة والأمراض وحدوث الزلازل والبراكين والفيضانات والأعاصير، ولو أمكن تفادي الحروب، لاستطاعت الإنسانية استيعاب تداعيات هذه الكوارث الطبيعية! ولا يُمكن المراهنة بعد ذلك، على خيار أنّ الحرب العالمية الثالثة مستحيلة الحدوث لأنّها حرب نووية بالكامل، بل يجب العمل الدؤوب والحثيث على تثبيت دعائم السلام والأمن عبر العالم!!

ترافقت الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 مع انتشار فيروس الإنفلونزا الإسبانية العنيدة والقاهرة 1918 - 1921، وترافقت الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 مع

(*) دكتور في التاريخ والديموغرافيا، ماجستير في المعلوماتية، ماجستير في الإحصاء، أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية - كلية الآداب - الفرع الثاني، وفي الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية - الفرع الثاني، وفي الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية - الفرع الرابع، وفي الجامعة اللبنانية - كلية إدارة الأعمال - الفرع الثاني، وفي جامعات خاصّة، رئيس رابطة خريجي الجامعة اللبنانية - كلية العلوم - الفرع الثاني، عضو اتحاد الكتّاب اللبنانيين، وعضو الرابطة الثقافية مار مارون الدورة، وجمعيّة تجاوز، وزميل في الجمعيّة اللبنانية للدراسات العثمانية، باحث لبناني في العلاقات الدولية والدبلوماسية وقضايا التسلّح.

حدوث الموجات الأولى من الكورونا القديم 1944 - 1945 والذي ترك خسائر كبرى على الجبهة الأوروبية الشرقية... فهل كان انتشار جائحة الكورونا كوفيد 19 مؤخراً 2019 - 2022، وما سببته من هلع ومصاعب وتحديات، هو البديل المحتمل عن اندلاع الحرب العالمية الثالثة، التي إذا اندلعت بالفعل ستنتهي حياة كوكب الأرض وأهل الكوكب بنسبة كبيرة ومخيفة؟ احتمال منطقي للغاية... على أن الحرب العالمية الثالثة، حضرت خفية، في قلب الحرب الأوكرانية - الروسية، الممتدة منذ 24 شباط 2022، ومن خلال حرب غزة الضارية، والمتواصلة منذ 7 تشرين الأول 2023...

بين وصية الفوهرر أدولف هتلر وحراك المنظومة النازية العالمية والسرية ورجالها الخطيرين بعد الحرب العالمية الثانية، وفي خضم الحروب الباردة وتجلياتها الأمنية والاستخبارية بين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي وروسيا ومن ثم الصين والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي إطار متابعة المنظمات السرية - المترابطة أو المتناقضة الأهداف - عبر العالم وعملياتها المعقدة، يبرز لغز الحرب العالمية الثالثة من جديد، علناً أو سراً، بين الفرضيات الكثيرة التي تؤكد استحالة هذه الحرب المدمرة بالكامل، وبين إشكالية أنواع وأشكال الحرب العالمية الثالثة على امتداد الأرض وباطنها وصولاً إلى الفضاء الخارجي الشاسع والذي لا حدود له البتة... وهذا ما يجعل قضية الحرب العالمية الثالثة تحتل موقعا متقدما ودائماً وفاعلاً في الذاكرة الإنسانية القلقة، وفي مجال البحث العلمي الجاد والهادف!

وانطلاقاً من هذا المسار الشاق المليء بالتحديات العلمية والمغريات البحثية، حول احتمالات مفترضة وأسباب ممكنة لاندلاع الحرب العالمية الثالثة، تطل إشكالية هذه الدراسة العلمية النوعية، مضيئة وساطعة، في زمن الخطر، حيث أثبتت حرباً أوكرانيا وغزة أن السلام العالمي صعب التحقق حالياً، وتتمحور هذه الإشكالية حول السؤال التالي: ما

النسب الحقيقية لاحتمالات انبثاق الحرب العالمية الثالثة مع الحرص الدوليّ العلنيّ والجازم على تفاديها؟؟

بين وصية الفوهرر وحراك المنظومة النازية!

في الذاكرة الإنسانية الممتدة وفي الأفكار الشعبية المترابطة، ثمة علاقة ضرورية وأساسية بين فكرة انبثاق الحرب العالمية الثالثة بحدّ ذاتها، ومسبّبات ومجريات وتداعيات الحربين العالميتين السابقتين: الأولى 1914 - 1918 والثانية 1939 - 1945، وليس في الأمر غرابة، كون البحث يتناول حرباً عالمية مفترضة! «يذكر المؤرخ البريطاني ريتشارد أوفري بأن الحربين العالميتين المعروفتين (الأولى والثانية) بدأتا بانقضاء قوة كبرى على قوة أقل أهمية صربيا في عام 1914، وبولندا في عام 1939 ثم انجرار قوى أخرى إلى هذه الدوامة، وقد يحدث هذا مع تايوان، كما يحدث بالفعل مع أوكرانيا. وهنابه الكاتب إلى أن حقيقة كون السلام قد يبدو خياراً عقلانياً لمعظم البشر لم تتمكن أبداً من خنق الرغبة في القتال عندما يبدو ذلك ضرورياً أو مربحاً أو إلزامياً. وذكر الكاتب القراء بأن الناس بدؤوا، بعد نهاية الحرب الباردة يروجون لفكرة أن الحرب أصبحت من الماضي، لكن، لو كان الأمر كذلك - يقول الكاتب - لكان من الممكن أن نعيش الآن في عالمٍ خالٍ من الأسلحة والخوف. وختم أوفري بالقول إنه لا يكاد يوجد من يسعى بنشاط إلى حرب عالمية ثالثة، لكنه أبرز أن ذلك كان الحال ذاته قبيل الحربين الأولى والثانية ولم يحل دون نشوبهما»⁽¹⁾، وفي إطار الربط المنطقيّ بين فكرة الحرب العالمية الثالثة واحتمالات حدوثها المعقّدة والحربين العالميتين السابقتين، وعلى وجه الأخصّ الحرب العالمية الثانية، يتمّ العودة إلى طموحات النازيين في هذا المجال، القدامى والجدد على حدّ سواء... وقد بُنيت الفكرة النازية التاريخية حول احتمال اندلاع الحرب العالمية الثالثة على أرض برلين عاصمة الرايخ، المدمّرة والمحروقة في الأيام الأخيرة

(1) فات الأوان لوقفها.. مؤرخ بريطاني مرموق: لا مفر من حرب عالمية ثالثة، الجزيرة، 2024/6/24.

للحرب العالمية الثانية، من خلال مواجهة مباشرة بين الأميركيين والسوفييات! ثم توسّعت هذه الفكرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام الحرب الباردة، لتُبنى على مشروع خطير - قد يكون وجد أصله وسنده في وصية الفوهرر أدولف هتلر نفسه - أن الحرب العالمية الثالثة ستندلع حكماً انطلاقاً من تداعيات نكبة فلسطين، لتعيد فرص بزوغ شمس النازية في أوروبا والعالم من جديد! وإذا كانت وصية أدولف هتلر موضع مراجعة من حيث دقة بنودها، فإن دراسة ومتابعة حراك المنظومة النازية السرية والعالمية بعد الحرب العالمية الثانية، في منطقة الشرق الأوسط تحديداً، يساعد على فهم جهود النازيين الناجين في هذه المنطقة وعلى هذا المستوى من خلال دفع الأمور نحو الأسوأ، لتحقيق الوصية المطلوبة!

لقد اهتمّ بعض المحيطين بالفوهرر أدولف هتلر بنظرية قيام الحرب العالمية الثالثة فور نهاية الحرب العالمية الثانية، على أنقاض مدينة برلين التي ستكون مدمّرة بالكامل، وفي مقدّمة هؤلاء أمين السرّ العامّ للفوهرر مارتن بورمان ورجله للعمليات الخاصة أوتو سكورزيني وبعض القادة النازيين المتهورين أمثال أوتو أرنست ريمر وألويس براونر... إلّا أن الأميركيين والسوفييات على حدّ سواء عطّلوا الطموحات النازية: الأميركيون عبر مفاوضات فضحت مع هاينريش هملر وهرمان غورنغ دفعت هتلر إلى تخوينها، ثم هتلر مباشرةً بواسطة رجاله المعنيين بذلك وأبرزهم على الإطلاق، رجلهم الاستخباريّ الذهبيّ لاحقاً، مؤسس سي أي إيه ومدير استخبارات ألمانيا الغربية، راينهارد غيهلن، كما تفادوا اللقاء البرلينيّ الموعود مع السوفييات! أوقف الجنرال الأميركيّ دوايت آيزنهاور قواته على امتداد نهر إلبا، تاركاً للسوفييات احتلال برلين لوحدهم، محيطاً جوزف ستالين علماً بذلك، على أن يتمّ تقسيم برلين بعد سقوطها إلى أربع مناطق نفوذ: سوفياتيّ، أميركيّ، بريطانيّ، وفرنسيّ! «لكن الأميركيين هم أكثر من استفادوا من الواقع الأليم: خوف الألمان من الانتقام السوفياتيّ الشامل واستبداد ستالين الكامل، ورغبة الأميركيين بضمّ الأدمغة الألمانية النازية، بعد تأهيلها طبعاً، الى معسكرهم! والأميركيون، بفضل سياساتهم الذكية

فكر ▶

والواقعية والاستيعابية، استفادوا كثيراً من القدرات الألمانية والنازية، على المستويات كافة! وتجاه أساليب السوفيات القمعية والضارية، التي جعلت الرأي العام الألماني في صف الأميركيين حكماً، عرف الأميركيون إدارة مفاوضات جانبية معقدة مع الألمان النازيين حسب الحاجة، وسرية لعدم إثارة غضب ستالين، فجرت الأمور لمصلحتهم ولو استفاد الكثير من القيادات النازية من ذلك، وفي مقدمتهم الفوهرر!⁽¹⁾، هذا من جهة الأميركيين الذين استعملوا كل أساليب الديبلوماسية والدهاء والاستيعاب للعبور من الحرب العالمية الثانية باتجاه السلام المعقول، أما من جهة السوفيات ففي مقابل إقدام السوفيات على معاينة النازيين وتعقبهم وتفكيك الفرق التابعة لهم في المناطق الواقعة تحت احتلالهم، فقد عمدوا إلى استثمار الحاجة الدولية إلى السلام بالاستعاضة عن فكرة الحرب العالمية الثالثة بمنطق الحرب الباردة! «ولو كان الثأر السوفياتي كبيراً وحاسماً، في الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية، إلا أن إلحاق الهزيمة بالنازيين بات الضرورة القصوى والحاجة الملحة! ومن مثل الزعيم السوفياتي المعتد بنفسه جوزف ستالين ليتولى المسؤولية التاريخية الحاسمة: الرجل القويّ العنيد، يقود المعركة إلى برلين، إلى النصر النهائي! لقد تولدت لدى الزعيم جوزف ستالين، على ضوء الأحداث المتلاحقة، قناعة ثابتة وحاسمة، بضرورة اجتثاث النازية بالكامل في ألمانيا وأوروبا، مع أهمية تجنب العالم الصراعات المفتوحة، التي يمكن أن تؤدي الى حرب عالمية ثالثة! وإن كان لا محالة من المواجهة مع الغربيين، فالحرب الساخنة لم تعد ضرورية، بل لقد أخلت الساحة لنموذج جديد من الحروب لم يعهده التاريخ بهذه المشهدية المعقدة: الحرب الباردة!⁽²⁾، لقد كانت رؤية الأميركيين والسوفيات مفيدة لتفادي تجليات الحرب العالمية الثالثة، ولو أنّها لم تكن مشتركة بينهما، وإلى السوفيات يُعزى المصطلح

(1) د. إيلي جرجي الياس، أدولف هتلر وإيفا براون من برلين إلى الأرجنتين حب أقوى من الحرب، دار سائر المشرق، بيروت، آذار 2019، ص 48.

(2) د. إيلي جرجي الياس، الدولة النازية في أميركا الجنوبية مفاجآت هائلة في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، دار سائر المشرق، بيروت، آذار 2020، ص 36.

الاستراتيجي الذي استوعب وبدد فكرة الحرب العالمية الثالثة، ألا وهو: الحرب الباردة!!
إذاً إلى فلسطين، در! حسب وصية الفوهرر أدولف هتلر وفرص انطلاقة الحرب العالمية الثالثة على ركام نكبة فلسطين وتداعياتها الكارثية! «هل نكبة فلسطين نتيجة حتمية للحرب العالمية الثانية؟ حكماً نعم!! فقد تقرّر مصير فلسطين في أوروبا في الأشهر الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، من برلين مروراً بـ بودابست وصولاً إلى لندن!!»⁽¹⁾، وقد أحسن أدولف هتلر، الهارب إلى الأرجنتين مع زوجته إيفا براون وفريق عمله المختص، توزيع الأدوار القيادية بما يتعلق بالمنظومة النازية العالمية والسرية بعد الحرب، وبأموالها ومقتنياتها، خصوصاً على مستوى الشرق الأوسط! «سيكرم الفوهرر رجله: أمين سرّ الدائم مارتن بورمان، الذي سلّمه رموز الحسابات النازية والهلترية في المصارف السويسرية، كما ومستشاره الشامل ألبرت شبير، والذي سلّمه فرص الحسابات النازية المهوّبة إلى الشرق الأوسط، والمصارف اللبنانية تحديداً - بسبب السرية المصرفية بعد الحرب في لبنان كما سويسرا - فمن داخل إمبراطورية شبير، تشكّلت فكرة تأسيس مؤسسة إنترابن برلين وباريس - ولذلك التقت مصالح وخطى شبير من خلال لقاءات برلينية سابقاً مع المفتي الحاج أمين الحسيني وبتوجيه منه مع الصحفي اللبناني العالمي كامل مروّة بيروت - برلين - بيروت! الفكرة الحلم بين الشرق والغرب، وسرعان ما غدت قضية كبرى، وهي التي انتهت إلى مصرف إنترابن في لبنان برئاسة رجل الأعمال اللبناني الفلسطيني يوسف بيدس، بعد عملية أطلس الشهيرة ونكبة فلسطين الكارثية.»⁽²⁾، ومع توفر القدرات المالية والإمكانيات الذهبية، تركت المنظومة النازية السرية تنفيذ إعداد ظروف الحرب العالمية الثالثة في فلسطين إلى رجل هتلر للعمليات الخاصّة، المفضّل دائماً لهكذا مهمّات: أوتو سكورزويني المتنقل في

(1) د. إيلي جرجي الياس، دور هنجاري مركزي في تأسيس الكيان الإسرائيلي الغاصب على أرض فلسطين، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 83، تموز 2020، ص 121.

(2) د. إيلي جرجي الياس، حبّ وخطر... في عشّ النسر، دار أبعاد، آذار 2024، ص 40، 41.

فكر ►

مدى الشرق الأوسط... «لقد كشف سكورزيني كل شيء... فللموساد مصلحة طبيعية عدوانية عنصرية تجاه مصر والقضية الفلسطينية الحقّة، ولذلك منح سكورزيني ما لم يمنحه لإيجمان وفي ذلك حاجة كبيرة لأنّ سكورزيني يمسك بمفاتيح القدرات الصاروخية المصرية... ولو أنّ في الأمر ظروف سياسية دقيقة، كانتقال القرار المصري مع الزعيم جمال عبد الناصر من المعسكر الغربي الى المعسكر السوفياتي... ولكن لسكورزيني أيضاً مصلحة كبرى في لعبته القذرة: تأجيج العداوة بين الصهيونية والكيان الإسرائيلي من جهة، والعرب والمقاومة الفلسطينية من جهة أخرى، وكما طمح الفوهرر هتلر أن تنبثق الحرب العالمية الثالثة على أنقاض برلين بين السوفيات والحلفاء الغربيين، كذلك رغب سكورزيني بصفتة ممثلاً للمنظومة النازية العالمية والسرية، أن يؤدي الصراع العربي الإسرائيلي الى نشوء حرب عالمية ثالثة!!»⁽¹⁾، كان هدف سكورزيني واضحاً وصریحاً، تهيئة الأجواء لتطبيق الوصية الهتلرية، بمجرد اللعب على التناقضات! أمّا وقد عاد إلى أوروبا، تُركت المهمة لألويس براونر، «يرجح أن يكون براونر توفي في دمشق سنة 2010. يقيناً أنّ ألويس براونر خدم مصالح النظام السوري ولكنه أيضاً خدم مصالح المنظومة النازية العالمية في تأجيج نيران الصراع العربي الإسرائيلي المفتوح على خيارات صعبة وجراحات دائمة! والبحث في هذا السياق، يتمدد ويطول!!»⁽²⁾، ألويس براونر من الجيل المؤسس، الباقي في سوريا حتى يومه الأخير، بات وريث أحلام النازية...

ألويس براونر، القائد النازي المثاليّ وفقاً لتوجّهات النازية العنصرية، ولإشادة الفوهرر أدولف هتلر به، والتي نقلها إليه قائده اللامع أدولف آيجمان، الحائز على ثقة القادة

(1) د. إيلي جرجي الياس، حقيقة المنظومة النازية العالمية والسرية، بعد الحرب العالمية الثانية: دراسة وتحليل، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 74، نيسان - أيار - حزيران 2018، ص 180، 181.

(2) د. إيلي جرجي الياس، حقيقة المنظومة النازية العالمية والسرية، بعد الحرب العالمية الثانية: دراسة وتحليل، ص 182.

الاستخباريين النازيين وفي مقدمتهم القائد العام للاستخبارات هاينريش هملر، ورجل الفوهرر للعمليات الخاصة أوتو سكورزيني، المتورط من رأسه حتى أخمص قدميه بالجرائم في معسكرات الاعتقال والإبادة والهولوكوست، الفارّ عبر الشرق الأوسط من شمال أفريقيا فمصر وبتوصية من مفتي فلسطين والديار المقدّسة أمين الحسيني إلى سوريا وبين دمشق وبيروت! قريباً من الاستخبارات الناصرية ومن رجليها في دمشق زمن الوحدة عبد الحميد السراج، وزمن الاستخبارات السورية تبعاً حتى وكأنّه أصبح في السرّ في العلن مستشار الرئيس السوري حافظ الأسد للشؤون الأمنية والاستراتيجية... متعاوناً مع سكورزيني، والقائد النازي القومي الشهير أوتو أرنست ريمر، ومدير الاستخبارات الألمانية الغربية الضابط النازي السابق الأميركي الجديد الألمانيّ المتجدّد راينهارد غيهلن، متورطاً بالتعاون مع القادة النازيين الناجين والسراج باغتيال الصحفي اللبناني العالمي كامل مروّة يوم 16 أيار 1966، متابعاً مسار الأموال والممتلكات النازية والأوروبية المهربة إلى الشرق الأوسط ومسألة إنترا، وقد بات بعد سكورزيني العين المراقبة للقضية الفلسطينية والصراع العربيّ - الإسرائيليّ واحتمالات الحرب العالمية الثالثة انطلاقاً من الشرق الأوسط! «بوصول الأسد إلى الحكم في سوريا عام 1971، ورث براونر بحسب اعتراف سوريّ خاصّ، رغم أنّ ذلك سبّب له إحراجاً... براونر كان مستشاراً متقاعداً للأسد مقابل وعده بالبقاء صامتاً، فأمكنه بذلك الاستمرار بإقامته في دمشق.»⁽¹⁾، ومن خلال مركز عمله السريّ في دمشق، واعتماده على الغموض الكامل والمطلق، عمد عبر شبكة من رجاله في سوريا ولبنان والشرق الأوسط إلى مراقبة تطوّرات الصراع بين العرب والفلسطينيين من جهة والإسرائيليين من جهة أخرى، وظلّ الفكر النازي الجديد - حسب أوتو أرنست ريمر أيضاً - يركّز أنّ هذا الصراع قد يقود إلى شكلٍ من أشكال الحرب العالمية الثالثة وضمناً عودة النازية إلى ألمانيا

(1) Robert Fisk, Pity the Nation Lebanon at War, Oxford University Press, Second Edition, 1992, p 180.

فكر

وأوروبا... وقد أثار حراك براونر انطلاقاً من مقرّ إقامته في شارع جورج حدّاد في دمشق، ربيعة الصحفيّ البريطانيّ الاستقصائيّ الشهير روبرت فيسك! «عبر جار ألويس براونر السويديّ، بعثتُ برسالة لمجرم الحرب النمساويّ المخضرم: هل بإمكانه لقائيّ للتحديث عن دوره خلال الحرب العالميّة الثانية؟ فكان رد براونر عبر الجار السويديّ: كلاً لا يمكنني ذلك. فقد وقّعت على اتّفاق مع الحكومة السوريّة ينصّ على عدم إجرائي لأية مقابلات. يتابع فيسك بأنّ براونر كان على ما يبدو خبيراً في توقيع الاتّفاقيّات - الوثائق»⁽¹⁾، يقيناً أنّ الصحفيّ العالميّ روبرت فيسك خبير في عالم الصحافة بقدر خبرة ألويس براونر في توقيع الاتّفاقيّات مع الحكومات والبقاء حيّاً رغم محاولات قتله من الموساد والاستخبارات الغربيّة، إلّا أنّ فيسك أراد بطبيعة الحال مساءلة براونر عن مشاريعه الآنيّة والمستقبلية في منطقة الشرق الأوسط... ويقيناً أنّ ألويس براونر التزم بالصمت والغموض والحذر الشديد، وهي صفة ثابتة لدى القادة النازيين الناجين بعد الحرب العالميّة الثانية المنضوين في المنظومة النازية السرية والعالميّة، وخصوصاً في الشرق الأوسط...

أمّا النسبة لشبكة براونر في لبنان، لمراقبة كلّ ما يحدث ومتابعته خصوصاً في عهد الرئيس حافظ الأسد حيث اضطرّ براونر إلى البقاء في دمشق، وتأثيرات الأحداث المتعاقبة في لبنان منذ سنة 1970 وتحديدًا منذ سنة 1975 مع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية أو حرب الآخرين على أرض لبنان، كما وانبثاق المشروع الفلسطينيّ لإقامة الدولة الفلسطينيّة في لبنان أو بعضه، وتأثيرات كلّ ذلك على المخطّط النازيّ المركزيّ، فقد أوكل براونر ذلك إلى صديقه القائد النازيّ هاينز ريشتر! ومع متابعتي الاستقصائيّة الخاصّة⁽²⁾، تبينّ ما يلي: هاينز ريشتر طيار نازيّ سابق طويل وأشقر الشعر، غامض الحياة والكلام، شديد السرية

(1) Robert Fisk, Pity the Nation Lebanon at War, Oxford University Press, Second Edition, 1992, p 181.

(2) د. إيلي جرجي الياس، متابعة استقصائيّة شخصية.

والمراقبة والتواصل الغريب والمتقن مع أشخاص مجهولين (استخباريين) أصدقاء له، وصل إلى لبنان مطلع سبعينات القرن العشرين، سكن في منزل بالإيجار لدى رجل من آل المير في ضيعة بطحا الكسروانية منذ 1981 حتى 1999، ثم توقف عن دفع الإيجار فعمل لدى رجل من آل السقيّم في مطبعتة كعامل صيانة وخبير كهربائي، وسنة 1999 كان في الثمانينات من عمره (حوالي 83 سنة) ومتعب صحياً فتواصل آل المير مع السفارة الألمانية التي لمن تجد المعلومات الدقيقة المختصة به، ولكنها لبّت الدعوة بعد فترة وأمنت سفر هاينز ريشتر إلى ألمانيا، فانقطعت أخباره تماماً عن أهل بطحا...

وعلى وجه التحديد، يبدو أن ريشتر العين الساهرة لألويس براونر، استقرّ في لبنان منذ مطلع سبعينات القرن العشرين، ولكنه قبل ذلك زار لبنان والبلاد العربية مراراً، متنقلاً بين القاهرة وعمّان وبغداد ودمشق وبيروت، مستعملاً السرية المطلقة والكاملة ولذلك صعبت معرفته حتى بالنسبة للاستخبارات الألمانية الغربية ثمّ الألمانية الاتحادية! ولذلك أيضاً تأخّرت يد البحث العلميّ في إدراك وجوده حتى وقت متأخر، مع هذه الدراسة المركّزة... هاينز ريشتر، القريب من الأميرال كارل دونيتز رئيس حكومة فليزبورغ وريثة أدولف هتلر، بات رابطاً أساسياً بين ألويس براونر وراينهارد غيهلن، منتقلاً إلى الشرق الأوسط ضمن العملية الألمانية الكبرى هانيبال وعملية لبنان - فينيقيا المتفرعة عن عملية هانيبال... «وتمتدّ المفاتيح البحثية في خضمّ هذه الحالة اللبنانية المذهلة: إلى مجالين شديدي الأهمية: رحلة البحث عن الكأس المقدّسة والثروات الغامضة، وفي لبنان تحديداً... لقد اهتمّ قائد الاستخبارات النازية العام الرايخ فوهرر رأس أس هاينرايش هملر باحتمال وجود الكأس المقدّسة في لبنان، بعد البحث الشاق عنها وتباعاً في إيطاليا وجنوب فرنسا وشمال ألمانيا - وعلى الأرجح في شبكة واسعة من الأنفاق المعقّدة والمترابطة داخل باطن الأرض توزّعت بين كسروان وجبيل والبترون امتداداً حتى البقاع - فكانت زيارتا الجمعية العلمية النخبوية الألمانية والأوروبية آنربي الطويلتان نسبياً والنوعيتان علمياً، عشية الحرب العالمية الثانية

فكر ▶

وأيضاً بعد نهاية هذه الحرب - وكانت آنربي قد غدت بحماية منظمة غيهلن والأميركيين من بعدها - كما ثمة اتجاه بحثي من الضروري متابعتها، حول وصول وتخزين جزء من الذهب داخل هذه الشبكة، عبر آنربي مجدداً... أمّا بالنسبة للثروات الألمانية والأوروبية الغامضة والتي تدفقت إلى لبنان بعد الحرب العالمية الثانية - على ضوء إقرار قانون السرية المصرفية سنة 1956 ورؤية الرئيس اللبناني كميل شمعون المستقبلية للبنان كقوة اقتصادية عالمية متقدمة - ففي صلبها أساساً الثروات الذهبية ومن ضمنها النقود والسبائك والألواح والعملات، وأبرز طريق لهذه الثروات رسمه الصحفي اللبناني العالمي كامل مروّة - وفي حضوره الأوروبي خلال الحرب العالمية الثانية غموض كبير وفي حياته العملية بعد الحرب أسرار كثيرة لعل أبرزها احتمال امتلاكه للوصية الهتلرية حول الشرق الأوسط بالإضافة إلى لغز مياته المحير - بواسطة عنوان كتابه الشهير: بيروت - برلين - بيروت وتلك هي الطريق الذهبية بامتياز، ومن إنترا برلين إلى إنترا بيروت انتقل ذهب عملية أطلس الذي تم إرساله جواً إلى فلسطين صيف سنة 1944، ثم تحوّل سراً إلى بيروت بعد نكبة فلسطين سنة 1948، حيث برز اسم يوسف بيدس إلى الواجهة مشرفاً على تلك العملية الانتقالية ثم بعد ذلك ها هو رئيساً لمؤسسة إنترا - ومن ضمنها مصرف إنترا - ليعيد توزيع الاحتمالات والفرص لتطور إنترا عبر العالم... وبعد، هذه الطريق مرّت برّاً وجواً، ولكن أيضاً بحراً بواسطة العملية الألمانية الجبارة هانيبال - نسبةً إلى القائد الفينيقي القرطاجي العظيم - والتي تمت بين كانون الثاني وأيار 1945 أي حتى آخر الحرب العالمية الثانية، لنقل الرجال والعتاد والممتلكات الألمانية من أوروبا الشرقية حتى أوروبا الغربية، ثم لنقل الثروات القيمة والمالية والأثرية والذهبية والفنية إلى سواحل الشرق الأوسط ولبنان في المقدمة بطبيعة الحال، وتلك على الأرجح عملية لبنان - فينيقيا المتفرعة عن عملية هانيبال الكبرى في تناسقٍ غريب للأسماء... وكانت عملية هانيبال ناجحة للغاية بكل المقاييس الاستراتيجية رغم شتّى المخاطر التي واجهتها خصوصاً من القوات البحرية السوفياتية، ومجدداً غصّ

الأميركيون النظر عن نجاح العملية، لأنهم في مطلق الأحوال مستفيدون، وقد بات الجنرال الواعد راينهارد غيهلن رجلهم المفضل، كما غدا ألويس براونر رجل غيهلن المفضل في الشرق الأوسط لاحقاً... وهكذا، انتعشت مؤسسة إنترا العالمية - ومركزيتها بيروت - من كل هذه المسارات المعقدة والمتراعبة، وإنّ ترا تبقى المثل الأفضل والمثال المفضل حول مآل ومستقبل تلك الثروات الذهبية والفنية، النوعية والغامضة، وللبحث العلمي أن يتابع ويوثق ويتتبع...»⁽¹⁾، يقيناً أنّ هذا الصيد البحثي الثمين يقود إلى الاهتمام بحضور القادة النازيين الناجين إلى لبنان كركن أساسي متقدّم في تصوّرهم لمستقبل المنطقة! كما يبرز أهمية ريشتر كمراقب شامل وضامن رئيسي لطموحات وآمال المنظومة النازية العالمية والسرية، بعد الحرب العالمية الثانية! وفي الأسرار المضاعفة خلف ريشتر وعلاقته بالأميرال دونيتز، ارتباطه بحكاية نخت هتلر... «يوم العاشر من شهر تموز (يوليو) سنة 1995، نشرت جريدة الدايلي ميل اللندنية سؤالاً لأحد قرائها، يستوضح فيه عن نخت هتلر: غريل. وأحالت إدارة الجريدة السؤال الى اللبناني ادوارد عريضة، ليكتب باختصار الجواب التالي: إن والدي جورج عريضة كان قنصل بريطانيا في طرابلس - لبنان. وهو الذي اشترى نخت هتلر من الأميرالية البحرية في مزاد علني سنة 1946. وحقيقة الأمر أن أدولف هتلر لم يستعمل هذا اليخت سوى ثلاث مرات بسبب سرعة إصابته بدوار البحر والغثيان المتواصل. وقد استخدمه الأميرال دونتز في آخر أيام الحرب، أي قبل أن يشكل حكومة في فليتزبرغ على الحدود مع الدنمارك، في محاولة أخيرة لجذب اهتمام دول الحلفاء الى استعداده للتفاوض على شروط إنهاء الحرب. ان شقيقي، المدعو جورج جونيور، أبحر باليخت إلى جنوى في إيطاليا بهدف تحويل غريل الى باخرة تجارية يمكن استثمارها لنقل السياح في البحر الأبيض المتوسط. وقبل أن تبدأ عملية التحول، أتصل الملك فاروق بوالدي، معرباً عن رغبته في

(1) د. إيلي جرجي الياس، رحلة البحث عن الكأس المقدّسة والثروات الغامضة، تحولات مشرقية، مجلة فصلية محكمة، العدد، 2024، ص.

فكر ▶

شراء اليخت. ولما أبحرنا الى الإسكندرية كان العاهل المصري في مقصورة الاستقبال مع عدد من حاشيته. وبعد أن تجول على ظهر المركب وعان المقصورات الفارهة، أبدى إعجابه الشديد بهذه العمارة البحرية المتقنة الصنع، ولكنه اقترح على أبي أن يمنحه لقب الباشوية مقابل التنازل عن ملكية اليخت. عندها أدرك والسدي أن عرض الشراء لم يكن أكثر من خدعة لاستدراج أبي الى الفخ الذي نصبه له فاروق. بعد رجوعنا من مرفأ الإسكندرية، قرر والذي إركان اليخت في مرفأ بيروت. وعلى الرغم من الحراسة المشددة، ومن وجود أكثر من مئة بحار وخادم ومهندس على متنه، فقد تعرض لعملية تفجير بواسطة ضفدع بشري، أرسلته الاستخبارات الإسرائيلية. ولكن والذي سارع الى إصلاح الفجوة التي أحدثتها القنبلة اللاصقة، وقرر نقله الى مرفأ نيويورك الآمن. ولكن وقوع الحرب الكورية اضطر البحرية الأميركية الى إخلاء كل الموانئ من السفن الغريبة. وبعد انقضاء فترة طويلة، ومواصلة دفع تأمين الحماية والرسو والصيانة، قرر والذي التخلص من هذا العبء الثقيل، وتحويله الى خردة بحيث بيعت أجزاءه قطعاً من الحديد المكسر. ولم تحتفظ عائلتنا من تذكارات تلك السفينة بأكثر من بقايا رمزية اقتصرت على الجرس وجهاز لقياس سرعة اليخت.⁽¹⁾، تدرج حكاية نخت هتلر بشكلٍ أو بآخر ضمن مسار العملية الألمانية المعقدة هانبيال وابتها أيضاً التي لا تقل عنها غموضاً وتعقيداً: عملية لبنان - فينيقيا... كما يُمكن إدراج هاينز ريشتر ضمن فئة النازيين الناجين في الشرق الأوسط، وتحديدًا المراقبين الاستخباريين وليس المنظرين بين مفاهيم القومية واليمين المتطرف، لذلك تتوثق علاقته مع الدماغ الاستخباري ألويس براونر! وها هو بين وصية مؤسس النازية أدولف هتلر في أربعينات القرن العشرين حول انبثاق الحرب العالمية الثانية من رحم مآسي فلسطين الصامدة، وبين وصية رمز القومية النازية أوتو أرنست ريمر في تسعينات القرن العشرين حول ضرورة استيعاب اليمين المتطرف بكافة أشكاله في الديموقراطيات الغربية وإلا

(1) سليم نصار، حكاية نخت هتلر في لبنان!، الأنباء، 27 تموز 2023.

الكارثة العالمية، قرّر مغادرة بيروت أواخر تسعينات القرن العشرين... إلا أن أهمية وجود هاينز ريشتر في لبنان، على ضوء كل تلك المعلومات والمعطيات، مضاعفة، وأكثر: مراقباً أميناً للأحداث لمصلحة مدير المخابرات الألمانية الغربية الجنرال راينهارد غيهلن ولألويس براونر وعالمًا بمخططاتها، مدققاً بتطوّرات الصراع الفلسطينيّ والعربيّ - الإسرائيليّ لعلّ بين ثناياها فرصة الحرب العالمية الثالثة وانبثاق النازية من جديد في أوروبا، مشكّلاً الرابط الرئيسيّ بالنسبة لشبكة النازيين المقيمين في لبنان، بالتنسيق مع ألويس براونر طبعاً... وهذه الاتجاهات تفتح الطريق واسعاً لمسار بحثيّ مستقبليّ شامل حول النازيين الناجين المقيمين في لبنان وسوريا...

الحرب العالمية الثالثة والمعسكر الغربيّ: طموحات الولايات المتّحدة الأميركية مثلاً.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وخصوصاً بعد انبثاق الحرب الباردة الأولى سنة 1947، بين المعسكر الشرقيّ بقيادة الاتحاد السوفياتي من جهة والمعسكر الغربيّ بقيادة الولايات المتّحدة الأميركية من جهة ثانية، ارتفع حضور فكرة الحرب العالمية الثالثة المحتملة لدى الأوساط الشعبية الأميركية وصولاً إلى النخب الحاكمة أيضاً، وكذلك منسوب القلق الشعبيّ من نتائج هكذا حرب مدمّرة، ولم تخفّف السنون والأيام المتعاقبة من انتشار هذه الفكرة المحورية لدى الأميركيين بل باتت توسّع هذه الفكرة تصاعدياً، خصوصاً مع انطلاقة الألفية الثالثة! وتأتي الاستعدادات الانتخابية لمنصب الرئيس الأميركيّ سنة 2024، لتؤكّد هذا المسار... «أكد المرشح الجمهوري للرئاسة الأميركية دونالد ترامب مجدداً، أن الحرب العالمية الثالثة قد تبدأ بسبب عدم كفاءة إدارة الرئيس الأمريكي الحالي جو بايدن. وقال الرئيس الأمريكي السابق في مقابلة مع قناة فوكس بيزنس: أنا قلق من أن الأشخاص الموجودين في مناصبنا غير أكفاء أبداً. أنا قلق بشأن احتمال بدء حرب عالمية ثالثة قبل أن أصل إلى هناك (البيت الأبيض). الجدير ذكره أن هذه ليست المرة الأولى التي

فكر ▶

يحدّر فيها ترامب من اندلاع حرب عالمية ثالثة، فكان قد توقع حرباً عالمية ثالثة في حال فوز كامالا هاريس برئاسة للولايات المتحدة، وقال قبل ذلك إن رئيس الولايات المتحدة الحالي جو بايدن لا يحظى باحترام زعماء روسيا والصين وكوريا الشمالية، وسيجر بلاده إلى حرب عالمية. وفي يونيو الماضي أكد الرئيس الأمريكي السابق أن تطورات الأوضاع حول أوكرانيا بما في ذلك تصريحات كييف بشأن ضرب الأراضي الروسية ستؤدي إلى نشوب حرب عالمية ثالثة، لافتاً إلى أنه سيعالج الوضع في أوكرانيا بسرعة بعد عودته إلى البيت الأبيض⁽¹⁾، تؤكد خطابات الرئيس الأمريكي الأسبق والمرشح الجمهوري لانتخابات الرئاسة الأمريكية سنة 2024، دونالد ترامب، والذي انتخب رئيساً لولاية جديدة تبدأ يوم 20 كانون الثاني 2025، عمق تمديد نظريات وفرضيات حدوث الحرب العالمية الثالثة بين الشعب والنخب الاجتماعية والفكرية والثقافية، وتأتي خطباته على شكل تحذيرات متواصلة ومترابطة لتضيف الجو المطلوب من الغموض وتطرح عودة ترامب إلى البيت الأبيض كعودة المنقذ!!

وفي واقع الأمر، كانت فرص المواجهة المباشرة بين الأميركيين والسوفييات قائمة، وفي حين اهتمّ السوفييات والروس بعدهم بتغليب منطق الحروب الباردة كأداة متقدّمة لاستيعاب عملية حصول الحرب العالمية الثالثة وضمناً المواجهة النووية بين الجبارين، جهد الأميركيون لإبقاء قنوات التواصل قائمة مع السوفييات لتفادي تلك الحرب العالمية الثالثة! «وفي حين أنّ الحرب الباردة الأولى جعلت المواجهة بين الجبارين مباشرة وممكنة خلال مراحل زمنية عديدة وفي أماكن جغرافية مختلفة: أزمة جدار برلين سنة 1961، أزمة الصواريخ الكوبية الحادة سنة 1962، اصطدام الغواصتين السوفياتية والأميركية في بحر بارنتس سنة 1969، الحرب الاستخباراتية والأمنية المرادفة لحرب فيتنام في ستينيات القرن العشرين، الصراع في الشرق الأوسط وخصوصاً بين حربي 1967 و1973، مناورات حلف

(1) ترامب يحدّر مجدداً من اندلاع حرب عالمية ثالثة بسبب إدارة بايدن، آر تي عربي، 02.08.2024.

شمال الأطلسي سنة 1983..... إلا أن المعالجة جعلت مسار الصراع تحت مجهر التحليل والتدقيق والمتابعة، كما مع استبعاد الرئيس نيكيتا خروتشيف من القيادة السوفياتية بشكل نهائي في 14 تشرين الأول 1964، واغتيال الرئيس الأمريكي جون ف. كينيدي في عملية غامضة للغاية في 22 تشرين الثاني 1963، بعد نهاية مواجهة كوبا الشهيرة بين الطرفين!! وقد عززت الحرب الباردة الثانية الفرضية الرئيسية التي تفسر هذه المعالجات المتكررة والمثيرة للاهتمام والمناقشة: ثمة هيئة عليا مشتركة على هامش الصراع بين الجبارين، وبين الدول العظمى، بعد الحرب العالمية الثانية، لتنظيم مجالات الحرب الباردة بين الكبار، ولتفادي اندلاع الحرب العالمية الثالثة تماماً، لن يكشف عنها حكماً إلا في المستقبل البعيد!⁽¹⁾، وقد وُفق الأميركيون حتى كتابة هذه السطور، وعبر هذه الهيئة العليا المشتركة والمفترضة - وهم عضو أساسي ومحوري فيها - إلى منع حدوث الحرب العالمية الثالثة، إلا أن فرص حدوث تلك الحرب الكونية والنووية: المباشرة والمدمرة والحاسمة، تبقى قائمة بطبيعة الحال ولو ضئيلة، ما يقضي بإعلان وتصويب الجهود الأهمية والدولية الهادفة إلى تصفير احتمال حدوث الحرب العالمية الثالثة في أي يوم من الأيام!!

الحرب العالمية الثالثة والمعسكر الشرقي: مخططات استراتجية من بكين إلى موسكو.

كان السوفييات - وتالياً الروس - بالدرجة الأولى وراء آليات الحروب الباردة، وعزز الصينيون طموحات ومخططات الروس بالنسبة للحروب الباردة انطلاقاً وانتشاراً، فكانت الحروب الباردة الأولى 1947 - 1991 بتخطيطٍ سوفياتيٍّ دقيقٍ والثانية 2000 - 2020 بتوقيعٍ روسيٍّ والثالثة 2022 - والمستمرّة حتى اليوم - بإعلانٍ صينيٍّ! ولطالما دأب القادة الروس على التحذير الشديد من الحرب العالمية الثالثة وتجلياتها المفترضة من مسببات ومجريات وتداعيات، خصوصاً على هامش الحرب الأوكرانية الممتدة... وها هو الرئيس

(1) د. إيلي جرجي الياس، آلية تفادي الحرب العالمية الثالثة!، مجلة الأمن، العدد 337، شباط 2020، ص 70.

فكر

الروسيّ الحاليّ فلاديمير بوتين يجذّر مطلع سنة 2024 بعد إعادة انتخابه رئيساً من احتمالات الحرب العالمية الثالثة! «حذر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين من نشوب صراع واسع بين بلاده وحلف شمال الأطلسي (الناتو)، معتبراً أن ذلك سيقود إلى حرب عالمية ثالثة، لكنه أكد أن روسيا لن يرهبها خصومها. وقال بوتين في مؤتمر صحفي عقده في موسكو مساء أمس بمناسبة فوزه الكاسح في الانتخابات الرئاسية: لا يمكن استبعاد صراع واسع النطاق مع حلف شمال الأطلسي، وكل شيء ممكن في العالم الحديث. ومن الواضح للجميع أن هذا سيكون على بعد خطوة واحدة من حرب عالمية ثالثة واسعة النطاق. ومن المستبعد أن يكون أي شخص يرغب في هذا. وذكر بوتين أن العديد من جنود الدول الأعضاء في الناتو منتشرون بالفعل في أوكرانيا. وقال: نعلم ذلك بالفعل، مضيفاً أنه: تم سماع اللغتين الفرنسية والإنجليزية بالفعل في ساحة المعركة، وهذا ليس بالأمر الجيد، خاصة بالنسبة لهم، لأنهم يموتون هناك بأعداد كبيرة.»⁽¹⁾، وبالإضافة إلى الرئيس بوتين، يُعنى الرئيس الروسيّ السابق ديميتري ميدفيديف بالتحذير مراراً وتكراراً من الحرب العالمية الثالثة، راسماً مختلف السيناريوهات لحدوثها، انطلاقاً من حربيّ أوكرانيا وغزّة والصراعات الداخلية والانتخابية في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا الغربية، وسواها من الظروف الدقيقة... وها هو خلال شهر آب 2023 مثلاً يطلق تحذيراته الشاملة والمترابطة بشأن الحرب العالمية الثالثة! «أعلن نائب رئيس مجلس الأمن الروسي ديميتري ميدفيديف، أن خصوم روسيا في الغرب يدفعون الجميع بقوة إلى بداية حرب عالمية ثالثة، متجاهلين إشارات موسكو. وقال ميدفيديف في مقابلة مع وكالة تاس وقناة آر تي: لو اصغوا لهذه الإشارات، لكان أفضل، بلا شك، وعلى أي حال، لما كان العالم ليواجه تهديد حرب عالمية ثالثة، وفي الواقع، يدفع خصومنا الجميع بقوة للقيام بذلك. وجاء ذلك تعليقا على الأطروحة القائلة بأن رد فعل روسيا القاسي على العدوان الجورجي في عام 2008 كان ينبغي أن يكون إشارة

(1) بوتين يجذر بعد فوزه من صراع يقود لحرب عالمية ثالثة، الجزيرة، 2024/3/18.

واضحة للولايات المتحدة ودول الناتو حول الحاجة إلى الاستماع إلى مخاوف موسكو. وعن الانقسام الداخلي بالولايات المتحدة، أشار ميدفيديف إلى أن المخاطر في الخلاف الداخلي وسط النخب الأميركية يمكن أن تؤدي إلى حرب أهلية. وقال ميدفيديف: أميركا الآن في حالة من الخلاف الداخلي، وأميركا تصارع نفسها بنفسها، وأعتقد أن الخلاف يحمل طابعاً غير قابل للتسوية، وغالباً ما تنتهي مثل هذه النزاعات الداخلية بحرب أهلية. كما صرح نائب رئيس مجلس الأمن الروسي بأن الرئيس الأميركي جو بايدن أصبح منذ فترة طويلة رهينة لأوكرانيا، ومتورطاً بعمق في الصراع الأوكراني، موضحاً أن هذا أمر مخزن لكل من واشنطن وكييف.⁽¹⁾، وعاد ميدفيديف مجدداً مطلع سنة 2024، ومع استمرار حربي أوكرانيا وغزة، وهما حربان موضعيتان ضاريتان مفتوحتان وقابلتان، إلى التحذير جداً من أخطاء استراتيجية وجيوستراتيجية قد تؤدي إلى الحرب العالمية الثالثة بالفعل! «حذر ديمتري ميدفيديف نائب رئيس مجلس الأمن الروسي، من خطر نشوب حرب نووية مع الغرب عن طريق الخطأ. وقال ميدفيديف في مقابلة مع وسائل إعلام روسية إن تسليم طائرات إف-16 لأوكرانيا، قد يكون أحد أسباب الحرب النووية المحتملة. وفي ما يتعلق بتطورات الحرب في أوكرانيا، ذكر أن موسكو لا تستبعد وصول قواتها إلى كييف لتحقيق أهداف ما تصفها العملية العسكرية الخاصة التي بدأت قبل عامين. وفي بداية الحرب التي اندلعت في 24 فبراير/ شباط 2022، بلغت القوات الروسية ضواحي العاصمة الأوكرانية قبل أن تُصدّ. وفي موضوع آخر، قال نائب رئيس مجلس الأمن الروسي إن الولايات المتحدة لا تسمح بإرساء السلام في الشرق الأوسط. وأضاف ميدفيديف أنه إذا أرادت واشنطن السلام في المنطقة، على الأقل من خلال إنشاء دولتين، فستتخذ هذه القرارات.»⁽²⁾، ووجب

(1) ميدفيديف: الغرب يدفع بقوة نحو حرب عالمية ثالثة... ويتجاهل إشاراتنا!، العربية، نشر في 26 أغسطس 2023.

(2) ميدفيديف يحذّر من اندلاع حرب نووية ولا يستبعد اجتياح كييف، الجزيرة، 22 / 2 / 2024.

فكر ▶

الأخذ بتحذيرات الرئيسين الروسيين فلاديمير بوتين وديميتري ميدفيديف على أفصى محمل الجدّ، وهي مرفقة بتحذيرات الرئيس الأميركيّ دونالد ترامب، ما يجعل موضوع حدوث الحرب العالمية الثالثة، بأيّ شكلٍ من الأشكال، خطيراً للغاية... وتنتقل المخاوف الروسية من خلفيات تاريخية مشروعة، فلقد كادت بعض ظروف المواجهة أن تؤدّي إلى حرب عالمية ثالثة بين الجبّارين الأميركيّ والروسو - سوفياتيّ ستكون حكماً نووية ومدمّرة بالكامل لكوكب الأرض!

وفي واقع الأمر، ليست أزمة كوبا هي التي تقصّ مضاجع الروس وريثة السوفيات، بقدر عملية أبل آر تشر... وفي تقدير الروس لم تعد الحروب الباردة كافية لدرء أخطار الحرب العالمية الثالثة، بل يجب بذل كلّ الجهود لمنع حدوث هذه الحرب!! لقد كانت عملية أبل آر تشر 83 مفصلية ومحورية في الربع الأخير من الزمن السوفياتيّ، على أنّ الخطأ الجيوسراتيجيّ قادر بالفعل أن يفجّر الحرب العالمية الثالثة وسطح كوكب الأرض من أساساته... وبات أساسية لفهم الموقف الروسيّ المتقدّم - بعد قيام الاتحاد الروسيّ - حول خطورة الأسباب التي قد تؤدّي إلى هذه الحرب الكونية المدمّرة، وضمناً تحذيرات الرئيسين فلاديمير بوتين وديميتري ميدفيديف! «كانت المواجهة بين حلفي وارسو وشمال الأطلسي كما هي الحرب بينهما، باردة!! ولكنها تشتعل في مناسبات مفصلية، لتهدأ في غالب الأحيان، لكنّ الكلّ على سلاحه، والصراع الاستخباريّ قائم حكماً!!» (في السابع من تشرين الثاني 1983، تجمع نحو مئة من كبار ضباط الجيوش في مقر حلف شمال الأطلسي (ناتو) في بروكسل لخوض الحرب العالمية الثالثة. كان ذلك عبارة عن تدريب محاكاة عسكريّ سنويّ يُعرف باسم أبل آر تشر في ختام مناورة عسكرية واسعة النطاق بالأسلحة التقليدية، أُطلق عليها اسم ضفدع الخريف، وشارك فيها عشرات الآلاف من جنود قوات الحلف في أنحاء مختلفة مما كان يُسمى وقتذاك أوروبا الغربية. وقد أُجري تدريب أبل آر تشر 83 في وقتٍ تصاعد التوتر على صعيد الحرب الباردة. فالعلاقات بين دول حلف وارسو من جهة، وبلدان الناتو من جهةٍ أخرى، كانت

بالسوء الذي طالما اتسمت به. ففي وقتٍ سابقٍ من ذلك العام، أطلق الرئيس الأمريكي رونالد ريغان على الاتحاد السوفياتي لقب إمبراطورية الشر. ووفقاً للسيناريو الخيالي الذي قامت عليه مناورة أبل آرتشر 83، تمثل العامل الذي أدى لنشوب الحرب المفترضة في اندلاع اضطراباتٍ وفوضى في منطقة الشرق الأوسط تقود لإحداث ضغوط على إمدادات النفط الواصلة إلى الاتحاد السوفياتي. ويتزامن ذلك مع اتخاذ يوغوسلافيا - التي كانت تتبنى موقفاً غير منحازٍ لأيٍ من طرفي الحرب الباردة - قراراً بدعم المعسكر الغربي. وبحسب رؤية واضعي تصور المناورة، يؤدي ذلك إلى أن يخشى القادة السوفيات من أن يفضي الموقف اليوغوسلافي إلى تدافع باقي دول أوروبا الشرقية للسير على الدرب نفسه، مُحولَةً الولاء من حلف وارسو إلى حلف الأطلسي، بما يضع النظام الشيوعي كله في خطر. وتبدأ الحرب المُتخيلة وفقاً لهذا السيناريو، عندما تعبر الدبابات السوفياتية الحدود إلى داخل يوغوسلافيا، ثم تغزو الدول الإسكندنافية بعد ذلك. ولا تلبث القوات السوفياتية أن تتدفق على أوروبا الغربية، لتُجبر قوات الناتو على الانسحاب من فرط ارتباك تلك القوات من ناحية وقلة أعدادها من ناحية أخرى في مواجهة الجنود السوفيات. وبعد أشهرٍ قليلة من نشوب هذا الصراع العسكري المُفترض، تجيز الحكومات الغربية استخدام الأسلحة النووية. في وقت لاحقٍ من اليوم نفسه، عاد القادة العسكريون لقوات الناتو إلى ديارهم، وهم يتبادلون التهاني لإجرائهم مناورةً عسكريةً ناجحةً أخرى. لكن الحكومات الغربية لم تكتشف سوى فيما بعد أن تدريب أبل آرتشر 83 العسكري كاد أن يتسبب بشكلٍ خطيرٍ في إشعال حربٍ نوويةٍ حقيقية. ويمكننا الاستعانة هنا بما يقوله نات جونز مدير مشروع تطبيق قانون حرية المعلومات بمعهد أرسيف الأمن الوطني بالعاصمة الأمريكية واشنطن، وهي منظمةٌ مستقلةٌ غير هادفةٍ للربح، ويقول جونز في هذا الصدد: هناك أدلةٌ على أعلى المراتب والمستويات في الجيش السوفييتي تفيد بأنهم كانوا يجدون صعوبةً متزايدةً في التمييز بين التدريبات والهجمات الفعلية. نكدس الآن مجموعةً من الوثائق التي تؤكد أن السوفيت كانوا مذعورين حقاً من أن

فكر ▶

الغرب سيشن ضربةً نوويةً. ويقول جونز: عثرت على وثيقة لأندروبوف يقول لضباط الكي جي بي فيها أولويتكم الأولى هي ألا تُخفقوا في رصد مقدمات ومؤشرات ضربة نووية.. كُلفَ عملاء الكي جي بي بأن يحاولوا رصد ذلك، ويرفعوا تقارير في هذا الشأن كل أسبوعين. طالما ظلت هناك أسلحة نووية، سيبقى خطر نشوب حرب ناجمة عن حسابات خاطئة قائماً. (*)»، لحظات مصيرية في التاريخ العالمي، كادت أن تشعل الحرب العالمية الثالثة، ولو بطريقة غير مقصودة، خصوصاً أنّ على رأس الاتحاد السوفياتي شخصية قيادية استخبارية من الطراز الأوّل هو يوري أندروبوف، بينما عمل الرئيس الأميركي رونالد ريغان على استفزاز السوفيات إلى أقصى حدود ممكنة!! ولو أنّ أسرار هذه التجربة تكشّفت لاحقاً على المستويين العسكريّ والبحثي!! وبالرغم من المحاولات الجادة والدائمة لمنع اندلاع أي شكلٍ من أشكال الصراع المفتوح يؤدّي حكماً إلى اندلاع الحرب العالمية الثالثة، النووية بشكلٍ خاصّ، والتنسيق الضروريّ بين الجبّارين في هذا المجال، فإنّ المخاطر ظلّت موجودة رغم نسبتها المتدنية!!⁽²⁾، ستبقى عملية تدريب أبل آرثر 83 العسكريّ ساطعة ببال العسكريين الشرقيّ والغربيّ، والروس والأميركيين على حدّ سواء، كفرصة للتعاون المستقبليّ في سبيل القضاء على إمكانية حدوث الحرب العالمية الثالثة، واقتلاع هذه الفكرة تماماً من الذاكرة الإنسانية والضمان البشرية! وهذا التعاون المستقبليّ يجب أن يكون دولياً وعالمياً وشاملاً ليس للحدّ من الأسلحة النووية المسبّبة للحرب العالمية الثالثة والدمار الشامل، بل لتعميم منطلق السلام والاقتصاد والتكنولوجيا والنموّ والازدهار والحبوحة والأمل على حساب آليات الحرب والدمار والألم!

(*) قصة المناورة العسكرية التي كادت أن تشعل حرباً عالمية ثالثة، ريتشارد هولينغهام، بي بي سي عربي، 13 تشرين الثاني 2018.

(2) د. إيلي جرجي الياس، الحرب الباردة تمتدّ والمواجهات الاستخباريّة تشتدّ (1975 - 1990)، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 86، نيسان 2021، ص 137، 138.

وعلى هامش حرب أوكرانيا خصوصاً وسائر الحروب المتزامنة معها عموماً كحرب غزة، لن تقف التحذيرات الروسية عند حدود معينة... كأنّ الحرب العالمية الثالثة النووية والمدمرة واقعة غداً، أو كأنه من الممكن تأجيل ظروف هذه الحرب أو الحد من إمكانات حدوثها، لو تحققت وتوثقت فرص السلام بين المعسكرين الشرقي والغربي! «طالب عضو مجلس الدوما الروسي ميخائيل شيريميت مجلس الأمن الدولي بعقد اجتماع طارئ، ومنع نظام كييف المجنون من الاعتداء على محطتي كورسك وزابوروجيه بقنابل قدرة وإحداث كارثة نووية. وقال شيريميت: العالم على حافة كارثة نووية بسبب نظام كييف المضطرب، وأطالب مجلس الأمن بعقد اجتماع طارئ لمنع هجوم القوات الأوكرانية على محطتي كورسك وزابوروجيه، وإلا فإن العالم سيصبح على حافة كارثة نووية بسبب النظام المجنون في كييف. استفزاز النازيين الأوكرانيين سيرتد على القارة بأكملها. وقال: على الدول الغربية إعلان موقفها إزاء خطط نظام كييف، وإلا ستكون شريكة في التحضير لهذه الجريمة. وحذرت الخارجية الروسية من استفزازات محتملة بقنابل قدرة قد يطلقها نظام كييف على المحطتين. وأعلنت الأجهزة الأمنية الروسية الليلة الماضية أن قوات كييف تخطط لمهاجمة محطتي كورسك وزابوروجيه للطاقة الكهروذرية بقنابل قدرة، وأنها نقلت الرؤوس الحربية اللازمة إلى مقاطعة دنيبروبيتروفسك وسط أوكرانيا لهذا الغرض.»⁽¹⁾، جرأة أميركية في الفعل دون الذهاب حتى النهاية، وحدة روسية في ردة الفعل المعدّة بعناية...

تبدو الصين، التي استوعبت الاستفزازات الأميركية الآنية والمتركمة في تايوان، الأكثر حرصاً على استيعاب مسببات ومفاعيل الحرب العالمية الثالثة، والأكثر قدرة على التكيف والتأقلم مع الأحداث المترابطة والمتناثرة حول العالم، لتكسب النقاط على حساب الأميركيين!! لقد نجح الصينيون في تحويل المواجهة في تايوان من حرب عسكرية مباشرة قد تقود إلى حرب عالمية ثالثة، نحو صراع استخباري دقيق، بعد انتشار استخباري صيني

(1) تحذيرات في الدوما من كارثة نووية يخطط لها نظام كييف المجنون، آر تي عربي، تاريخ النشر: 17 / 08 / 2024.

فكر ▶

محكم داخل تايوان وفي المناطق المحيطة بها... «كتبت صحيفة ذا هيل الأميركية، أن الولايات المتحدة تخسر الحرب العالمية الثالثة الأيديولوجية أمام روسيا والصين. وجاء في مقال تحليلي نشرته الصحيفة: ينزلق العالم اليوم إلى حرب عالمية ثالثة أيديولوجية، تتعارض فيها مصالح روسيا والصين وحلفائهما مع مصالح الولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه يتعين على واشنطن، أن تتعامل مع ثلاثة صراعات، في أوكرانيا، وفي الشرق الأوسط وربما في تايوان. وبحسب المقال فإن الرئيس بايدن العالق على ما يبدو في شرك حسابات انتخابات نوفمبر، يرفض حتى الاعتراف بأننا بالفعل في منتصف حرب عالمية ثالثة. وأضاف المقال: ونتيجة لهذا النهج، فإن إدارة الرئيس الأمريكي تفتقر بشدة إلى الإمكانيات العسكرية، والقدرة على إنتاج الأسلحة، والقدرة على مواجهة التهديد السيبراني الصادر عن موسكو وبكين. واختتم المقال بالتأكيد على أن هذه المشاكل تتطلب حلولاً فورية إلا أن بايدن بدلاً من أن يتصرف مثل أبراهام لينكولن ويظهر التصميم على الفوز، يقوم بمحاكاة (جيمس) بوكانان في إهمال واجبه كزعيم للعالم الحر.⁽¹⁾، تقدّم المعسكر الشرقيّ في مقاربة الملفات الجيوستراتيجية، بفضل الحنكة السياسية الصينية، على حساب الأميركيين الذين يحتفظون باحتياطٍ واسع من الدهاء الاستراتيجيّ والمبادرات الجريئة، إلا أنّه في كلّ الحالات يحرص المعسكران على شعرة معاوية لمنع اندلاع الحرب العالمية الثالثة...

حول أفكار وخفايا المنظّمات السرية عبر العالم!

للكثيرين أفكارهم وطموحاتهم ومخططاتهم حول الحرب العالمية الثالثة، بين المعسكرين الشرقيّ والغربيّ، من أميركيين وأوروبيين وغربيين وروس وصينيين وسواهم... ولن تكون مشروعية انطلاقة الحرب العالمية الثالثة بيد المتوقّعين أو المنجمين أو المبصّرين أو سواهم، أو ضمن لعبة رقمية من هنا وأخرى تكنولوجية من هناك... «استعدادات الذاكرة الشعبيّة عبر العالم رواية - نكتة انتشرت بعد الحرب العالمية الثانية: تاريخ اندلاع الحرب العالمية الأولى

(1) ذا هيل: الولايات المتحدة تخسر الحرب العالمية الثالثة بمواجهة روسيا والصين، آر تي عربي، 22 / 05 / 2024 .

1914-7-28، بينما تاريخ اندلاع الحرب العالمية الثانية 1-9-1939، أي 1914+7+28 = 1939+9+1 = 1949، ولكن سنة 1949 كانت سنة حصار برلين من قبل السوفييات في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، لا سنة الحرب العالمية الثالثة المفترضة... ولو ضمن إطارٍ جديد: إذا كان يوم اندلاع الصراع العسكري بين روسيا وأوكرانيا 24-2-2022، تصبح المعادلة الجديدة: 19+14+7+28 = 19+39+9+1 = 20+22+2+24 = 68... يبدو أن سنة 2022 ستمرّ دون حربٍ عالمية ثالثة، بل ستشهد انطلاقاً الحرب الباردة الثالثة على هامش نهاية زمن الكورونا كوفيد 19، إلا أن الذاكرة الشعبية ستحاول دائماً استيعاب الأزمات الكبرى، مستلهمةً روح النكتة وجمالية المزاح...⁽¹⁾، إن اللعبة الرقمية لا ترقى إلى المستوى المطلوب في إدراك توقيت أو تفادي الحرب العالمية الثالثة طبعاً، كذلك بالنسبة لمجموعات السحر والتنجيم والتوقع على أنواعها وأشكالها، ولكن كما تمت دراسة وتحليل مواقف الدول والمعسكرات الكبرى من فكرة الحرب العالمية الثالثة بحدّ ذاتها، يجب التطرّق إلى أفكار المنظّمات السرية عبر العالم، حول ذلك...

لن تهتمّ الماسونية - وهي أبرز وأكبر المنظّمات السرية عبر العالم - بمركزية الحرب العالمية الثالثة، بقدر اهتمامها الجوهرية بربط شبكاتهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمالية... عبر أقطار العالم! ولكن المتنوّرين، وهم النخب المجتمعية البارزة، انطلاقاً من الماسونية الدولية، لهم رأيٌ آخر، لاحتكاكهم بشؤون الحكم والإدارة العليا... «منذ عام 1945 والمتنوّرون يستعدون ويخطّطون للحرب العالمية الثالثة، والتي ستؤدي إلى النظام العالمي الجديد، أي حكومة عالمية واحدة ودين واحد وعملة إلكترونية واحدة في العالم. هذه الحرب تمّ تأجيلها أو فشلوا بقيامها عدة مراتٍ لأسباب شتى، هكذا يُشاع ولسنا في مركز فيريل للدراسات مع الإشاعات بل مع الحقائق، والحقيقة لا يملكها أحد. الحرب العالمية الثالثة: يجب أن تكون شرارة البدء نتيجة الصراع بين الصهاينة والقوميين

(1) د. إيلي جرجي الياس، الرقص على فوهة البركان!، مجلة الأمن، العدد 363، نيسان 2022، ص 34، 35.

فكر ▶

العرب المدافعين عن فلسطين، ثم تتوسع لتشمل العالم. (ما يجري حالياً لا يدل على أن كلام المتنورين صحيح تماماً). المتنورون لا قوا الفشل عدة مرات، وسيطرتهم ليست مُطلقة كما يدّعي كثيرون. وجدّ المتنورون أنّهُ من شروط قيام الحرب العالمية الثالثة هو انحطاط المجتمعات العالمية أخلاقياً، والتخلي عن الروحانيات في التعامل بين البشر واستبدالها بالتعامل المادي، بالإضافة لتشجيع الحركات الأصولية الدينية خاصّة الإسلامية، وبدأ العمل بشكل جدي منذ عام 1990. رُحلت الأحداث إلى عام 1999، عندما جاءت الأوامر للجنرال ويسلي كلارك قائد الناتو بمهاجمة الروس في مطار سلاتينا بكوسوفو، يومها قال جملة الشهيرة: لن تبدأ الحرب العالمية الثالثة على يدي. بعد رفض كلارك للأوامر، قامت القوات الأميركية بقصف السفارة الصينية بتاريخ 7 أيار 1999 بصاروخ، قيل أنه خطأ في المعلومات، وظنّ الأميركيون أن السفارة الصينية هي مركز لتسليح الجيش الصربي! أدى القصف لمقتل 3 موظفين صينيين وجرح عشرين آخرين، طبعاً كان الموقف الصيني حكيماً ولم تنجرّ بكين للحرب... وفشلت الخطة. حسب المتنورين، يجب أن يخسر العالم 30% من عدد سكانه أي قرابة 2 مليار إنسان، خلال هذه الحرب، ثم يبدأ بناء العالم ما بعد الكوارث بحكومة واحدة وحكم عسكري شمولي للسكان البيض، وازدهار الحياة لدورة تمتد 12 ألف عاماً. لهذا يجب أن تكون معظم الضحايا من منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا وأميركا الجنوبية وشرقي آسيا. وهذا يتطابق مع نظرية التفوق العنصري، الرايخ الرابع. لا تريد الولايات المتحدة أو روسيا نشوب حرب عالمية لأنهما تعرفان النتائج الكارثية عليهما. فليتصارع الصغار ونحنُ نجني الأرباح. هناك صراع خفي بين مخبرات الدول العظمى والمتنفذين الذين أسمّيهم: المتنورون، وصراع آخر بين المتنورين أنفسهم.⁽¹⁾، وفي عرضٍ مركّز لأفكار المتنورين المختلفة حيناً والمترابطة أحياناً، يُلاحظ أنّ بعض طموحاتهم

(1) د. جميل م. شاهين، المتنورون يؤجلون الحرب العالمية الثالثة، مركز فيريل للدراسات، برلين، ألمانيا، 13 فبراير، 2022.

تصطدم بوجود الهيئة العليا المشتركة بين المعسكرين الغربي والشرقي، والهادفة بالدرجة الأولى إلى تنظيم نقاط الاختلاف بين المعسكرين، وبين الروس والأميركيين مثلاً، وتالياً إلى تفادي اندلاع الحرب العالمية الثالثة... كما يُلاحظ أن أفكار المتنورين حول مآل الصراع بين الفلسطينيين والعرب من جهة والكيان الإسرائيلي المستحدث من جهة أخرى، تتفق مع وصية الفوهرر، ولو أن اتجاهات الفريقين مختلفة بطبيعة الحال...

من عوالم باطن الأرض نحو آفاق الفضاء الخارجي...

منذ منتصف القرن التاسع عشر، مروراً بالقرن العشرين، وصولاً إلى القرن الحادي والعشرين ومطلع الألفية الثالثة، تزايد اهتمام الباحثين والمتابعين والنخب الإنسانية والقيادية وعامة الشعب على حدّ سواء، بعوالم باطن الأرض ما بين التقليد والتحديث، وبالفضاء الخارجي من كواكب ونجوم ومجرات واحتمالات الحياة خارج كوكب الأرض، والعلاقات المحتملة بين عوالم باطن الأرض والفضاء الخارجي... «ومنذ بداية القرن العشرين، تزايد الاهتمام الإنساني والمجتمعي بالعلوم الغيبية وعلوم باطن الأرض وبدراسة الفضاء الخارجي وأسواره الكثيرة والمعقدة!! وكان صلب الاهتمام يدور حول الأطباق الطائرة وتواصلها الغامض والمتواصل مع المجال الإنساني: اهتمام ألماني هتلري انطلقاً من رغبة قيادية عليا وأبحاث جمعية أناربي النخبوية ورحلة أرنست شيفر المتخصصة إلى التيب، وتميّز هذا الاهتمام بمحاولة ترسيخ بناء مستعمرة نازية في قلب القطب الجنوبي، الذي عُدد إحدى نقاط الالتقاء بين البشر والصّحون الطائرة... وقد تزامن ذلك، على ضوء شهادات ياكوف بلومكين، باهتمام سوفياتي أيضاً بمجال الصّحون الطائرة، ثم أميركي أيضاً بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وبعد تواصل غريب ومحمّل بينهما وبين أجسام غريبة، في منطقة القطب الجنوبي نفسها، في النصف الثاني من أربعينات القرن العشرين!! ويوماً بعد يوم، وستة بعد ستة، من اجتماع علمي - تشاوري عالٍ نظّمه البتاغون سنة 1953 إلى جلسة استماع موسّعة في الكونغرس سنة 2022 حول ملفّ الأطباق الطائرة، تزايد

فكر ▶

اهتمام الأميركيين بقيادة ومفكرين كما الرأي العام، على كافة المستويات، وكذلك الدول الكبرى وخصوصاً الصين وروسيا وعبر العالم أيضاً، بهذا الملفّ الشامل!! وكخلاصة منطقيّة، يشغل موضوع الصّحون الطائرة العالم من أعلى إلى أسفل، وإذ يرجّح حضور تلك الأطباق الطائرة في الذاكرة الشعبيّة العالميّة دون أدلّة حاسمة وجازمة ومطلقة، لا يمكن التأكيد أيضاً إذا كان مصدر هذه الأطباق الطائرة الفضاء الخارجيّ أو باطن الأرض...»⁽¹⁾، هل لعوالم باطن الأرض أو لتجليات الفضاء الخارجيّ علاقة مفترضة بإمكانية حدوث الحرب العالميّة الثالثة، على سطح الأرض أو في باطنها أو في غلافها الخارجيّ؟ سؤال دقيق يتطلّب تحليله ومن ثمّ الإجابة عليه، الجمع بين الواقع البحثيّ والخيال العلميّ والذكاء الاصطناعيّ والتوسّع في الفرضيات والاحتمالات... ولكنّه، في مطلق الأحوال، سؤال مشروع، فقد أصبح كلّ ما يتعلّق بسطح الأرض وباطنها المليء بالأغاز وما بعد غلافها أيّ الفضاء الخارجيّ المسكون بالأسرار، قيد الدراسة والبحث والتحليل والمتابعة...

لا تشير الأبحاث والمؤتمرات المتعلّقة بالصّحون الطائرة وعوالم باطن الأرض وآفاق الفضاء الخارجيّ إلى ارتباط هذه العناصر مباشرةً بقضية احتمالات حدوث الحرب العالميّة الثالثة، خصوصاً أنّ هذه المجالات غير معلومة بالكامل... ولكنّ الإشارة الأولى ستكون باتجاه صراع نوويّ محتمل على هامش غلاف الأرض وفي الفضاء الخارجيّ... «في منتصف فبراير/ شباط 2024 أعلن المتحدث باسم البيت الأبيض جون كيربي أن الولايات المتحدة لديها معلومات استخباريّة تفيد بأنّ الروس يطوِّرون سلاحاً جديداً مضاداً للأقمار الصناعيّة ومثيراً للقلق. ولم يوضح البيان تفاصيل دقيقة عن السلاح سوى أنّه سيُطلق في الفضاء، وأنّه سيكون مسلحاً برأس نووي. وفي هذا السياق ترى الولايات المتحدة أنّ

(1) د. إيلي جرجي الياس، جسر عبور بين القرنين العشرين والحادي والعشرين: فرص السلام الشامل في خصمّ التحدّيات الكبرى، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 94، نيسان 2023، ص 45.

التحركات الروسية تهديد جديد لها، وأنها يجب أن تحملها على محمل الجد، بحسب ما صرّح به كيربي آنذاك. يمكن فهم هذا التصريح في سياق محاولات البيت الأبيض للضغط على الكونغرس من أجل الموافقة على إرسال حزمة مساعدات إضافية إلى أوكرانيا في حربها التي طالت مع روسيا، ولكن من جهة أخرى فإن هذا الخبر يعيد تنشيط ذاكرة سباق التسلح بين الدول الكبرى، ولا سيما في مجال تطوير الأسلحة الموجهة للأقمار الصناعية، وهو سباق كانت واشنطن نفسها أول من دشّنه وأطلق المنافسة حوله. بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، هدأ الحديث عن الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية، لكن يبدو أن ثمة جمرًا يغفو تحت الرماد، إذ أعادت دولٌ مثل الصين والهند وروسيا ما بعد الاتحاد السوفياتي تدشين سباق حروب الفضاء مرة أخرى. على مدار العقدَيْن الماضيين أُجريت ثلاث تجارب حاسمة شكّلت حاضرنا المتوتّر مع هذا النمط من التسليح، ففي 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023 أشار رئيس العمليات الفضائية في الجيش الأميركي الجنرال برادلي سالتزمان إلى أن القدرات الصاروخية الصينية المضادة للأقمار الصناعية تُعدّ أحد أكبر التحديات التي تواجه الولايات المتحدة حالياً، واصفاً اختبار الصين عام 2007 لسلاحها المضاد للأقمار الصناعية بأنه نقطة تحول في تاريخ هذا النوع من الأسلحة. تلت ذلك تجربة جعلت الغرب يستعد لنوع جديد من التنافس العسكري، حينما تمكنت روسيا عام 2021 من تنفيذ إطلاق ناجح لصاروخ مباشر مضاد للأقمار الصناعية من النوع إيه-235 بي إل-19 نودول (A-235 PL-19 Nudol)، وهو صاروخ مضاد للصواريخ الباليستية مصمم بالأساس لصدّ هجوم نووي على موسكو وعدة مناطق أخرى داخل روسيا، وصدرت منه نسخ لاستهداف الأقمار الصناعية على ارتفاع أعلى من 450 كيلومتراً، وقد ضرب الصاروخ القمر الصناعي الاستخباري كوزموس 1408. كان الاختبار علامة فاصلة في تاريخ تطوير الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية، فقد أدى تدمير كوزموس إلى ظهور سحابة من الحطام الفضائي هدّدت محطة الفضاء الدولية. ولذا وصف وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو

فكر ▶

اختبار كوزموس 1408 بأنه نظام أسلحة مستقبلي متطور لتعزيز الردع والدفاع الروسي ضد محاولات الولايات المتحدة تحقيق ميزة عسكرية شاملة في الفضاء. وبحسب فريق من باحثي مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية الأمريكي، فإنه رغم تقدّم القدرات الفضائية الأمريكية عن الدول الأخرى، تحقّق الصين وروسيا تحديداً تقدماً في الأسلحة الفضائية المضادة بشكل أسرع من الولايات المتحدة. مثل كل سلاح نشأ على كوكبنا بأيدي أبناء الجنس البشري، فإن أول استخدام له يوجد حالة من الفوضى، ومن ثم تتطور الأمور نحو توازن بارد حينما يصبح هذا السلاح في حوزة الجميع ويُدرك الجميع شدّة خطورته، ولكنه توازن عادة ما يكون محفوفاً بالأخطار، ويُمكن كسره في لحظة بشكل يضر الجميع، حتى من لم يشاركوا في الصراع.⁽¹⁾ واستناداً إلى هذه الحالات والاختبارات تحديداً، لم تكن حرب النجوم التي أطلقها الرئيس الأميركي رونالد ريغان في ثمانينات القرن العشرين، مجرد فرصة استراتيجية فقط للهروب من صراعات الأرض نحو صراعات الفضاء، لإرباك السوفييات في مرحلة دقيقة من تاريخهم، ما أدّى في خاتمة المطاف إلى انهيار الاتحاد السوفيياتي وقيام الاتحاد الروسي بديلاً رئيسياً عنه ونهاية الحرب الباردة الأولى، بل رؤية مستقبلية شاملة للصراعات الآتية خلال الحروب الباردة المقبلة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وخصوصاً بعد أن دخل الصينيون بكلّ ثقلهم إلى حلبة الصراع!!

خاتمة وتوصيات بحثية.

عنوانان لكتابين تاريخيين نوعيين، يختصران بذور ومسببات الحرب العالمية الثالثة في قلب نهايات الحرب العالمية الثانية، «داخل الرايخ الثالث»⁽²⁾، و«هرمجدون معركة ألمانيا 1944 - 45»⁽³⁾، فإن لم يستطع المجتمع الدولي والأمم المتحدة منع حدوث الحربين العالميتين

(1) شادي عبد الحافظ، هل تبدأ روسيا الحرب العالمية الثالثة من الفضاء؟، الجزيرة، 14/5/2024.

(2) Albert Speer, Inside the Third Reich, London, 2003.

(3) Max Hastings, Armageddon The battle for Germany 1944-45, Pan Books, London, 2015.

الأولى والثانية، فليمنعنا مسببات الحرب العالمية الثالثة، ليس بهيئة دولية خفية تهرب بهذه الحرب إلى الأمام، بل بتغليب منطق التوافق والحوار والسلام! لقد كان العالم موشكاً أن يتلمّس فرص الحرب العالمية الثالثة، في خضمّ الأشهر الأخيرة من الحرب العالمية الثانية نفسها، وستبقى جوانب كثيرة في المفاوضات بين النازيين والأميركيين سرية وقد لا تُكشف أبداً... «وثمة شخصان مهمّان على مستوى المجموعة القيادية المحيطة بالفوهرر، اختفيا مع بداية شهر أيار 1945: مارتن بورمان، كاتم أسرار الفوهرر وإيفا، وهاينريش مولر، الملقّب بغستابو مولر، رئيس شرطة الدولة السرية، الغستابو، إن مسألة اختفاء بورمان ومولر، مرتبطة كما يبدو بتنسيق مباشر مع الفوهرر، ضمن مهام سرية ومحددة وغير معروفة حتى اليوم! وربما دون علم ألبرت شبير نفسه!»⁽¹⁾، شخصان مهمّان ومهمّتان نوعيتان، الأولى تتعلّق بإنهاء الحرب في الشرق الأقصى بعد نهايتها في أوروبا... فإن كانت النروج قلعة النازيين الصلبة التي استثمرت في المفاوضات، فالشعب الياباني مستعدّ كلّ للتضحية خلف الإمبراطور! «لقد فتح تدمير برلين بالكامل وألمانيا تالياً، جواً وبراً، من قبل الأميركيين والحلفاء الغربيين والسوفييات، خلال سنتي 1944 و1945، الطريق أمام استسلام ألمانيا النازية، ولكن على مرحلتين (7 - 9 أيار 1945)، وأمام توجيه إنذار شامل وخطير إلى اليابانيين، الذين لم يثنهم ما حدث عن متابعة الحرب العالمية الثانية حتّى النهاية، فكان الحلّ الأميركيّ الأشرس والأعنف بإلقاء قنبلتين ذريّتين على هيروشيما (6 آب) وناكازاكي (9 آب)، وقد خلّفتا دماراً هائلاً وخيفاً، ومجالاً من القتل والألم والعذاب... ولكن مجرد إلقاء القنبلتين الذريّتين على الأراضي اليابانية، مفاجأة من العيار الثقيل!! من الواضح أنّ التوجّه الأميركيّ العالي المستوى، كان لتوجيه القنابل الذريّة باتجاه ألمانيا النازية، إلّا أنّ ظروف الحرب وتطوّراتها دفعت الأميركيين لاستعمالها ضدّ الإمبراطوريّة اليابانية!! يطرح فيلم: الذي لا يُكسر أنبروكن، إنتاج سينمائيّ أميركيّ سنة 2014، حجم الولاء اليابانيّ لقدسيّة

(1) د. إيلي جرجي الياس، أدولف هتلر وإيفا براون من برلين إلى الأرجنتين حب أقوى من الحرب، ص 98.

فكر ▶

شخص الإمبراطور، وفي المقابل إرادة التضحية بالذات لدى المواطن الياباني... أمة إن دخلت الحرب وقتذاك، متعطّشة للانتصارات، ولكنها رافضة للهزائم، حتى استعدادها للانتحار أو الموت جماعياً إذا اقتضى الأمر... وانطلاقاً من ذلك رأى الأميركيون في القنبلة الذرية حاجة وضرورة!! ويدرس فيلم: ملتقط الكرة كان جاسوساً، ذا كاتشر واز إي سباي، إنتاج سينمائي أميركي سنة 2018، احتمالات المفاوضات حول إنتاج القنبلة الذرية، بين الأميركيين والنازيين - ضمن مفاوضات شاملة محتملة - في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، في سويسرا، عبر التواصل غير المباشر مع عالم الذرة الألماني وارنر هايزنبرغ!! وتتوالد الأسئلة وتترابط وتتشابك: هل استفاد الأميركيون من التجارب الألمانية لإنتاج القنبلة الذرية التي استعملت في اليابان، فساهمت لاحقاً في صنع السلام بين الإمبراطور هيروهييتو والأميركيين، بعد إقصاء أنصار الحرب من القادة اليابانيين؟ هل كان ثمة تفاهات سرّية بين الأميركيين والألمان، أو بين الأميركيين واليابانيين، أو بين الأطراف الثلاثة، على هامش نهاية الحرب؟⁽¹⁾، على الأرجح، نعم!! وتتوثق هذه الحقيقة يوماً بعد يوم، فتصبح معركة هر مجدون كلمة معبرة عن معركة ألمانيا أو معركة اليابان، في الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية المدمرة والتي كادت تفني البشرية أو معظمها... أما المهمة الثانية فدقيقة أكثر من الأولى، على ضوء اعترافات عديدة للمحيطين بالفوهرر - وذلك بعد الحرب العالمية الثانية - حول امتلاك ألمانيا لسلح دمار شامل، ولو تمّ التعقيم عليها... «وتحرّكت الدائرة المسيحية في المحيط النازي: مفاوضات سرية ومعقدة مع الأميركيين، إيفا تقنع هتلر بالهروب من برلين على متن طائرة تقودها صديقتها المؤمنة أيضاً هانا رايتش، وألبرت شبير العائد الى الله، على ما ستشهد له لاحقاً زيارته الكثيرة الى الأديار، يهندس عملية الهروب الكبير الى الأرجنتين... ليس ألبرت شبير فحسب، بل عودة الى الإيمان

(1) د. إيلي جرجي الياس، ألمانيا النازية والإمبراطورية اليابانية، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 92، تشرين الأول 2022، ص 94، 95.

لدى مارتن بورمان وعشرات الموالين للفوهرر... والغطاء الفاتيكانيّ السريّ جاهز، مع دعم كامل وشامل من حاكم إسبانيا الكاوديو الجنرال فرانسيكو فرانكو المعتدّ بإيمانه الكاثوليكيّ، ومن رئيس الأرجنتين المؤمن أيضاً خوان بيرون... لتنته النازية، ولتتصر المحبّة من جديد... تلك المحبّة الرائعة ومعها الرحمة الساطعة، على ما تنادي الأديان السماوية، والأفكار الإنسانية الأساسية! ولحظة الوصول الى الأرجنتين، ركعت إيفا في حرم الكنيسة، لتشكر يسوع المصلوب، أنّه منحها وهتلر فرصة حياة عائلية جديدة! أنّه منح البشرية المعذّبة فرصة جديدة للحياة! فلاجل إيفا، كلّف هتلر بورمان بضمان عدم استعمال سلاح الدمار الجرثوميّ البيولوجيّ الشامل، وعدم وقوعه بيد همملر نفسه! إنّ الله وحده يعرف الساعة!⁽¹⁾، لقد منح الله في الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية الإنسانية فرصة جديدة للحياة، فهل أدركت نعمة هذه الفرصة؟ ربّما، ولكن ليس بالدرجة المطلوبة! فالواجب، بالأمس قبل اليوم، واليوم قبل الغد، تغليب فرص السلام والأمل والخير واحتمالات البجوحة والرخاء والنجاح... «وليس غريباً أنّ دعاة المحبّة والذين يؤمنون بالحُبّ ويعيشونه في حياتهم الخاصّة والعامة، هم أنفسهم من يسعون لتوطيد السلام بين الأفراد والمجتمعات والدول حسب إمكانياتهم المتاحة طبعاً!! ومن المنطقيّ أيضاً أنّ دعاة العنصرية والكراهية يقفون خلف الحروب العنيفة والرهيبة مع ما تترك من تداعيات مؤلمة... وكما أنّ الخير أقوى من الشرّ دائماً، فالحُبّ أقوى وأسمى من الحرب حتماً!!⁽²⁾، وهذا الأمر ليس فقط في خانة الرجاء والطلب فحسب، بل يجب أن يكون الهدف السامي للمجتمعات والمنظّمات والجمعيات والدول والبلدان والأوطان والأمم المتّحدة: تمكين منطق السلام وتغليب لغة المحبّة... أمّا بالنسبة للعلاقة الجوهرية بين الحرب العالمية الثانية

(1) د. إيلي جرجي الياس، الدولة النازية في أميركا الجنوبية مفاجآت هائلة في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، دار سائر المشرق، بيروت، آذار 2020، ص 92.

(2) د. إيلي جرجي الياس، حبّ وخطر... في عشّ النسر، دار أبعاد، آذار 2024، ص 5.

فكر ▶

والحرب العالمية الثالثة، والتي يكتنفها حتى اليوم غموض كثيف وتحتاج إلى المزيد من التحليل والتوثيق، فعرضة لمسارات بحثية مستقبلية هادفة!!

إنّها الفرصة الذهبية للإنسانية جمعاء - وللشعوب على كوكب الأرض خصوصاً - في الربع الثاني من القرن الحادي والعشرين في خضمّ بدايات الألفية الثالثة، أن تلتزم جانب المحبّة والسلام والرجاء والرخاء... وفي الأمر باقّة من التحدّيات بعد تاريخ من الحروب توجّهتْ حربان عالميّتان مدمّرتان: الأولى 1914 - 1918 والثانية 1939 - 1945، فباتت البشرية ليس أمام خيار بل أمام الاختيار فالقرار! «فإما أن ترغم على صنع عالم بتخطيط متبصّر، وإما أن نحكم على أنفسنا بالدمار. إنه مجال اختيار رهيب. إنه يجعل الناس يشعرون بأقدامهم تقترب من الهاوية. لكنه كذلك مجال اختيار قد يثبت أنه الطريق المؤدّي إلى الخلاص.»⁽¹⁾، ولقد حاول السوفيّات والروس من بعدهم استيعاب مسار الحروب العالمية بتجليّيات الحروب الباردة، فاستوعب الصينيون ودول أوروبا الغربية تلك الحروب واستثمرها الأميركيون ما دامت تخدم مصالحهم إلى حين! ودفع العالم الثالث الثمن غالياً... ولكن لن تكون الحروب الباردة: الأولى 1947 - 1991 والثانية 2000 - 2020 والثالثة 2022 - والمستمرّة حتى اليوم، هي الحلّ... ما دامت رغبات خفيّة بحربٍ عالمية لما تزل قائمة، بين فرص حربٍ نووية في غلاف الأرض قد يكون لها تداعيات خطيرة على سطح الأرض، وبين أمانٍ أو مساعي منظماتٍ سرية... «في عام 1974 حققت الولايات المتحدة نجاحاً كبيراً عندما قامت مصر في عهد الرئيس الراحل أنور السادات بقطع علاقاتها مع الاتحاد السوفيّاتي وانتقلت إلى المعسكر الغربي. وحاول الاتحاد السوفيّاتي تعويض هذه الخسارة عن طريق غزو أفغانستان، ولكن تبين أن هذه الحرب كانت مكلفة.

(1) هارولد لاسكي، قواعد علم السياسة، ترجمة جماعة من الأساتذة، مراجعة وتقديم: د. محمد كامل ضاهر، دار البيروني، بيروت، الطبعة الأولى، 2015، ص 891.

وتفكك الاتحاد السوفياتي في نهاية المطاف لأنه كان غير قادر على كسر العزلة المفروضة عليه التي منعت من الوصول إلى طرق التجارة البحرية، ما أدى إلى الانتصار الأميركي. وتهدف التوجهات الأميركية الجديدة إلى الهيمنة على العالم في الوقت الذي تحاول قوى مثل روسيا والصين مواجهة هذه الهيمنة.⁽¹⁾ لذلك ترتدي قضية وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى سدّة الموقع الأوّل في الاتّحاد الروسيّ مع فاتحة الألفية الثالثة يوم 1/1/2000 طابعاً استثنائياً ونوعياً... إلا أنّ الحروب الباردة، رغم بعض إيجابياتها الظاهرة، لم تمنع من ظهور منعطفات شديدة الخطورة وقابلة لتفجير آليات الحرب العالمية الثالثة: أزمات برلين وحصار برلين بين المعسكرين الشرقيّ والغربيّ 1945 - 1950، ومن ثمّ أزمة جدار برلين سنة 1961، أزمة الصواريخ الكوبية الحادّة والطويلة سنة 1962، اصطدام الغواصتين السوفياتية والأميركية في بحر بارنتس سنة 1969، الحرب الاستخباراتية والأمنية المرادفة لحرب فيتنام في ستينات وسبعينات القرن العشرين، الصراع في الشرق الأوسط وخصوصاً في خضمّ حربي 1967 و1973، مناورات حلف شمال الأطلسي وتحديداً عملية تدريب أبل آرثر 83 سنة، تداعيات انهيار الاتّحاد السوفياتي سنة 1991، الصراع في كوسوفو سنة 1999 بين الأميركيين والروس، عملية قصف السفارة الصينية في بلغراد خلال شهر أيار 1999، المواجهات الاستخباراتية المتكررة في أفق تايوان بين الصينيين والأميركيين، الربيع العربيّ وتحديداً أزمة سوريا، الحرب الأوكرانية الحالية وحرب غزّة الحالية... يقيناً أنّ الحروب الموضوعية المفتوحة ليست الحلّ، بل الحلول الجيوستراتيجية المستدامة عبر العالم، وفي مقدّمها قيام الدولة الفلسطينية السيّدة الحرّة المستقلّة وعاصمتها الطبيعية القدس الشريف... تبقى المحبّة هي الأمل، والسلام هو الرجاء! «أوجّه كلمة من القلب إلى القارئ الذي أدعوه ليُفكّر بعمق وإخلاص مع نفسه. الناس يموتون، والجميع سيقومون،

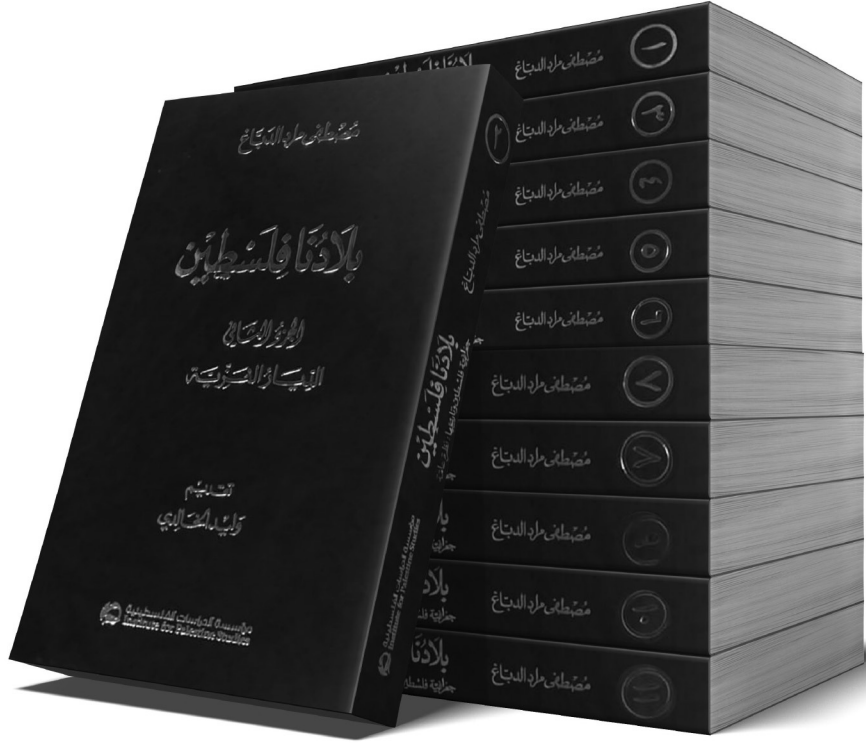
(1) د. جمال واكيم، أوراسيا والغرب والهيمنة على الشرق الأوسط، دار أبعاد، الطبعة الأولى، 2016، ص 100.

فكر ▶

كلّ واحد لمصيره الأبديّ الذي يستحقّه. وأنت إلى أين تذهب؟⁽¹⁾، الموقف الفرديّ النبيل المرغوب يقود حكماً إلى الوعي المجتمعيّ المطلوب! على الإنسانية أن تستفيد من تجاربها، ولن تنتصر البشرية في التاريخ الحديث والمعاصر، إلا بتطبيق وتحقيق وتوثيق قيم المحبّة ومبادئ السلام عبر العالم...

ويبقى التحديّ الأكبر والأنضج للإنسانية جمعاء تغليب منطق السلام والعدالة على كلّ المستويات، ما يقود حكماً إلى تبديد أيّ احتمالٍ من احتمالات الحرب العالمية الثالثة! فخير الأمور إنهاء الحروب بالحلول المنطقية والعدالة، وليس توصيف لتجليات محتملة للحرب العالمية الثالثة على غلاف الأرض أو في باطنها، فقد تفلت الأمور من عقابها مجدداً كما كاد يحدث سنة 1983، وساعتئذ لن تترك الحرب النووية المدمرة فرصة للسلام! فليتنصر السلام ولتُسد المحبّة!

(1) النائب القسيس د. إدكار طرابلسي، رحلة الموت من البيت الأرضي إلى البيت الأبديّ، الطبعة الأولى، 2022، ص 210.



مؤسسة الدراسات الفلسطينية

شارع أنيس النصولي - فردان

ص. ب.: 7164 - 11

الرمز البريدي: 2230 - 1107

بيروت - لبنان

هاتف: 804959 - 814175 - 1868387 (+961)

فاكس: 1814193 (+961)

ipsbeirut@palestine-studies.org

تعددية الأحزاب السياسية الكردية وتأثيرها على القرار السياسي (حزب العمال الكردستاني نموذجاً)

د. قاسم سمحات(*)

المستخلص:

يعالج هذا البحث تعددية الأحزاب السياسية الكردية، وتأثيرها على القرار السياسي (حزب العمال الكردستاني نموذجاً).

الحياة السياسية لدى الأكراد عرفت تعددية حزبية مختلفة، بلغت ما يقاب 71 حزباً سياسياً البعض منها مؤدجاً، والبعض الآخر يصب في خانة أنظمة الدول الحاضنة للأكراد وتوجهاتها، وجميع هذه الأحزاب تلتقي على هدف واحد هو السعي لإقامة دولة كردية مستقلة، أو إقليم حكم ذاتي كردي على غرار الإقليم في كردستان العراق. ولكن المتسارعات السياسية والعسكرية على ساحة الدول الحاضنة وقف الأكراد خلالها على مسافات محددة إقليمياً ودولياً من مشروع إقامة الدولة والتطلع لإقامة إقليم حكم ذاتي في كردستان الغربية. ومن الملاحظ أن الأكراد السوريين قد تأثروا وبطريقة لافتة بالحركة القومية الكردية. التي لمع نجمها وازداد نشاطها بشكل خارج الدولة السورية⁽¹⁾.

وقد أدت النظريات السياسية المعاصرة دوراً بارزاً لجهة تشكل مسار المجتمعات البشرية،

(*) أستاذ جامعي، باحث وكاتب، حائز على شهادة دكتوراه لبنانية في التاريخ ويعد حالياً أطروحة دكتوراه أخرى في العلوم السياسية من جامعة بيروت العربية بإشراف عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية البروفيسور محمد وليد عبد الرحيم.

والتي ولدت لدى الأكراد في الدول الحاضنة توجهاً لدى بعض الحاملين بالانفصال.

الكلمات المفتاحية: تعددية، القرار، مستقلة، حكم ذاتي، القومية، مسار الانفصال،

الشوفينية.

مقدمة:

في مطلع القرن العشرين بدأ الكرد في شمال سورية بالتحرك والقيام بنشاطات في مختلف المجالات وخاصة المجال (الفكري والثقافي) إضافة إلى مطالبتهم بالحقوق القومية التي تعتبر من وجهة نظرهم مشروعة ومن حقهم ولكن هناك صعوبة في تحديد هذه الحقوق لأنها في تحول مستمر وفقاً لمقتضيات المرحلة وموقف الدولة الحاضنة لهذه التحركات، في حين أن النظام في سورية آنذاك قد أفسح في المجال أمام القوى السياسية الكردية للقيام بنشاط سياسي وممارسته ضمن إطار الدولة السورية. وقد عرف المجتمع الكردي تعددية حزبية في إطار الدولة الحاضنة، وهذه الأحزاب الكردية بشكل عام مجتمعة لها دوراً مهماً لجهة تكوين المجتمع الكردي المشتت بين «يمين ويسار» إن غالبية هذه الأحزاب الكردية تعتبر نفسها في مطلق الأحوال بأنها صاحبة القرار السياسي الكردي مهما كان وضعها في الدولة الحاضنة. ولكن التنافس السياسي الكبير تخوض غماره الأحزاب الكردية الكبيرة كحزب الاتحاد الديمقراطي بزعامة مسعود البارزاني. وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال طالباني ولكن زعامة عبد الله أو جلان لحزب العمال الكردستاني الذي استقطب الإهتمام المحلي والإقليمي والدولي. حيث تصدرت لوائح الإرهاب الدولي إسمه وكان يلقي كل الدعم والإهتمام من النظام السوري زمن الرئيس السوري الأسبق حافظ الأسد فتعددية الأحزاب السياسية الكردية وإن كانت بإيديولوجيات مختلفة فجميعها تسعى لإقامة كيان كردي مستقل على أرض كردستان.

التعددية الحزبية لدى الأكراد وتأثيراتها:

تأثر الأكراد في شمال سورية والشمال الشرقي أما بالحركة القومية الكردية التي لمع

فكر

نجمها لدى الأكراد ولكن خارج سوريا. أما الأحزاب الكردية المحلية في سورية إندفعت وبشكل سرّي «لتأسيس فروع لها داخل مناطق التواجد الكردي، وغاية الأحزاب هذه إذا كانت تسعى لإستقطاب المؤيدين مهما كانت درجة ثقافتهم. والغاية من ذلك ضم أعداداً كبيرة إلى هذا الحزب أو ذاك. ومن الملاحظ أثناء تلك المرحلة كانت هناك عوامل مشجعة لتأسيس أحزاب وحركات كردية نتيجة للطمأنينة الجزئية التي شعر بها الناس إضافة إلى الإمتناع بتقبل الأفكار السياسية وجميعها ضمن أطراً محددة تصب في خانة النظام ولا تتبنى أية إيديولوجية، من شأنها تعكير الجو السياسي السائد في البلاد⁽²⁾.

مع الإشارة إلى أن هناك ثمة عوامل ساهمت وبشكل لافت وأدت إلى نمو الوعي القومي لدى الأكراد السوريين وكان التوجه الأكبر والمؤثر في هذا الوعي من أكراد «تركيا الشمالية» وهناك عوامل أخرى كانت لها مساهمة واضحة في يقظة الكرد السياسية والقومية (أكراد العراق) ونتيجة لذلك تشكل الوعي السياسي والحزبي لدى أكراد سوريا. ولا بد من الإشارة إلى النظريات السياسية المعاصرة والتي كان لها دوراً ذا شأن «وخاصة في مجالات تشكيل مسار المجتمعات البشرية»⁽³⁾. وقد برز لدى الأكراد في الدول الحاضنة توجه لدى بعض الحاملين بالإنفصال وإيجاد كيان خاص، أبعدهم عن التفاعل مع مجتمعات التي عاشوا فيها وكانوا جزءاً أساسياً منه⁽⁴⁾، فالأحزاب التي نشأت أو تأسست في سورية إبان تلك المرحلة لم يلحظ في برنامجها السياسي أية دعوة إلى القومية أو إلى الشروع بإنشاء كيان مستقل لأن هذه الأمور محرم الإشارة إليها أو التكلم بها مهما كانت الأسباب والحلول جاهزة لحل الحزب أو الحركة والزج بقادتهم في السجون. إذا يتوجب العمل وبدقة ضمن التوجهات السياسية للدولة الحاضنة ولا يجوز مطلقاً معارضة هذه التوجهات المعصومة عن الخطأ⁽⁵⁾.

وعقب تأسيس أول حزب كردي في سورية تحدث «كاميران بدرخان» أثناء إستعراضه للمسألة الكردية عام 1960م «أشار إلى كردستان التي قسمت إلى (كردستان تركيا)

«کردستان ایران» کردستان العراق. ولكنه لم يشر إلى كردستان سوريا لأنها كانت خارج هذه الأطر الحزبية. بينما كان ينظر إليها توصيفاً وجود سكان خارجها في (سوريا والاتحاد السوفياتي) أرمينيا وجورجيا وأذربيجان «وتشير مارغريت كان» إلى نضال الأكراد فتقول إن النضال من أجل تقرير المصير الكردي ظل متنقلاً من تركيا في بداية القرن العشرين إلى العراق عام 1930 و1940 وإلى إيران عام 1946. وثانية إلى العراق عام 1975م ويعود من جديد إلى إيران» ولم يلحظ ذلك في سوريا⁽⁶⁾.

الأحزاب الكردية التي نشأت في سوريا ودورها:

الأحزاب الكردية التي نشأت في سورية والغاية من إنشائها؟ وهل تمكنت هذه الأحزاب من تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها؟ أم تخلت عن مبادئ أساسية بغية ضمان إستمراريتها، لأن غالبية هذه الأحزاب كانت تعتمد وبشكل رئيسي على دعم العشائر الكردية. إضافة إلى بعض الأسر الإقطاعية ذات الشأن، وإن فشل «خويون» في إداء ما كانت تخطط له كان ذلك إيذاناً بفشل الزعامات التقليدية سواء في تحرير كردستان تركيا بل فشلها الذريع وعجزها عن إحداث ثورة كردية ذات شأن وفقاً للمبادئ والأسس التي إنطلقت من أجلها. في حين إعتبر قادتها (خويون) مجرد لاجئين سياسيين في سوريا. وتلاشت الجمعية «متتهية بذلك مرحلة تاريخ الحركة الكردية الحديثة»⁽⁷⁾ وغالبية الأحزاب الكردية التي نشأت داخل سورية إذا تعرضت هذه الأحزاب إلى إنشقاقات وإعادة تحالفات سواء مع النظام أو مع أحزاب أخرى يسارية. ومن ضمن هذه الأحزاب الكردية نذكر حزب «شورش» أو الحزب الشيوعي الكردستاني. كان تأسيس هذا الحزب عام 1946م من القسم الكردي في إيران، حيث تم نقله فيما بعد إلى القامشلية عام 1951م. وقد افتتح هذا الحزب عدة فروع له في شمالي سوريا والجزيرة بما فيها جبل الأكراد. وقد إنتشر هذا الحزب وسط المثقفين الكرد والمهتمين بالشأن السياسي في كافة المدن الشمالية البعيدين عن تأثيرات الأنباط العشائرية والقبلية⁽⁸⁾.

فكر

وفي زمن المد اليساري وفي ذروة الحرب الباردة كانت بعض الفصائل الكردية والحزبية تعتبر الحزب الشيوعي السوري من التيارات السياسية القريبة إليها، إلى أن طرأ عامل سلبي أثر على تلك المفاهيم «هو أن الشيوعيين الأكراد الذي إنتهجوا خطأ مخالفاً للتعاليم الماركسية اللينينية «حول المسألة القومية»⁽⁹⁾. فالصراع دائم ومستمر بين الموقف الطبقي الذي يمثله الحزب الشيوعي والصراع القومي الكردي، في حين كانت نظرة الكورد للحزب الشيوعي السوري مجرد حزب كردي فقط وإعتماده على العناصر الشبابية الكردية في صفوفه⁽¹⁰⁾.

نظرة الأكراد للحزب الشيوعي السوري:

كان خالد بكداش الكردي الأصل زعيماً للحزب الشيوعي السوري، الذي لم يتطرق أبداً إلى القومية الكردية في تقريره (حزب العمال والفلاحين) والذي ألقاه أمام مؤتمر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي «السوري - اللبناني» وكان يدعو لتأييد القومية العربية والدعوة للاندماج الوطني والسعي لتكوين مجتمع سوري توحيده الثقافة واللغة.

وفي تصريح لخالد بكداش أجرته معه جريدة «المختار» الصادرة في دمشق قال «إن الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان الذي إنبثق خلال نضال طويل وقاسٍ في قلب البيئة العربية السورية اللبنانية. إنما يطبق النظرية الماركسية - اللينينية على واقع ظروف حياتنا، أخذ بعين الإعتبار مميزات بلادنا وخصائص القومية العربية»⁽¹¹⁾. وقد إندفع الأكراد بقوة تسجيل المآخذ المتخذة على زعيم الحزب الشيوعي السوري (خالد بكداش) والذي ردد أمام الرئيس السوري الأسبق حافظ الأسد في إحدى اجتماعات الجبهة التقدمية «بأنه كردي المنشأ ولكنه من العرب المستعربة، نافياً في الوقت ذاته وجود جزءاً من كردستان داخل سوريا. في حين كان الأكراد داخل الحزب الشيوعي السوري يتطلعون وبشكل لافت لتحقيق مطالبهم القومية، وإصدار نشرات داخلية باللغة الكردية، «وهذا ما يتنافى مع أبسط الأمور التنظيمية في الحزب الشيوعي السوري، لأنه عند إنطلاقة الحزب كان من

مبادئه عدم الاعتراف بأية قومية لأنها بنظره أصبحت من الماضي⁽¹²⁾. وأمام هذه التطورات السياسية التي أحدثت إستياءً بين الفئات الشبابية الكردية المنظمة داخل الحزب الشيوعي، أدت إلى إنسحاب عشرات بل مئات الشباب الكرد من منظمة الحزب الشيوعي بسبب ميولهم القومية ومنعهم من نشر أي مستند أو منشور باللغة الكردية. ولكن هذه المطالب كانت غير منطقية وغير واقعية لأنها قد تجاوزت المحظور الحزبي. ولكن من وجهة نظرهم أي الأكراد تمثل الحد الأدنى المطلوب تحقيقه لمصلحة الأمة الكردية. فالوجود الكردي داخل الحزب الشيوعي السوري بنظر «المراقبين السياسيين» كان يمثل قطبين متنافرين وأن التعايش بينهما ليس إلا مرحلة زمنية محددة. لن الوعود من قبل الشيوعيين للأكراد ذهبت أدراج الرياح لأن مثل هذه الوعود عندما تعم الأهمية الاشتراكية العالم سوف تحصلون على حقوقكم شأن كل الشعوب المضطهدة. وهذا ما دفع الكرد للتموضع القومي حول أحزابهم الكردية ذات التوجه القومي. وهنا يسجل دور «بونا ماريوف»⁽¹³⁾.

في تشجيع الخلاف وتأجيجه بين الحزب الشيوعي السوري والأكراد. وهناك بعض من المآخذ الكبيرة للأكراد على الحزب الشيوعي، لأنه لم يلحظ في برنامج السياسي أية إشارة إلى القضية الكردية لجهة تحرير وتوحيد كردستان، ومحاربة الاستعمار. وهل يستطيع الحزب الشيوعي السوري على تبني هكذا مطالب دون الموافقة من الحزب الشيوعي السوفياتي آنذاك الذي يشكل رأس الهرم الأممي⁽¹⁴⁾. كان الأكراد من ضمن نشاطاتهم الحزبية يسعون لتقرير مصيرهم بنفسهم ضمن إطار الدولة السورية هذا بادئ الأمر. أما عندما قويت شوكتهم وأصبحت لهم تحالفات إقليمية وفي الجوار الجغرافي سعوا إلى إقامة حكم ذاتي على غرار كردستان العراق. ومن الملاحظ أن الأكراد مهما اختلفت آراؤهم السياسية مع بعض فإنهم يبقون على تواصل مستمر مع بعضهم البعض⁽¹⁵⁾. وهنا نستعرض بعض الأحزاب الكردية قديمة المنشأ ضمن الدول الحاضنة ولم يكن لها فعالية تذكر.

الحزب الديمقراطي التقدمي:

حزب كردي عريق عمل محازبوه في السياسة المحلية العربية حاملين هموم الأكراد على أكتافهم ساعين إلى إقامة دولة كردية تجمع هذا الشتات الكبير من الأكراد بالرغم من كل الوعود التي أعطيت لهم والتي لم يتحقق منها شيء. إضافة إلى إرسال أربعة آلاف كردي متطوع للإشتراك في حرب كوريا من قبل الملا مصطفى البارزاني الذي كان يحمل رتبة جنرال في الجيش الأحمر السوفياتي⁽¹⁶⁾. ويُعتبر جلال الطالباني الأب الروحي لهذا الحزب مقابل مسعود البارزاني وعبد الله أوجلان لباقي الأحزاب الكردية داخل سورية.

الحزب الديمقراطي الكردي اليساري:

أضيفت كلمة يساري إلى جانب الكردي. وكان هذا الحزب يُعرف عنه ميوله الثورية وتأييده لعبد الله أوجلان وتم تأسيس هذا الحزب 1965م ويعتبر هذا الحزب مرتبطاً بولائه لعائلته البارزاني⁽¹⁷⁾.

الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا (البارتي):

نتيجة للمؤتمرات التي عقدت لتوحيد جناحي الحزب (اليمن واليسار) ومنها المؤتمر الوطني في كردستان العراق ورعاية مصطفى البارزاني. ولكن هذه الجهود لم تعطي نتائجها في لم شمل الحزب الذي أصبح فيما بعد يحمل إسم البارني. وقد تعرض هذا الحزب لحمات إعتقال وترهيب من قبل عبد الحميد السراج رئيس الشعبة الثابتة في الدولة السورية. وكان وزيراً للدخلية زمن الوحدة مع مصر عبد الناصر⁽¹⁸⁾.

ونشير هنا إلى أن الأحزاب الكردية التي برزت على الساحة السياسية السورية بعد الحزب الديمقراطي الكردي ليست سوى جماعات صغيرة كان يلفها الطابع السري خوفاً من الملاحقات الأمنية وبغية الحفاظ على ديمومتها. وغالبية هذه الأحزاب الكردية من دون برامج سياسية لأن ذلك محظوراً ضمن الدولة الحاضنة وخاصة في سورية ذات النظام

الأمني. وهنا نلاحظ وبشكل واضح الارتباط العشائري والقبلي التي لا يمكن لأي حزب كردي الإستغناء عن هذا الارتباط. وتوالت الأحزاب على الساحة الكردية داخل سورية بموافقة ومراقبة الدولة السورية آنذاك. ومنها نذكر:

حزب الاتحاد الديمقراطي P.Y.D.:

يعتبر هذا الحزب من وجهة نظر السياسيين الكرد وغيرهم أنه من أكثر الأحزاب تنظيماً لديه قاعدة شعبية لافتة. ويُعتبر امتداداً لحزب العمال الكردستاني الذي يتزعمه عبد الله أوجلان، وخاصة في منطقة عفرين. من جهة ثانية يسجل على الأحزاب الكردية الأخرى الخمول والإحباط أمام تمادي قوة حزب الاتحاد الديمقراطي P.Y.D. وهذا نظراً للموارد المالية الضخمة التي ترفد الحزب⁽¹⁹⁾. وما يلفت الإنتباه أن جميع أهداف الأحزاب الكردية السورية هي ما تتحاشى المطالبة فيه علانية دولة كردية مستقلة في الشمال السوري، بإستثناء حزب الاستقلال الذي طالب بصرحة في برنامج السياسي بدولة مستقلة للأكراد «أو إلحاق المناطق الكردية في سورية بكرديستان ولا يدعو أي حزب كردي إلى إعتقاد تجربة الأحزاب العراقية والتركية من أتباع نهج الكفاح المسلح» بغية تحقيق الأهداف المرسومة⁽²⁰⁾.

فالأحزاب السياسية الكردية التي تأسست في سورية لم يكن لديها برنامج سياسي إلا ضمن إطار الدولة الواحدة. بعكس دول الجوار الجغرافي «تركيا مثال». فإن المحكمة الدستورية التركية صاحبة الشأن بدراسة طلبات الأحزاب أما توافق وتمنح الترخيص أو ترد الطلب مع عدم الموافقة.

وإذا قارنا بين نشاط الأحزاب الكردية في كل من سوريا وتركيا يمكننا أن نميز وبدقة أن الأحزاب الكردية السورية كان لديها بعض من الحرية في التعبير ولم يتعرض أي حزب من تلك الأحزاب في سورية لعمليات تصفية لكوادره أو اغتاليات. وأقصى درجات العقوبة كانت تصل للإعتقال والسجن. هنا نشير إلى أن العامل الديموغرافي يلعب دوراً مهماً في

فكر ▶

تركيا إذ يوجد في تركيا ما يقارب (13 مليوناً) من الأكراد بينما في سوريا لا يتجاوز العدد (المليون نسمة)⁽²¹⁾.

أما الأحزاب الكردية في سورية فقد عرفت إنشقاقات عديدة داخل صفوفها وخاصة بين رفاق الصف الواحد. منهم من إندفع بتأسيس حزب ذي طابع يساري والآخر بتوجهات يمينية.. أو ما عُرف عن تلك المرحلة بمسلسل (تفريغ الأحزاب).

ولو أجرينا مقارنة بين الأحزاب الكردية التي تعمل في سورية والأخرى التي تعمل في تركيا. نلاحظ أن الأحزاب في تركيا لا وجود لها وهي تحت المراقبة الشديدة ولا يسمح لها بأي نشاط. بينما في سورية كانت هذه الأحزاب الكردية تعمل ضمن توجهات النظام وبرنامجها السياسي يخلو من أي تطرف أو دعوة للانفصال والانقسامات التي حصلت في الأحزاب الكردية هو دليل عافية⁽²²⁾.

حزب العمال الكردستاني:

يعتبر هذا الحزب بيضة القبان بالنسبة لكافة الأحزاب الكردية الناشئة حديثاً والقديمة منها وحزب العمال الكردستاني هو حزب سياسي مؤدلج ويتبنى الفكر الماركسي اللينيني. ويسعى لإقامة دولة على النمط الاشتراكي تم تأسيسه عام 1978م وبطريقة سرية للغاية على يد مجموعة من الطلاب الماركسيين. وقد أنشأ حزب العمال أكاديمية «معصوم كوركماز» ويعتبر أكبر معسكر تدريبي لها في البقاع اللبناني. إضافة إلى بعض المعسكرات الصغيرة وحسب مصادر الأمن العام اللبناني 19 آذار 1979م «أنه تم رصد وجود عبد الله أوجلان في بلدة غزة البقاعية بحماية ضباط سوريين». في حين كان يتولى التدريب في المعسكر ضباط من الجهة الشعبية القيادة العامة التي تسير في الفلك السوري آنذاك⁽²³⁾. وقال عبد الله أوجلان في سياق كلامه عن حزب العمال الكردستاني وظروف تأسيسه وإنشاء المعسكرات داخل الأراضي اللبنانية لتكون بعيدة عن أعين الاستخبارات التركية وفي سياق حديثه قال: «إن

كل القوى الكردية السابقة على إختلاف مساراتها الإيديولوجية والسياسية لم تتمكن من إنجاب حركة ثورية قومية مستقلة تقوم بخلق حركة تحرر وطني عصري»⁽²⁴⁾. وتعتبر نشأة حزب العمال الكردستاني بمباركة سورية ويدعم عسكري ولوجستي وسياسي. والغاية من تأسيسه ودعمه لإستخدامه في الصراع الدائر بين تركيا وسوريا وتأتي في طليعتها مياه نهر الفرات وتقاسمها، كون تركيا تتحكم بهذه القسمة لكونها الدولة القوية عسكرياً وتمتع بموقع جيواستراتيجي مهم⁽²⁵⁾.

عبد الله أوجلان وال P.Y.D.:

تم تأسيس حزب العمال الكردستاني على مبدأ الوفاء للنهج الإشتراكي وفقاً للتعاليم الماركسية اللينينية وخاصة في سبعينيات وثمانينات القرن الماضي. ولعل أهمها الصراع الإيديولوجي «ولعل المشكلة الأساس المتعلقة بتكوين (P.K.K.) تكمن في غموضه بشأن إيديولوجيا أسماه [الولتية القومية]»⁽²⁶⁾. وكان سبب الوقوع في الغموض الإيديولوجي هذا لأن حزب العمال الكردستاني قد اعتمد صيغة أن كل القضية الكردية كانت منطلقاً لأهدافه وآرائه. أي بناء الدولة الكردية وأهم النظريات التي يؤمن بها حزب العمال الكردستاني هو اعتبار كردستان مستعمرة. وقد بنى أوجلان إستراتيجية حزب العمال الكردستاني وفقاً لهذه التوجهات وهذه المبادئ «كان يؤكد في أدبياته السياسية على حرب العصابات» التي كانت منتشرة في دول العالم الثالث في ذروة الحرب الباردة بين القطبين والغاية من ذلك إعطاء الأمل إلى العديد من الأكراد بتحقيق الحلم الكردي بقيام الدولة المستقلة على أرض كردستان⁽²⁷⁾.

النظرة السياسية السورية لحزب العمال الكردستاني:

إعتمد النظام السوري الأسبق زمن حافظ الأسد «سياسة إثارة القلاقل في محيطه الإقليمي ودعم النزاعات داخل دول الجوار الجغرافي. والعمل على إشغال هذه الدول

فكر ▶

بأمنها الداخلي وصرها عن التفكير بأي نشاط تخريبي يستهدف سوريا. ومن الملاحظ أن الدولة السورية كانت تمتلك أوراقاً سياسية في المنطقة تستخدمها وفق الحاجة، وكانت تركيا تستخدم الأكراد الذين يسرون في فلحها للقيام بأعمال تخريب داخل الأراضي السورية مما دفع بالدولة السورية العمل على استخدام أكراد موالين لها ودعمهم ضد تركيا وفي رأس هؤلاء يأتي حزب العمال الكردستاني المؤدلج سياسياً ترضى عنه سوريا وكانت أعضاؤه يتصرفون وكأنهم مواطنون من أبناء البلد. حيث سُمح لهذا الحزب بعقد المؤتمرات على الأراضي السورية. فيما الأتراك يراقبون ما يجري في أروقة حزب العمال الكردستاني الذي إذا إنتصر من شأن هذا الانتصار أن يغير معادلات كثيرة على الصعيد الشرق أوسطي. وقد أفردت جريدة «سرخبون» الصادرة في المانيا على صدر صفحاتها الاولى مقالاً تحت عنوان «أهمية سورية في مواجهة الضغوط الإمبريالية على المنطقة الشرق أوسطية»⁽²⁸⁾. وقد بقي النظام السوري على مواقفه الداعمة لحزب العمال الكردستاني في شتى المجالات السياسية العسكرية الإقتصادية وتشجيعه على مهاجمة تركيا والعراق (النظام اللدود) في تلك المرحلة. ومن المواقف الداعمة لحزب العمال الكردستاني أصدر النظام تعاميم تطلب من أكراد سوريا إداء الخدمة العسكرية داخل حزب العمال الكردستاني وعدم إدائها داخل الجيش السوري. فهذا الأداء من شأنه أن يرفد الجناح العسكري لحزب العمال الكردستاني بأعداد كبيرة من الأكراد المطلوب لأداء الخدمة العسكرية. فالتوجه عند رأس النظام آنذاك هو «ضرب عصفورين» بحجر واحد فهذه حنكة سياسة دفعته لن يجد مخرجاً لأكراد بلاده وبالتالي أصبح بيده ورقة ضغط ذات شأن كبير على جاره التركي⁽²⁹⁾. أما أوجلان فاستطاع أن يتحرك من سوريا باتجاه البلدان الاشتراكية (مجموعة حلف واسو) زمن الحرب الباردة. وقد أمنت له الغطاء الأمني المخابرات الروسية (K.G.P.). وتعتبر عبد الله أوجلان أن الفائدة التي جناها من علاقته مع الروس هي بقاءه آمناً في سورية. ويعتبر أن أكراد سوريا ولبنان قد تعرضوا للصهر بدرجة أقل مدركين كرديتهم «وأن تتطور الرأسمالية العالمية

جعلت منهم عاطلين عن العمل وهذه الظروف الصعبة التي مروا بها دفعت بالكثيرين منهم إلى صفوف قبيلتنا الحزبية بحماس وبسرعة ويشير أوجلان إلى أن إنضمام الأكراد السوريين إلى الحزب قد بلغ عددهم بين ألف وألفي مقاتل من أصل المجموعة الكاملة للحزب والتي يبلغ عديدها حوالي خمسة آلاف مقاتل. وقد نوع حزب العمال الكردستاني مصادر تمويله عن الهبات وخاصة من أكراد قبرص وأوروبا وأرمينيا وروسيا إضافة إلى ما كان يقدمه له النظام السوري من دعم مالي»⁽³⁰⁾.

«بدأ حزب العمال الكردستاني في نضاله عند النقطة التي كان السؤال فيها: هل يوجد شعب كردي أم لا؟ أما الآن ما تتم مناقشته هو كيف يجب حل المشكلات الكردية»⁽³¹⁾. كان حزب العمال يتصدر النشاطين السياسي والعسكري لكونه أقوى الأحزاب الكردية عسكرياً وخاصة الدعم العسكري الكبير الذي يتلقاه من النظام السوري آنذاك. فتعددية الأحزاب الكردية ليست ذات شأن وخاصة على الساحة السورية لأنها أحزاب ضعيفة تخضع لإملاءات الدولة في حين أن أحزاب الأكراد في تركيا مماثلة ضعيفة ولا يجرؤ أي حزب على إعلان برنامج سياسي أو توجه معين بينها في العراق، الطالباني والبارزاني يتنافسان على تولي المناصب السياسية في الدولة العراقية. ويبقى عبد الله أوجلان هو النجم الذي بقرارة نفسه سوف يحقق للأكراد آمالهم إذا بقيت الأمور تسير وفقاً لما هو مخطط لها. وقد تفاقمت الأمور سريعاً بين الدولتين الجارتين تركيا وسوريا وكادت الحرب أن تندلع وبقوة لولا التدخل الإيراني زمن الرئيس «محمد خاتمي» والرئيس المصري آنذاك حسني مبارك والعاقل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز كان هذا التدخل فعالاً أو وقف شرارة الحرب. وكان لتدخل رئيس وزراء لبنان الأسبق الرئيس الشهيد رفيق الحريري دوراً مكوكياً بين الدولتين لما تربطه مع سياسيتها علاقات واحترام متبادل وقد عملت الدبلوماسية عملها وخاصة عندما قام الرئيس حسني مبارك بزيارة خاطفة لدمشق وأبلغ الرئيس السوري عزم تركيا على القيام بضربة خاطفة وبدعم أميركي ودعاه إلى اللجوء للدبلوماسية كأمر ذا

فكر

شأن وغاية في الأهمية. وكان الشرط التركي الأساسي إبعاد عبد الله أو جلان عن الأراضي السورية. وكان لأوجلان علاقات ود وصدافة تربطه مع رأس النظام السوري آنذاك. وقد تفهم أوجلان القرار «قائلاً: لن أكون عبئاً على دولة قدمت الكثير، وأمنه الشخصي الذي ليس أهم من أمن سوريا، وقد حصلت متغيرات سياسية نتيجة إبعاد عبد الله أو جلان عن الأراضي السورية، الذي كاد أن يفجر حرباً بين الدولتين (تركيا - سوريا) وكان اتفاق أضنة بين البلدين الذي أدان الأعمال الإرهابية الموجهة ضد البلدين من دون تسميات. فإدانة الأعمال الإرهابية بالملق من دون تمييزها عن المقاومة ضد الاستعمار والاحتلالات في فلسطين وفي كل البلدان التي لها أراضٍ محتملة أو بلدان. فتركيا بحد ذاتها تريد إدانة الإرهاب الموجه ضدها والباقي لا يعينها⁽³²⁾.

شخصية أوجلان السياسية المشبعة بالفكر الماركسي:

كان أوجلان نجم الأحزاب الكردية كشخصية سياسية ذات شأن، مثقف من الطراز الأول سياسياً ومشبع بالفكر الماركسي إذا صح التعبير. لماذا الإطالة السردية عن الحزب الكردستاني وشخصية عبد الله أو جلان لأن بقية الأحزاب الكردية ضعيفة وليس لها أي شأن اعتباري ولعل أهم ما يمكن الإطلاع عليه الحوار الذي أجراه نبيل ملحم مع عبد الله أو جلان عام 1996م: ولعل أهم اعتراف تضمنت المقابلة تصريحات خطيرة عندما قال أوجلان «إنه لا شيء اسمه كردستان سوريا ولا أثر للوجود القومي الكردي في سوريا. لأن غالبيتهم مهاجرين أو متسللين عبر الحدود فارين من الظلم والإرهاب الذي كان يمارس بحقهم في أقرة وباقي المحافظات التركية إلى سورية وإن الحزب الكردستاني يحاول إعادتهم إلى موطنهم كردستان⁽³³⁾. في حين يعتبر أوجلان هؤلاء أقليات في سورية إستقروا فيها «ولا مجال لتأسيس دولة كردية في سورية، وإن مشاكل سوريا هي مع الأتراك وليست مع الأكراد». ويشير أوجلان إلى أن أكراد سوريا يشكلون أقل من 5% من الأكراد. وقد جاؤوا من الشمال وإذا كانوا يريدون دولة عليهم التوجه نحو الشمال. وبعد خروج عبد

الله أوجلان من سوريا واعتقاله من قبل المخابرات التركية في «مطار نيروبي كينيا» برزت في الأفق السياسي معادلة مهمة كانت تركيا الرائدة في هذا المجال هو اتفاقها مع حزب البارزاني والطالباني. على أساس مناهضة حزب العمال الكردستاني. حيث أصبحت القضية الكردية على نار حامية حيث قطعت علاقة الحزب بمعظم روابطه داخل سورية إضافة إلى إيران واليونان وبعض الدول التي أعطت أوجلان الدعم الكامل. وكان الحزب قد صنف كمنظمة إرهابية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية إضافة إلى إدراج أسماء قادة الحزب كتجار مخدرات عالميين⁽³⁴⁾. وحسب المحللين السياسيين الذين اعتبروا إزدياد قوة أكراد سوريا وإرتباطاتهم بالأحزاب الكردية الفاعلة كحزب العمال الكردستاني ستزيد من قوة وتأثير الأكراد الأتراك. لذلك عمد النظام التركي بقوة لمنع إزدياد نفوذ وقوة الأكراد على أراضي الدولة لأن إزدياد قوتها أي الأكراد. ستشكل خطراً على الأمن القومي التركي. لذلك كانت أولى خطواتها السياسية هي إقفال كافة مكاتب حزب العمال الكردستاني المنتشرة على طول الأراضي السورية لأنه بإستمرار إفتتاحها ستكون خطراً شديداً على تركيا. وقد فاجأ زعيم حزب العدالة والتنمية «أردوغان» الرأي العام التركي، بأن هناك مفاوضات تتم مع أوجلان من معتقله بجزيرة «ايمرالي» يتولاها رئيس الاستخبارات التركية حاقان فيدان⁽³⁵⁾. ومن خلال مقابلات أجريت مع قادة حزبين داخل حزب العمال الكردستاني حيث كان محور أسئلتهم حول اعتماد الحزب للإرهاب ضد المدنيين الأتراك وكان الجواب إن المقاتلين في الحزب هم قمة في المثالية وإنهم يميزون بين السلوكيات الأخلاقية وغير الأخلاقية أثناء القتال. فالغرب دائماً يقف إلى جانب الأقوى وخاصة الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وسيكون حتماً مع تركيا ضد الأكراد وهذا ما يشار له عن النظرية الواقعية التي تحكم العلاقات الدولية أي (المصالح والقوة). هذا التناقض الحاصل ليست إلا انعكاساً للعالم الذي تسوده الفوضى وينطبق هذا على النظرية الواقعية الهجومية عن العلاقات الدولية. ويقول في هذا الصدد «ميرشايمر» أحد

فكر ▶

مجندي الواقعية الهجومية معتبراً أن المؤسسات الدولية القائمة على المصالح الذاتية للقوى الكبرى ذات الشأن ولديها الحد الأدنى من التأثير على سلوك الدول⁽³⁶⁾. وتبقى التطورات الإقليمية والدولية هي من تقرر إعادة رسم الخرائط الجغرافية مع تعديلاتها الديموغرافية. وهنالك ملاحظة أن وضع الأكراد في تركيا لا يختلف عن وضع الأكراد في العراق، والذي خاض غمار صراعات دامية من أجل الوصول إلى الحكم الذاتي في شمال كردستان. وهذا ما أعطى لأكراد سوريا للسير على خطى أتراكهم الأكراد في إقليم كردستان العراق. لكن التطورات اللاحقة أظهرت إنتباه تركيا لخطورة دعم أكراد سوريا لأكراد تركيا لكون الحدود الجغرافية تسكنها أكثرية كردية من الجانبين والتواصل بينهم مستمر وبشكل لافت لكلا الجانبين (التركي والسوري) وقد سجل ولادة حزب الاتحاد الديمقراطي وعلى الفور إعتبرته تركيا بأنه عدو إنضم إلى مجموعة الأحزاب المعادية للنظام التركي وأن محاربة الأكراد لم يعد داخلياً ولكن اتفاق أضنة بين الجانبين السوري والتركي أجّل المعركة حتى العام 2011م.

والملاحظ في أهداف الأحزاب الكردية السورية مجتمعة تتجنب المطالبة علانية بالحكم الذاتي على غرار مثيلاتها في العراق وتركيا بإستثناء تيار المستقبل الذي رفع الصوت عالياً مطالباً من ضمن برنامجه السياسي بدولة كردية مستقلة أو إحقاق المناطق الكردية التي ضمت إلى سوريا إحقاقها بكردستان. وهذه مجرد مطلب ضمن البرنامج السياسي. واللافت هنا أن الأحزاب الكردية في سورية لم تدعُ إلى اعتماد الكفاح المسلح بغية الحصول على حقوقهم كما فعل أكراد العراق وتركيا.

والملاحظ أن مختلف وجهات النظر السياسية للأحزاب الكردية في سورية تطالب بحل المسألة الكردية حلاً سلمياً وعلى أسس ديموقراطية من ضمن الدولة السورية وسلامة أراضيها، إضافة إلى تبني الأحزاب الكردية مجتمعة موقفاً واحداً مطالبين الدولة السورية الاعتراف من ضمن الدستور السوري أن يكون الأكراد القومية الثانية في البلاد⁽³⁷⁾.

والذي يسجل على الأحزاب السياسية الكردية عدم وضوح المطالب الثقافية والإجتماعية بشكل محدد وفقاً لما تترأيه «الحقوق الكردية» وهنا يسجل تحبط المواقف السياسية للأحزاب تخضع كل التفسيرات وفقاً للأوضاع التي تمر بها سورية من 2004م وحتى 2011م. والحزب السياسي الوحيد من ضمن الأحزاب الكردية الذي صاغ برنامج سياسي واضح وبدقة عندما قال «إن الأكراد هم مكون من النسيج الوطني السوري» وهذا الطرح يتنافى مع برامج الأحزاب الكردية الأخرى التي تعتبر أن الأراضي الملحقمة بسوريا هي: أراضٍ تابعة لكردستان والملاحظ وبدقة أن الأحزاب الكردية في سورية ليست أحزاباً دينية بعكس العراق وبعض الأحزاب التركية، في حين تنادي الأحزاب الكردية جميعها بالديموقراطية من نظمها الداخلية، بحيث أن الممارسات الحزبية تتنافى والشعارات التي تطلقها الأحزاب الديموقراطية. وقد عانت بعض الأحزاب الكردية من الشخصية «أو الصنمية لأن رئيس الحزب يبقى متربعا على عرض الحزب طيلة حياته وإعتماده مبدأ التوريث الشخصي من رئيس الحزب لابنه وهلم جرا.. وبعدها عملت الأحزاب السياسية الكردية على عملية تأطير نفسها من كيان سياسي ذات شأن يحسب له حساب والغاية من ذلك السيطرة على الشارع الكردي ومكوناته وضبطه بطريقة سليمة لإستخدامه حيث تدعو الحاجة إليه.

هنا لا بد من الإيضاح وبشكل دقيق حول أكراد سوريا الذين يعيشون على الأراضي السورية بينما أكراد تركيا والعراق يعيشون فوق أرضهم التاريخية كردستان لأن الأكراد السوريين معظمهم مهاجرون من كردستان تركيا إلى الجزيرة السورية، أن حقوقهم المطالبة بحقوق المواطنة مثل بقية المواطنين السوريين وليس الإدعاء بحقوق إنفصالية لإنشاء إقليم على غرار إقليم كردستان العراق. فالديموقراطية والمواطنة للجميع هي بمثابة نقطة ارتكاز للمجتمع الكردي السوري. فالهجرات الكثيفة التي عرفتها منطقة الجزيرة السورية من تركيا حيث اكتسب هؤلاء الأكراد الوافدين الجنسية السورية لم يكونوا مجموعات قومية

تعيش على أراضي كردستان التاريخية ليسمح لهم بطرح حقوق إقليم كردي في سوريا،
مماثلاً لإقليم شمال العراق.

حزب الاتحاد الديمقراطي ومشروع الإدارة الذاتية:

يعتبر هذا الحزب الجناح السوري لحزب العمال الكردستاني تأسس عام 2003 في أحد معسكرات حزب العمال الكردستاني بعد أن نظم مؤتمره التأسيسي فيها. وهذا الحزب الناشئ لم يكن رقماً يضاف إلى الأحزاب السياسية الكردية، وقد أقدم حزب الاتحاد الديمقراطي على إجراء مفاوضات مع النظام السوري وكانت نتيجتها هي أن يدعم الحزب النظام ويتعامل مع السلطات الرسمية مقابل دعم الدولة السورية لوجوده داخل الأراضي السورية مع قبول قيامه بالأعمال السياسية ضمن إطار هيكلية حزب الاتحاد الديمقراطي. ويقبل الحزب قائد الشعب الكردي عبد الله أوجلان قائداً له وحزب الاتحاد الديمقراطي هو حزب جماهيري سياسي يرفض المفاهيم والمواقف الشوفينية ويؤمن بالتعددية وحرية المعتقد. وكان يسعى لإجراء مفاوضات مع بقية الأحزاب الكردية الأخرى في أجزاء كردستان بهدف توطيد الوحدة الوطنية «وبناء علاقاته مع كافة الشرائع المجتمعية ومنظمات المجتمع المدني السوري على أساس المواطنة الحرة ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في المجتمع وكافة الحقوق»⁽³⁸⁾.

وقد عمل الحزب على تطوير نظام الإدارة الذاتية الموجودة في الشمال السوري وفي الشمال الشرقي «روح آفا» والذي إعتبره الحزب الحل الأنسب والأنجع لجميع القضايا ونشر هذا النوع من الإدارة الذاتية وتعميمه على جميع المناطق السورية، والهدف من ذلك ديمقراطية سورية بعيدة عن اللامركزية السياسية.

خلاصة البحث:

تكمن أهمية الأحزاب السياسية الكردية داخل الدولة السورية أنها كانت تتنافس

لأن تكون أحداها هي صاحبة القرار السياسي التفاوضي مع الدولة السورية ولكن هذه الأحزاب لم تكن لديها المقدرة التنظيمية والسياسية لتصدر زعامة هذا القرار باستثناء حزب العمال الكردستاني الذي يتزعمه عبد الله أوجلان المشبع بالفكر الماركسي وكان حزبه مؤدجاً وتربطه صداقة متينة مع النظام لجهة الدعم اللوجستي بمختلف أنواعه من عسكري مادي تسليح الخ... وبقي حزب العمال الكردستاني صاحب القرار السياسي متزعماً كافة الأحزاب السياسية الكردية لأنه يحظى بدعم النظام ويعمل ضمن توجهاته حتى كان الاتفاق الإقليمي بتهجير عبد الله أوجلان سياسياً وضرب مخططاته وتحلي الحلفاء عنه نتيجة لعلاقات الدول المجاورة مع بعضها.

المراجع

- 1 - عبد الله حنا: صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية القرن العشرين وأجواؤها الاجتماعية، ط1، 2018م، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ص 309.
- 2 - جريدة طريق الشعب العراقية، العدد «25»، 1989، ص 35.
- 3 - مهند الكاطع: أكراد سوريا التاريخ الديموغرافيا السياسية، ط1، 2020م، دار قناديل للنشر والتوزيع، ص 287.
- 4 - مهدي عامل: نقد الفكر القومي، ط2، 1989، دار الفارابي، بيروت، ص 104.
- 5 - عبد الله حنا: صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية، مصدر سابق، ص 310.
- 6 - كاميران بدرخان، مهندس العلاقات الكردية اليهودية.
<https://www.kitabat.com> تاريخ الزيارة 30 / 6 / 2024، الساعة 17,00
- 7 - فريق باحثين، مسألة أكراد سورية. الواقع. التاريخ. الأسطورة، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة - قطر، ط1، 2013، ص 75.
- 8 - دنيز إيكه: الحزب الشيوعي الكردستاني، علينا أن نكون مرآة لشعبنا، 15 آذار 2020.
<https://www.anfarabic.com> تاريخ الزيارة 2 / 7 / 2024، الساعة 23,00
- 9 - صلاح بدر الدين يتذكر موقف الحزب الشيوعي السوري من المسألة القومية الكردية، طبعة أولى، 2011، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ص 181.
- 10 - كاظم حيدر: الأكراد من هم وإلى أين، منشورات الفكر الحر، بيروت، 1959، ص 38.
- 11 - مقابلة خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري مع جريدة المختار الصادرة في دمشق، العدد 79، 28 ت 1955.
- 12 - إسماعيل محمد حصاف، تاريخ كردستان سوريا المعاصر 1947 - 1962، ج2، 2017م، كردستان العراق، ص 105.
- 13 - عماد نداف: خالد بكداش يتحدث قصة الإنشقاقات داخل الحزب الشيوعي السوري ودور «بونا ماريوف» في تشجيع الخلاف، جريدة السفير رقم العدد 6531، تاريخ 20 / 7 / 1993.
- 14 - صلاح بدر الدين يتذكر: موقف الحزب القومي السوري، مصدر سابق، ص 180.
- 15 - مظفر مزوري: الكرد وحق تقرير المصير.
<https://www.aljazeera.net> تاريخ الزيارة 3 / 5 / 2024، الساعة 18,00

16 - حسن خليل وعلي مزرعاني: الحزب الشيوعي اللبناني في أوراق الأمير فريد شهاب الشيوعية، طبعة أولى، دار الفارابي، 2018م، بيروت، ص 10.

17 - مهند الكاطع: أكراد سوريا: التاريخ - الديموغرافيا - السياسة، مصدر سابق، ص 301.

18 - علي جزيري: الكرد وكردستان: كردستان سوريا أنموذجاً، مطبعة أربيل، طبعة أولى، 2017م، ص 535.

19 - فريق باحثين: مسألة أكراد سورية: الواقع - التاريخ - الأسطورة، مصدر سابق، ص 81.

20 المصدر نفسه، ص 83.

21 - أسيل عيد: القضية الكردية في العلاقات التركية - السورية، رسالة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة بيرزيت، 2021م.

22 - عصمت شريف وائل: حول الاستراتيجية السياسية والعسكرية للحركة الوطنية الكردية كتابات في المسألة الكردية، ج2، ص 276 - 277.

23 - جريدة الأنوار اللبنانية، 19 آذار 1979.

24 - L'orient Le jour; Des secrets des dieux des sources documentées rapportent qu'une partie non libanaise est en train d'établir des camps d'entraînement dans la Bekaa occidentale sous protection, syrienne, 19 Mars 1979 - 1980.

25 - أشواق أحمد مناف عبد المقصود: حزب العمال الكردستاني وتطور المسألة الكردية في تركيا، مجلة كلية الآداب جامعة بني سويف، ع57، ديسمبر 2020، ص 307.

26 - الوليتية القومية: منطقة جغرافية تستمد شرعيتها السياسية من تمثيلها لأمة أو قومية مستقلة «الدولة القومية هي كيان ثقافي وإثني» إسماعيل بشكجي، كردستان مستعمرة دولية، ص 101.

27 - عبد الله أوجلان: القضية الكردية وحل الأمة الكردية، ط3، ترجمة من التركية زاخوشا، مطبعة أزادي، طبعة أولى، [د.ت.]، ص 285.

28 - جريدة سرجون تعني بالعربية (الاستقلال) تصدر شهرياً في المانيا باللغة التركية وهي لسان حزب العمال الكردستاني، كانون الثاني 1982، من محفوظات مكتبة يافث الجامعة الأميركية بيروت، تاريخ 15 / 5 / 2023، الساعة 12,00

29 - كوتشيرا كرسبي: مسيرة الكرد الطويلة، ط1، 2004، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص 253.

30 - عبد الله أوجلان: مانيفستو الحضارة الديمقراطية القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية، ط3، مصدر سابق، ص 367.

فلسفة الألوان

وعلاقتها بالذات الفنية والنفس البشرية

د. ديمارعد - رئيسة قسم الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية -الضلع الرابع

المقدمة

إنّ الفنّ هو صناعة الوجود بقوالب جديدة، وهو تكسير للمرئيات بغية كسب اللامنظور اشتقاقاً معرفياً لتوليد الطاقة الكامنة في النفس البشرية، وتحريرها من الخمول والكسل والخذلان، من أجل توليد معارف جديدة تصقل الكون وتحرره من انعتاقه، وتفتح آفاقاً جديدة لتشكّله مرة بعد مرة إن لم نقل مرات كثيرة...

والعمل الفني ليس سلعةً، وإنما أيقونة مفتوحة على الأبدية، على الخلاق في الإنسان واللّهب المستعر داخله، إنّه إذكاء مستديم للهب الروح على هذه الأرض وتحويلها إلى شمس ...

ولطالما تعتبر الفلسفة أن الإنسانية لم توجد عبثاً وهي التي تعلم وتعلّم أن الوجود ليس عبثاً، فالنفس البشرية وجدت أن الإنسانية واحدة مع القوى والعناصر الضابطة والمحركة للكون، إنّ النفس البشرية مصنوعة من الألوان التي هي غذاؤها مثلما الخبز والماء غذاء الجسد ...

لذا، يمكن اعتبار فلسفة اللون لوحة مزج فيها الفنان ألواناً متناغمة لتكون مرآة مضيئة لداخله، لرؤيته، لفرادته... وإنّ الألوان في الخارج هي غمام نفساني تنتشر وتحوّل وتتجمّد أصبغة لونية عندما يلامس الفنان المادة اللونية، فيغلّفها ويزينها ويسكنها ويعطيها نفسه، إنها في الداخل، الميول والأمانى والعواطف، والأحاسيس والأفكار. الألوان هي مادة النفس ولُغتها بكل ما فيها من مشاعر وتصوّرات وتدقّقات ... هكذا يتحوّل اللون والخط

ليصبحا مغامرة كونية جديدة⁽¹⁾

أمام هذا الاعتبار، نعي أن « اللون كينونة وغاية » - كما يقول الفنان حليم جرداق في كتابه تحولات الخط واللون - ص 134⁽²⁾ وهو إلى ذلك قياس فني يُعيد صياغة العالم بطريقة مغايرة كما يقول بول كليه Paul Klee في تطّلعات الفنّ الحديث من خلال فنان حديث: «ليست يدي إلا أداة لإرادة بعيدة»، والآن بدأت الأشياء تراني»...

أثر اللون على النفس البشرية

يتبادر إلى ذهن المرء أسئلة كثيرة، هل الفلسفة علم أو فن أو منطق؟ قد يُججم المرء عن الجواب، أو إيجاد صيغة تكاملية أو تفاضلية لتحديد تعريف ذهني للفلسفة، طالما العقول دوائر وكذلك القلوب والأنفس، ويختار المرء في إيجاد تحليل واضح لظاهرة الأسئلة المتكاثرة التي تبديها الفلسفة، خاصة فيما يتعلق بالتوصيف والدلالات للتحولات الداخلية للنفوس والعقول، لكن السؤال يبقى: هل فلسفة الفن مفهوم أو ماهية مادية أو روحية؟ إن فلسفة الألوان هو مجال واسع الأبعاد، يتصل بالأمزجة وعلم النفس الجمعي والثقافة الحية والذوق الانساني، وهو لا يقتصر على المقتنيات والتشيّوات، بل يمتد إلى المعاني، وأسس التذوق وخصب التفكير والمشاعر⁽³⁾.

يبدأ الإنسان بتمييز الألوان منذ طفولته، يهوى ويعشق بناءً على التكوين الأول لنشأته وفرحته وذاكرته ومشاعره وتأثره بالطبيعة والمحيط... فحين يهرب الإنسان من لون مبهرج إلى لون باهت أو العكس، لا يكون الأمر موضوع شكلي كما يتصور البعض، أو المعظم، لكن ذلك له علاقة بحياتنا وهمونا وبحالات تفكيرنا... فلا تستقيم لنا حياة دون أمن نزرع فيها جملة من المعاني الجديدة فيها، أو نخصّب تفكيرنا بطاقة من الجماليات بعيداً عن الغوص والفجاجة والقباحة...!⁽⁴⁾

«كل لون يشكل عندي جملة من الأحاسيس المختلفة (الطفولة) وأكثر لونين تأثرت بهما هما البرتقالي والبنفسجي، ومن ثم الأزرق، إلى أن اكتشفت أن هناك عالماً خفياً يتألف من

فكر ▶

تشكيلة هائلة من الألوان، لو استطاع الإنسان أن يوظفها بتقنية عالية، لاستطاع أن يعبر تعبيراً صادقاً عن كل مشاعره وأفكاره.

إنّ الألوان هي التي تعبّر بعمق عن كل الانفعالات: (5)

أكثر من نصف السكان في أوروبا يعتبرون أن سيد الألوان هو اللون الأزرق (60%)، ثمن الأخضر بنسبة (20%)، ثم الأحمر (8%). أمّا في أميركا وكندا وأستراليا فلم يكن هذا اللون يحظى بتقدير كبير لدى الروحانيين الذين كانوا يفضلون اللون الأبيض والأحمر والأسود.

الأزرق سيد أوروبا

خلال استطلاع بعض العلماء والفنانين وجدوا أنّ فلسفة الألوان تبدو أكثر استقراراً معرفياً، بما ينسجم مع مدى التناغم مع اللوحات المعبرة من خلال الألوان نتكلم عن الطبيعة أو إنسان يفكر أو طفل يلعب... وكان ينبغي على اللون الأزرق أن يخوض مغامرة كبرى في مختلف الاتجاهات كي يتخلّص من أثقال البربرية والتوحّش، مما دفع «ماسيت الإغريقي» أن يتخذ موقفاً سلبياً من هذا اللون حيث كان الجرمانيون يصبغون أجسادهم به قبل حوض المعارك، واعتبر «قيصر» أنه يجعل جنود البرابرة كالأشباح عندما يتلونون به... إلا أن هذا اللون بقي يصارع نفسه ليجد مكاناً آمناً لتغيير ثقل التوحش عن كاحله، غير أنه أخفق في أماكن كثيرة أسبغت عليه مفهوماً مغايراً لطبيعة الانتقال في مفهوم اللون.

اللون الخفي والمهزوم، للملعون والشيرير تربع على عرش الألوان مع الفنان «إدوار مونييه» ومجموعة من الرسامين الانطباعيين والكتّاب الرومانسيين، ومع خلطة، الجاز الإفروأميركية التي تنبعث بعد منتصف الليل رخيمة وشبقة.

يعتبر «ميشيل باستور» أن أكثر من 1000 سنة كان المنعطف التاريخي لبداية علو شأن اللون الأزرق، وذلك بفضل التطور التقني، وما تبعه من تغيير في الذهنيات البشرية وتبدّل الأحاسيس شيئاً فشيئاً نحو الهدوء والسكينة... ثم ترافقت تدرّجات هذا اللون من

الأزرق الغامق، الفاتح، وما بينهما، التغيير بدأ منذ القرن الثاني عشر ميلادي، حتى أحدث هذا اللون طفرة كمية ونوعية كبيرة، ودخلت الألبسة والأنسجة والصور والفنون.

ومع ازدياد واستخدام لفظة «أزرق» أتاح للغات المنبثقة عن اللاتينية، وعلى رأسها الفرنسية، إيجاد مفردات جديدة للدلالة على هذه اللون، كمثّل: الأزرق السماوي، البحري، الليلي، الرمادي، الطاووسي، البترولي، الغامق، واللازوردي، الخ ..

التبدلات اللونية في التاريخ

إذا كان الأزرق سيد الألوان في أوروبا، فإنّه من الشائع أيضاً، أنّ ألوان كثيرة أخرى مختلفة احتلت الصدارة في أعلام بلدانها وبين شعوبها، فالأبيض يشير إلى السلام، والأسود للحداد، الأحمر للعشق، والأزرق أصبح يدل منذ نهايات العصور الوسطى على الفرح والحب والاستقامة والهدوء⁽⁶⁾

ففي فرنسا، التي شهدت تبدلات سياسية، بقي اللون الأزرق هو أحد الألوان الأساسية لعلمها المرسوم بالأزرق والأبيض والأحمر، فالأبيض يشير إلى النظام الملكي، والأحمر للثورة، أما الأزرق فللتوازن والانسجام والحرية، أي أنه لون وسطي بين اليمين واليسار، ويعبر الوسطي في فرنسا اليوم عن الإنسان ابن الأرض، والأرض كائن أزرق كما بدت من أعماق الفضاء، والتجانس بين الأرض والسماء يشكل قاسمها المشترك اللون الأزرق، فمن يرفض العنف والحرب يرغب باللون الأزرق.

أما اختبارات الألوان في العهود الإسلامية، فالأبيض رمز الأمويين، والأسود رمز العباسيين، والأخضر رمز العلويين والفاطميين، أما اللون الأحمر فقد اختاره كل من أشرف مكة والعثمانيين⁽⁷⁾.

لكن ليس بالضرورة ما قيل أن اللون الأزرق يجسد الحقيقة، لافي طبيعة عمله، ولا في من يختاره للتعبير عن أفكاره، أو علم بلاده... «إسرائيل» مثلاً... فهي أعنف دولة في التاريخ وعلمها مطلي بالأزرق... ودولة «الأرجنتين» دولة مسالمة وعلمها مطلي بالأزرق...

علاقة المحيط باللون

«إنّ المحيط المادي يولّد المفاهيم الجديدة، بل يحدد مظهر هذا التغيّر ومداه، فهو قد يفشّله أو يعدّله ولكنه لا يولّده في الأساس. يظلّ الواقع المادي حقل اختبار للقوى الروحية، إنّه الأساس المادي للبناء النفسي»⁽⁸⁾.

هذه الانتفاضة الروحية هي التي أطلعت التلوين الذي دُعي بالانطباعي، وهي التي أخرجت أولئك الفنانين الشبان الى الشمس، لقد افتتنوا بالشمس حتى صاروا من عبّادها. إن هذا التطور الروحي إلى عبادة الشمس لم يكن عبادة لإله خارجي، فالخارج رمز الداخل، تعانق العابد والمعبود... وجد الفنانون في اللون - بلور - الشمس هويتهم، فما شمس الخارج إلا إشارة لشمس الداخل، صاروا واللون - النور - واحداً كما أعلن «كلييه Klee» عن نفسه فيما بعد... قال بول كلييه عن نفسه: «اللون وأنا واحد، فأنا ملوّن».⁽⁹⁾

المزج والإحساس اللوني

أظهرت النظرية اللونية الجديدة، «أن النور مؤلف من الألوان الثلاثة: الأحمر والأزرق والأصفر، مضافاً إليها ما ينتج عن مزج كل اثنين منهما».

كالبنفسجي الذي ينتج عن مزج الأزرق والأحمر، والبرتقالي عن الأحمر والأصفر، والأخضر عن الأصفر والأزرق وهذه جميعها تؤلف ألوان قوس السحاب، وهي الألوان التي يتألف منها النور حسب نظرية نيوتن، وهي وليدة تكسر شعاع الضوء. وقد نظر الانطباعيون إلى هذه النظرية بنوعين من المزج: المزج الامتصاصي (absorbent) والمزج الانعكاسي (Reflective) فالمزج الامتصاصي يحصل عندما تمزج الألوان كمواد، أما الانعكاسي فيحصل عندما تخرج الألوان كأضواء.. فالملزجان يعطيان نتائج متفاوته في إشراقة الألوان.

لقد عمل الانطباعيون على أن تبدو لوحاتهم لمعات أنوار وأضواء تلعب في عين الناظر أكثر مما أرادوها أن تبدو صوراً لأشياء ملونة، فجاءت وكأنها معزولة من النور».⁽¹⁰⁾

إن الملّونين الملهمين من الانطباعيين ومن جاء بعدهم استفادوا من نتائج التجربة الجديدة في مزج الألوان، ظلوا في قرارة إحساسهم الفني، لكنهم لم يعوا ذلك ذهنياً ونظرياً، متفقين مع واقع الألوان في حقيقتها الروحية أي مع مفهوم غوته (Goethe) لها، والذي يتلخص بأن الألوان هي أفراس النور وأحزانه في تواجده وتشابكه مع الظلمة، وهي تظهر ليس بسبب تكسر شعاع الضوء بحسب نظريات نيوتن، بل تظهر عندما يتصادم النور ويتشابك مع الظلام.⁽¹¹⁾

يقول ماتيس (Matisse): «إن انتقائي للألوان لا يركز على نظرية علمية، إنه يركز على الملاحظة وعلى شعوري ومعاناتي وحساسيتي أنا». كذلك عمد جورج سورات (George Seurat) إلى نظرية انتقاء الألوان حيث إن انتقاء الألوان ظلّ خاضعاً لسليقتهم اللونية أي للفطرة. وبالطبع فقد جاء اللون عندهم كفعل بصري وفعل نفسي طبعي في آن معاً. فإذا مزجوا اللونين يعني أنهم وُفقوا في جمع طبعين.⁽¹²⁾

الألوان الدافئة والألوان الباردة

تنقسم عجلة الألوان إلى قسمين نقطتين وهي الألوان الدافئة كاللون الأحمر والبرتقالي والأصفر وتدرجاتهم، حيث تثير هذه الألوان مشاعر الطاقة والإثارة والدفء، كالنار والشمس... والألوان الباردة كاللون الأزرق والأخضر والبنفسجي وتدرجاتهم حيث تثير هذه الألوان مشاعر الهدوء والاسترخاء والصفاء كالسما والبحار وغيرها من الانفعالات والتصوّرات...

الألوان وعلم النفس

يؤكد المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية على تأثير الألوان على الصحة النفسية للأشخاص (المزاج والمشاعر) واللون هو أداة اتصال تستخدم للإشارة إلى العمل والتأثير في الحالة المزاجية والسلوكيات وتأثيره في شخصية الفرد أو الجماعة..

فاللون الأحمر يستخدم لتنشيط الجسم والعقل وزيادة الدورة الدموية، والأصفر

فكر ▶

يستخدم لتحفيز الأعصاب وتنقية الجسم، البرتقالي يستخدم لمشاكل كالرتتين وزيادة مستويات الطاقة، والأزرق لتهدئة الأمراض وعلاج الألم... واللون النيلي لتخفيف مشاكل الجلد...

استراتيجية الألوان في التعليم

إنّ لسيكولوجيا الألوان تأثيراً في التعليم حيث تأثيرها على تعلّم الطلاب ونفسياتهم، علم نفس الألوان، الذي يدخل في إشارات ودلالات ذهنية وعاطفية بدءاً من الطبيعة الخضراء إلى النباتات المنزلية أو ما يسمى بنبات الظل، التي يحيط الإنسان منزله بها لترجحه الألوان الزاهية والتي لها الأثر العميق داخل النفس البشرية والمشاعر والراحة والسلام الداخلي.

فُتُستخدَم الألوان كاستراتيجية في التعليم حيث تأثيرها الفعّال على الحالة المزاجية، فاستخدام اللون المناسب له تأثير كبير على المشاعر والانتباه والسلوك عند التعلّم، حيث أظهرت الأبحاث أنّ الإشارات اللونية تحسّن الذاكرة، وأنّ المتعلمين يتذكرون الصور الملوّنة بسهولة أكبر من الصور التي هي بالأبيض والأسود، وهي (أي الألوان) تحسّن التركيز عند الأطفال إلى جانب تعزيز الذاكرة.

الأحمر مثلاً، يشير إلى أهمية الحبّ والعاطفة، والأزرق إلى الصفاء والهدوء، ويشير إلى الدقة والسرعة. الأصفر يشير إلى الفرح في علم النفس، ودلالاته زيادة في الإدراك البصري. والأخضر الذي هو لون الطبيعة ودلالاته الحيوية والنشاط. والأسود الذي هو لون الحزن لكنه أساسي في العملية التعليمية لأنه يُكتب فيه، وقد اتسم بسهولة القراءة.

إن اختيار الألوان في مجال التعليم وظيفي بالأساس لا جمالي ... حيث يمكن أن تسبّب الألوان المستخدمة في بعض الأماكن (في الفن مثلاً) جهاداً فكرياً أو قد تكون لاستعمال الألوان كوظيفة محفّز ضئيل للغاية بحيث لا يمكنها تشجيع الإنتاجية.

فالنقص في المحفزات يضرّ في بعض الأحيان مثل الإفراط في استخدامه... تماماً

كالإفراط في الشعر، يجعل حلاوة المعنى والتذوق الكثير منه عند مر يديه طعمه المزّ..

خلاصة

إن استثمار اللون في الفنّ هو دلالة على قيمة الفن بذاته وهو الفنان عينه على القماشه البيضاء، كما الشاعر على ورقته البيضاء أيضاً، يُعبّر كل منهما عن احساسه الدقيق باللحظة، انطلاقاً من رؤيته الفنية، وهو هنا، يستعير من جواه، مقاصد ضوئية ويسحبها على القماشة أو الورقة... يحرك مكنونه الداخلي بسرعة العشق، وخطفة القلب، رجفة العين ودقّة القلب.. ليسكب مشاعره وانفعالاته على المكان، فيستخرج عالمه من غور ما ترسب في ذاكرته وأحاسيسه وفكره وذهنه، فيصوّر لنا عميق داخله، ولا يكون ذلك إلاّ انسجاماً مع عالمه الخفي الذي أظهره على الشاشة، وهو يخصّه وحدة قبل أي شيء... فليس للون أن يظهر ضدّه أو مثيله، إلا بما تتجلّى تظاهراته على الشاشة... وهنا، يتفرد الفنان في ملاحظة خاصيّة العمل الفني على أنه جزء من حركة النفس البشرية... بهذا المعنى يأتي اللون ليرسي لغة العمل الفني وسحره ودلالاته...

المراجع:

- (1) حلیم جرداق- تحوُّلات الخط واللون - الدوافع النفسية والفكرية وراء الاتجاهات الفنية الحديثة - دار النهار للنشر 1975-بيروت ، طبعة مزيدة ومنقَّحة .
- (2) المصدر نفسه.
- (3) كتاب: فلسفة المعاني والأشياء. (د.سيّار الجميل) ص 66.
- (4) المصدر نفسه.
- (5) كتاب (قاموس الأولين في زماننا) ميشيل باستورا. في تاريخ الأحمر والأزرق والأبيض والأسود.
- (6) من كتاب فلسفة المعاني والأشياء. (د.سيّار الجميل).
- (7) المرجع نفسه - كتاب فلسفة المعاني والأشياء. (د.سيّار الجميل).
- (8) تحوُّلات الخط واللون، الدوافع النفسية الفكرية وراء الاتجاهات الفنيّة الحديثة، حلیم جرداق - طبعة أولى - دار النهار للنشر 1975، وطبعة ثانية منقَّحة ومزيدة عام 2000 عن الدار نفسه - ص 12.
- (9) The Diaries of Paul. Klee منشورات university of California 1973,p. 297 Press.
- (10) راجع كتاب The painter's لموريس كروسير A. Menter Book منشورات The new American Library.
- وكتاب د. ليونارد ريشموند، The Theory of Color Mixing، منشورات Pitcien pub co London. - 1952
- (11) نظرية غوته في اللون - راجع كتاب Le traité de couleurs Goethe . باريس 1973.
- (12) المصدر نفسه.

رواية في رواية

الكلُّ يَظنُّ في النهاية

عبد الحكيم القادري

دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الجمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 - 113 بيروت - لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

الأُنُوثة المعنويّة

ومكانة المرأة في مجتمَع الموحّدين الدروز

حسام علي نصّار - باحث في المكوّنات البنيويّة لعلم الأديان

مستخلص

يحتمل البحث في المفهوم الأنثويّ أبعادًا كثيرة التّنوع وشديدة التناقض، فقد تعدّدت الآراء منذ القِدَم في الأنثى إنسانًا، ودورًا، ووجودًا. فالأنثى في بعدها الروحي هي أساس الوجود، جسدًا كثيفًا كان أم روحًا لطيفًا، فهي تأخذ سرّ الحياة أخذَ محبّةٍ لتعطيه عطاءً محبّةً. في هذه الأنوثة تتكامل جدليّة الحياة أخذٌ وعطاءٌ فيحصل الخلق الإنسانيّ. وعلاوةً على أنّ موقع المرأة مُتميّزٌ في مجتمَع الموحّدين الدروز، فإنّه يتجاوز النظرة والصورة النمطيّة للأنثى لكونها المُقابل للذكر، ليُظهرها على أنّها رمزٌ لجوهر الوجود الذي من أخصّ خصائصه أنّه الجزء المُنفعل القابل لتأثيرات الفعل الإلهيّ فيه. فسِرّ الأنوثة يكمن في أنّها أكثر كمالًا في الله من الرجل، إذ تُمثّل تجلّيات لأسرار الله في رحمته. فتتخطّى بذلك الهويّة الجندريّة، أو الطبيعة البيولوجيّة، وترقى إلى مفاهيم أكثر عمقٍ ودقّة، كمفهوم المُفيد والمُستفيد. هذا وتمتّع المرأة الموحّدة باحترامٍ بالغٍ في مجتمَعها وتحتلّ مكانةً مهمّةً، إذ تُمثّل العنصر الأوّل والركن الأساسيّ في بناء العائلة، وتالياً المُجتمَع. يُناقش هذا البحث مكانة المرأة في مجتمَع الموحّدين الدروز، حقوقها وأطر حرّيتها، وقراءة الأنوثة في المفهوم التوحيدي. ويستعرض المشهديّة العامّة لواقعها الاجتماعيّ المعيش كالزواج، والطلاق، والحضانة والوصاية على الأولاد، والإرث، وغيرها.

الكلمات المفتاحيّة: الأنوثة - الموحّدين الدروز - الهويّة الجندريّة - القوامة - المُفيد والمُستفيد - الأحوال الشخصية.

مقدّمة

تتمتع المرأة باحترامٍ بالغٍ في مجتمَع المُوَحِّدين الدروز وتحتلُّ مكانةً مُهمّةً، إذ تُمثّل العنصر الأوّل والركن الأساس الضروريّ في بناء العائلة، وتالياً المُجتمَع. مكانتها هذه مُستقاة بصورةٍ رئيسة من تعاليم مذهب التوحيد ومبادئه. بدءاً بـ «أمر» تعليم المرأة كواجبٍ دينيٍّ إلزاميٍّ، من حيث هو حقٌّ مُكتسب لها لا من أجل مُساواتها مع الرجل، بل لأنّها إنسانٌ كامل تتمتع بحقوقٍ وواجباتٍ كاملة بحيث لم يقتصر الأمر على الزواج والطلاق والإرث والوصاية على الأولاد والعدل والمساواة، بل تعدّها إلى تكريس دورها في واقع الأمور الدنيّة والاجتماعيّة، إذ تجلّي ذلك عملياً في المهّمات الدنيّة الموكلة لها، كما وفي المجالات الحياتيّة الأخرى.

يجوز القول، بأن «المرأة المُوَحَّدة أدّت دوراً مُهمّاً وبارزاً في تاريخ هذه الجماعة ولا تزال، على كافّة الأصعدة وفي مُختلف الميادين الاجتماعيّة والثقافيّة والدنيّة والسياسيّة. ففرضت بذلك نفسها واحترامها على مُحيّطها»⁽¹⁾.

أولاً: الأنثى في المفهوم التوحيدي

يحتلُّ البحث في المفهوم الأنثويّ أبعاداً كثيرة التّنوع وشديدة التناقض. فقد تعدّدت الآراء منذ القِدَم في الأنثى إنساناً ودوراً ووجوداً. إذ رأى البعض بأن المرأة من الرجل وللرجل أي أنّها خلقت من ضلع الرجل، وغائيّة⁽²⁾ خلقها وهدفه خدمة الرجل. فيما رأى بعضٌ آخر أنّها من الرجل ولكنها ليست له بل لنفسها هي. ورأى فريقٌ ثالث أنّ «المرأة والرجل مخلوقان من نفسٍ واحدة ولكلٌّ منهما منزلته، وأن الغاية من خلقها بلوغ الكمال،

(1) أدبيل حمدان تقي الدّين، المرأة في مجتمَع المُوَحِّدين الدروز بين الأُمس واليوم، بيروت، دار الفرات للتوزيع والنشر، 2004م، ص. 164.

(2) الغائيّة، هي نظريّة تقول بأنّ كلّ شيء في الطبيعة موجودٌ وموجّهٌ لغاية مُعيّنة. انظر: مُعجم المعاني، النسخة الإلكترونيّة، عبر الرابط التالي: <https://www.almaany.com/ar/dict>

كُلُّ عَلَى حَسَبِ سَعِيهِ فِي الْوَصُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَهْدَفِ»⁽¹⁾.

غير أن في مقابل هذه الآراء وغيرها، يكمن رأياً أرفع. هذا الرأي يقول بأن الأنثى قادرة على ارتقاء درجات سامية في العرفان ومنازل عالية في الروحانية. ولعل من أبرز أصحاب هذا الرأي كان محيي الدين بن عربي⁽²⁾، إذ يعتقد بأن المرأة محبوبة البشر، وأن السر في هذه المحبوبة يكمن في أنها أكثر كمالاً في الله من الرجل، وهي تمثل تجليات لأسرار الله في رحمته⁽³⁾. أما الأنثى في المفهوم التوحيدي فتتخطى الهوية الجندرية⁽⁴⁾، أو الطبيعة البيولوجية، وترقى إلى مفاهيم أكثر عمق ودقة، كمفهوم المفيد والمستفيد، إذ تصف التعاليم التوحيدية الإفادة والاستفادة، أو المفيد والمستفيد، بالذكر والأنثى. فالمفيد هو الذكر الذي يُعطي، والمستفيد هو الأنثى التي تُعطى. فأيها كان المفيد فهو بمثابة الرجل الذكر، وأيها كان المستفيد فهو بمثابة المرأة الأنثى، بغض النظر عن الجنس الطبيعي للمفيد وللمستفيد، أكان رجلاً من حيث الطبيعة أم أنثى. بيد أن موضوع الإفادة والاستفادة ليس بإعطاء معلومات وتشارك أفكار، بل هو يتخطى سطحية العلاقة الفكرية لجهة المعلومات، ليكون حاجة روحية تؤسس لرابطة محبة عميقة تلغي المسافات من دون أن تلغي الهوية والاحترام المتبادلين، مسهلة على المفيد الإفادة، وعلى المستفيد الاستفادة. ولا تصح علاقة المفيد والمستفيد إن لم تكن الثقة بينهما هي السائدة، والثقة من أهم أسبابها هي المحبة⁽⁵⁾. أما باطن الأنوثة المعنوية

(1) نجوى حسيكي، الرؤية العرفانية في فكر سامي مكارم، بيروت، دار صادر، 2019م، ص. 65.

(2) محيي الدين محمد بن علي بن الطائي المشهور بلقب ابن عربي (558-638هـ/ 1164-1240م)، أحد أشهر المصوفين، تُنسب إليه الطريقة «الأكبرية الصوفية»، وهو عالم روحاني من علماء المسلمين الأندلسيين، شاعر وفيلسوف. تزيد مؤلفاته عن 800، لكن لم يبق منها سوى 100.

(3) أنظر: نزهة براضة، الأنوثة في فكر ابن عربي، بيروت، دار الساقى، 2008.

(4) الجندرية، أي النوع الاجتماعي، أو «الجُنوسَة»، وهو مجموع الصفات المتعلقة والمميّزة ما بين الذكورة والأنوثة. تشمل هذه الصفة الجنس الحيوي المُعَيَّن، أي كون الإنسان تشریحياً ذكر أو أنثى. كما تشمل البنى الاجتماعية المُعتمِدة على الجنس بما فيه من أدوار الجُنوسَة، وأدوار اجتماعية أخرى، أو الهوية الجِنسِيَّة.

(5) أنظر: سامي مكارم، العرفان في مسلك التوحيد، لندن- المملكة المتحدة، مؤسسه التراث الدرزي،

فِيَرَجَمُ أَنَّ الْمَرْأَةَ فِي أَسْرَارِيَّتِهَا تَحْيَا تَجْرِبَةً رُوحِيَّةً عَمِيقَةً، تَجْرِبَةً نَبَوِيَّةً، تَرْمِزُ إِلَى أَنَّ الْأُنُوثةَ هِيَ نَبْعُ الْخُصُوبَةِ وَالْحَيَاةِ، وَهِيَ صُوفِيًّا مُرْتَبِطَةٌ عَضُوبًا بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ⁽¹⁾. لِذَا فَمَفْهُومُ الْقِيَامَةِ الْحَقِيقِيَّةِ عِنْدَ الْمُوحِّدِينَ لَا تَعْنِي بِأَنَّ «الرِّجَالَ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ»، بَلْ تَعْنِي بِأَنَّ عَلَى الْمُفِيدِ أَنْ يَكْفَلَ الْمُسْتَفِيدَ وَيَحْفَظُهُ وَيُحْرَسُهُ بِعِنَايَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ. مِنْ هَذَا الْمُنْتَلَقِ يَفْهَمُ الْمُوحِّدُونَ كَوْنَ الرِّجَالِ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ، أَيِ الْمُفِيدِ قَوَّامٌ عَلَى الْمُسْتَفِيدِ. وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ عَلَى الْمُسْتَفِيدِ وَهُوَ بِمِثَابَةِ الْأُنْثَى، أَنْ يَتَعَهَّدَ مَا يَعْطِيهِ الْمُفِيدُ مِنْ عِلْمٍ، وَيُغْذِيهِ بِعِنَايَتِهِ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ «خَلْقًا آخَرَ»، أَيِ مُفِيدًا لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ. عِنْدَهَا، يَأْخُذُ الْمُفِيدُ وَالْمُسْتَفِيدُ كِلَيْهِمَا بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّنْمِيَةِ، فَيَبْلُغَانِ بِذَلِكَ كَمَالَهُمَا وَيَحَقِّقَانِ فَضِيلَتَيْهِمَا⁽²⁾.. فَتُصْبِحُ وَالْحَالُ هَذِهِ، النُّظْرَةُ إِلَى الْأُنْثَى أُمَّا كَانَتْ أَوْ أُخْتًا أَوْ زَوْجَةً أَوْ ابْنَةً أَوْ شَرِيكَةً أَوْ حَبِيبَةً أَوْ صَدِيقَةً أَوْ عَشِيقَةً، نَظْرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ تَمَامًا.

وَلَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، فَعِلَاوَةً عَلَى أَنَّ مَوْقِعَ الْمَرْأَةِ مُتَمَيِّزٌ فِي الْعِرْفَانِ التَّوْحِيدِيِّ الَّذِي هُوَ «حَالَةٌ ذَوْقِيَّةٌ» مُرْتَبِطَةٌ بِمَسِيرَةِ تَرْقِيِ الْمُوحِّدِ وَتَدْرُجِ نَفْسِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي مَسِيرَتِهَا التَّصَاعُدِيَّةِ عِبْرَ الْمَعْرَاجِ مِنْ عَالَمِ الطَّبِيعِيَّاتِ إِلَى عَالَمِ الْإِلَهِيَّاتِ، أَوْ مِنْ عَالَمِ الْمَادَّةِ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ. يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَتَجَاوَزُ النُّظْرَةَ وَالصُّورَةَ النَّمْطِيَّةَ لِلْأُنْثَى لِكَوْنِهَا الْمُقَابِلَ لِلذَّكَرِ، لِيُظَهِّرَهَا عَلَى أَنَّهَا رَمَزٌ لِجَوْهَرِ الْوُجُودِ الَّذِي مِنْ أَخْصِّ خِصَائِصِهِ أَنَّهُ الْجِزَاءُ الْمُنْفَعِلُ الْقَابِلُ لِتَأْثِيرَاتِ الْفِعْلِ الْإِلَهِيِّ فِيهِ. الْأَمْرُ الَّذِي يُخَالِفُ تَمَامَ الْمُخَالَفَةِ الْمَنْطِقِ الَّذِي يُصَوِّرُ الْمَرْأَةَ عَلَى أَنَّهَا «شَيْطَانٌ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ»⁽³⁾، وَالْعُدُوُّ وَاللَّدُودُ الَّذِي يَقِفُ حَاجِرًا فِي وَجْهِ الزَّاهِدِ الْمُتَعَبِّدِ

الطبعة الثالثة، 2014م.

(1) إنَّ الْمَرْأَةَ. انظر: ربيعة أبي فاضل، النزعة الصوفية في الأدب المهجري، بيروت، لا دار نشر، 2009م.

(2) أنظر: سامي مكارم، العرفان في مسلك التوحيد، مرجع سبق ذكره.

(3) حديث رقم 14537 في مسند أحمد، ورقم 2582 عند آل سلمان، و1403 عند عبد الباقي. وشرح الحديث من شرح النووي على مسلم: قال العلماء معناه: الإشارة إلى الهوى والدُّعاء إلى الفتنة بها (...). فهي شبيهة بالشيطان في دُعائه إلى الشَّرِّ بوسوسته وتزيينه له. ويُستنبط من هذا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ لَا تَخْرُجَ بَيْنَ الرِّجَالِ إِلَّا ضَرُورَةً وَأَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الرِّجَالِ الْغَضُّ عَنْ نِيَابِهَا، وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا مُطْلَقًا.

والمُتَصَوِّفِ الْمُتَبَتِّلِ وَرَبِّهِ.

وفي المقابل، فإنَّ الأُنْثَى في بُعْدِها الرُّوحِي هي أساس هذا الوجود، جسداً كثيفاً كان أم روحاً لطيفاً. «فهي تأخذ سِرَّ الحياة أَخْذَ مَحَبَّةٍ لتعطيهِ عطاءً مَحَبَّةً. في هذه الأُنْثَى تتكامل جدليَّة الحياة أَخْذَ وعطاءً، فيحصل الخلق الإنسانيُّ لِيُساوِيَ الإنسان به في درجات العلم والتعليم. أمَّا الذكورة في معناها الإنسانيُّ فهي نابعةٌ لهذه الأُنْثَى الحَقِّ، صادرةٌ عنها ونابعةٌ منها، لأنَّ الذكورة في هذا المعنى لا تَحَقِّقُ إِلَّا إذا كانت أُنْثَى في الأصل، تنفعل وتنفعل، وتستفيد لتفيد، وتأخذ لتعطي»⁽¹⁾. ففي الفكر التوحيدِي، الذكورة لا تَحَقِّقُ ذكورةً إِلَّا إذا كانت قد تحقَّقت مُسَبِّقاً أُنْثَى. وهي؛ أي الأُنْثَى، هي الانفعال الحَيِّر، أي الأخذ والاستفادة. ففي عالم الخلق لا ذكورة، أي لا فعل وإفادة وعطاء، إِلَّا إذا سبقتها أُنْثَى، أي انفعال واستفادة وأخذ. من هنا كان عالم الخلق هذا في أصله وأساسه يقوم على الأُنْثَى المعنويَّة.

حاصل ما مرَّ، إنَّ مضمون الأُنْثَى في عُمقِ معناها يقوم على تقبُّل المُستفيد لقاح العلوم الحِكْمِيَّة والمعرفة التوحيدِيَّة من المُفيد، على اعتبار أنَّ المُستفيد هو الأُنْثَى، والمُفيد هو الذكر. «حتَّى إذا تقبَّل المُستفيد هذا اللُّقاح النورانيَّ وتربَّى فيه، تحوَّل هذا اللُّقاح إلى جنين، ثُمَّ خَلِقَ آخر توحيدِيٍّ، وتحوَّل المُستفيد إلى مُفيد مع بقاءه مُستفيداً في مُفیده. ففي الأُنْثَى الحَقِّ تكمُلُ الصِّفات الإنسانيَّة المثلَى كُلِّها. وأشمل هذه الصفات وأكملها وأتمَّها، صفة الحُبِّ، به تتطهَّر الأُنْثَى لِتَلَقِّي تَجَلِّيَّاتِ الحَقِّ في أقدس مظاهرها»⁽²⁾.

إنَّ ما سَبَقَ من معلوماتٍ حول الذكورة والأُنْثَى في بُعْدِها الباطنيِّ والصوفيِّ، يفتح الآفاق لتساؤلاتٍ عدَّة، أهمُّها: كيف يقرأ المُوَحِّدونَ علاقةَ الرجل والمرأة كَمُفيدٍ ومُستفيد، والقوامَة والأُنْثَى لجهة شراكة الحياة الزوجيَّة؟

(1) سامي مكارم، عاشقات الله، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 1994م، ص. 7.

(2) سامي مكارم، رحلة بلا طريق، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 2013م، ص. 197 و199.

ثانياً: مكانة المرأة الدرزيّة في مجتمَعها

يزخر تاريخ المؤخّدين الدرّوز بشخصيّات نسائيّة كان لهنّ أدوار اجتماعيّة وسياسيّة عدّة. فعلى الصعيد الاجتماعي لعبت المرأة الدرزيّة دوراً مهمّاً في تأسيس الجمعيات والتنظيّمات والمشاركة في التحرّكات المطليبيّة، وقد برزَ منهنّ على هذا الصعيد كلّ من زاهية سلمان، ونجلاء صعب، وأنيسة نجّار، وغيرهنّ، كرموزٍ وشخصيّات مؤثّرة في مجتمعاتهنّ. فقد ساهمت نجّار في تأسيس «جمعيّة نهضة المرأة الدرزيّة»، كما انتخبت سلمان رئيسةً لـ «جمعيّة رعاية الطفل في لبنان»، والتي كان لجمعيتها هذه مدارس ابتدائيّة، وروضات للأطفال في القرى اللبنانيّة النائية، كما انتخبت صعب رئيسةً لـ «المجلس النسائي اللبناني»، الذي يضم ستاً وتسعين جمعيّة في أنحاء لبنان⁽¹⁾.

غير أنّ الأبرز من بينهنّ كانت نظيرة زين الدّين «صاحبة الانتفاضة» التي أطلقت صرختها مدويّة تُطالب فيها «بالسفور المحشوم»⁽²⁾، والتي أدّت لردّاتٍ فعلٍ كبيرة انقسم

(1) انظر: صالح زهر الدّين، تاريخ المسلمین المؤخّدين الدرّوز، بيروت، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، الطبعة الثانية، 1994م، ص. 218.

(2) السفور المحشوم، شعارٌ أطلقته نظيرة زين الدّين في انتفاضتها المطالبة بحقوق المرأة وحريّتها. * درّست نظيرة في بيروت، في مدرسة راهبات مار يوسف، ثم مدرسة راهبات الناصرة التي تحرّجت فيها عام 1926م، لتلتحق بالجامعة الأميركيّة عام 1927م، ثم بالكليّة العلمانيّة الفرنسيّة في العام نفسه. وفي العام 1928م، كانت من الأوّليات من نال شهادة البكالوريا الفرع العلمي، وقد ألقت في العام نفسه محاضرةً في تفضيل السفور على الحجاب في الجمعيّة الأدبيّة العربيّة التي كان يرأسها تقي الدّين الصلح. واشترطت دخول السيدات والآنسات إلى القاعة سافرات، وكان لها ما أرادت، وأردفت هذه المحاضرة بمحاضرات أخرى في قاعات المدارس والجامعات والمسارح. كتبت نظيرة كتابها: «الفتاة والشيوخ» و«السفور والحجاب»، وهي دون سنّ العشرين، وذلك في معرض الاحتجاج على الأحداث التي وقعت في دمشق عام 1927م، حيث حرّمت النساء من حريّتهنّ، ومُنعن من الخروج من دون حجاب. يُعدّ هذان الكتابان مرجعاً مهمّاً للعلاقات بين الرجل والمرأة في الإسلام. وقد دافعت في «الفتاة والشيوخ» عن حقّ المرأة في التفسير والفقه، وعدم الاكتفاء بأن تكون موضوعاً لها فحسب، حيث تقول: «أجل إنّه كما كان للمرأة أن تشترك في الحكم الشرعي، إن لها الحقّ الصريح أن تشترك في الاجتهاد الشرعي تفسيراً وتأويلاً. بل إنّه أولى من الرجل بتفسير الآيات القائم فيها واجبها وحقّها، لأنّ صاحب الحقّ والواجب أهدى إليهما من غيره سبيلاً». وكان كتابها الآخر «السفور والحجاب» أكثر إثارة وتأثيراً، وقد ذكرت فيه أنّها رجعت إلى القرآن

فكر

على أثرها رجال الفكر ورجال الدين إلى قسمين، أيدها أحدهما بينما عارضها القسم الآخر. «كانت السيِّدة نظيرة زين الدين المرأة اللبنانية الأولى التي دافعت عن المرأة الإسلامية، وقادت حملة كبرى من أجل حقوقها وحرَّيتها مُطالبَةً بنزع الحجاب الذي كان يغطِّي وجهها. إنَّها لم تُناضل من أجل المرأة اللبنانية وحدها، وإنَّما من أجل حرِّية المرأة العربيَّة كي تُساهم في جميع الميادين، مُكرِّسةً وجودها وشخصيَّتها كإنسانة لها حقوق وعليها واجبات، شأنها شأن الرجل نفسه من دون تمييز. وكانت من أوائل من أسَّسْنَ الحركة النسائيَّة الإسلاميَّة في لبنان، كما ساهمت في تأسيس «اتِّحاد النساء العرب»، إذ وضعت في ميثاقه موادَّ ذات قيمةٍ عاليةٍ تختصُّ بحقوق المرأة المسلمة وحرَّيتها وترتيبها. وكان لأفكارها عن الحجاب وتحرُّر المرأة تأثيرًا كبيرًا على الأغلبية السَّاحقة من النساء المسلمات، لكنَّها جوبهت بمُعارضةٍ شديدةٍ من قبِلِ رجال الدين»⁽¹⁾.

وعلى الصعيد السياسي، لعب عدد من النساء الدرزيَّات أدوارًا لا بأس بها. نذكر منهنَّ على سبيل المثال، الأميرة طيبة معن والدة الأمير قرقماز ودورها المُميِّز في مواجهة سياسات العثمانيِّين الظالمة في المنطقة. والأميرة نسَب التنوخيَّة والدة الأمير فخر الدين الثاني. والأميرة حبوس أرسلان التي أُسندت إليها مُديريَّة الغرب عام 1793م، شاركت في صد غزوة الخزمتشيَّة الإنكشاريَّة⁽²⁾، على جبل حوران. وحين أقدمَ الأمير بشير الشهابي الثالث على

والسُنَّة المحمَّديَّة، واطلَّعت على جميع التفاسير فلم تجد إجماعًا في موضوع السفور والحجاب، وذهبت إلى أن الحجاب كما هو معروف اليوم تُحرِّمه الشريعة الإسلاميَّة. ومن ملاحظاتها التي تدلُّ على بصيرةٍ ثابتة، ربطها بين النظرة الدونيَّة للمرأة والرق، وتفسيرها ظاهرة هدر طاقات المرأة الثقافيَّة؛ حيث تقول: «ذلك حال كلِّ شعب تسلَّط عليه الإقطاعيون، وسلبت حرَّياته، أو قيَّدت بأنواع القيود. لم يُسمع عن رقيق أنَّه أفلح قبل أن يتحرَّر. لماذا؟ لأن ظلم الحرِّ إيَّاه كان ينهك قوَى عقله ويمنع آثارها من الظهور».

(1) Joseph Sokhn, Les Auteurs Libanais Contemporains, Beyrouth, 1972, p: 267-269-272.

(2) الإنكشاريَّة، كلمة تُركيَّة تعني الجنود الجدد، وهي فرقة عسكريَّة أفرادها هم أسرى الحروب العثمانيَّة من الأطفال واليتامى الذين تمَّ فصلهم عن أصولهم وتدريبهم تدريبيًا عسكريًا صارمًا. كما صمَّ العثمانيُّون لاحقًا إلى الإنكشاريَّة أولاد المسيحيِّين حيث تمَّ أخذهم من بين أهلهم بموجب نظام أو قانون زعموا أنَّه

تزويز وصية الأمير إسماعيل أرسلان المتوفى يومذاك، لكي يضع يده على أملاكه الواسعة في الدامور والسهل الساحلي المتصل بصحراء الشويفات، حاولت الأميرة حبوس مواجهة لاسترداد أملاكها، ولكن الأمير بشير تمكن من قتلها غدراً في كمين نصبه لها بعض رجاله، ودُفنت في بلدة بشامون. ثم واجه بشير الثالث المصير ذاته على يد الأمير أمين أرسلان الذي تطوع لقتل الأمير بشير ثأراً للأميرة حبوس⁽¹⁾. والشيخة نايفة شمس ومبادرتها الإنسانية بالعمل على درء المخاطر وتخفيف الوبلات أثناء أحداث 1860م، إذ برهنت هذه السيدة مدى رفعة إنسانيتها باحتضانها العائلات المسيحية في منزلها، وتقديمها كل ما بوسعها من حماية وعون. «ثم أنما لما حوصرت قلعة آل شهاب من قبل الدروز، اندفعت بشجاعة فائقة تحت زخات الرصاص، فوصلت إلى القلعة واصتحبت بحمايتها كل ما فيها من نساء وأطفال، واحتضنتهم بحنان الأم، حتى انقشع الأفق وزال القتال»⁽²⁾.

يذكر دانييل بلس⁽³⁾ Daniel Bliss، في معرض حديثه عن أحداث 1860، «أن المرأة من خصوم الدروز كانت تمر في معسكراتهم آمنة. لا يُرفع إليها طرف ولا يقع في أذنها كلام. وهذا ما لا تستطيع أن تدعيه جيوش أمم غربية تبجح بمدنيتها، ثم تنتكر في الحروب لحضارتها. إنها الشهامة العربية في ذروتها عند بني معروف»⁽⁴⁾. فالدروز، ومن خلال المحافظة على أعراسهم، ينطلقون في الحفاظ على أعراس غيرهم من الطوائف الأخرى، «فهم شديدي

يستند إلى ضريبة إسلامية شرعية أطلق عليها اسم «ضريبة الغلمان، أو ضريبة الأبناء». أمّا الخزمتية، فهي أيضاً كلمة تركية تعني المرتزقة.

(1) إبراهيم بك أسود، ذخائر لبنان، بيروت، مؤسسة هنداوي لنشر المعرفة والثقافة، 1970م، ص. 196 - 197.
(2) سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، بيروت، مكتبة ناصيف للنشر والتوزيع، 1979م، ص. 264-265.

(3) دانييل بلس Daniel Bliss (1823-1946م)، مُبشر أمريكي من مواليد ولاية فيرمونت، وهو مؤسس الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1866م، وكان أول رئيساً لها.

(4) عبد الله النجار، مذهب الدروز والتوحيد، مصر، دار المعارف، 1965م، ص. 151.

فكر

التمسك بالناموس الأدبي، فلا يسطون على أعراض غيرهم، وعندهم احترام للحريم. وإذا بحث الباحث في علامات أخلاقهم لم يجد منهم ما يُنكر، بل رأى الناموس سائداً وكثيراً من الآداب الحسنة والفضائل. فهم أناس من أهل الورع الحقيقي»⁽¹⁾. أضف إلى ذلك بأن المُستشرق الفرنسي لامارتين Alphonse de Lamartine، قال بأن «يجدر بكل من تحدّث عن الدروز وما أظهره من الشجاعة والقساوة عام 1860م، أن يشهد بمحافظتهم على حياة نساء أعدائهم. فهذه الخصال الحميدة التي يتحلّى بها الدروز ويمتازون بها، هي التي ترغمني على إجلالهم والثناء عليهم كلّما قدّرت لي التحدّث عنهم»⁽²⁾.

تكرّرت المبادرات الإنسانيّة للنساء الموحّدات أثناء ثورة 1925م، عندما حاصر الدروز قلعة سويداء التي كانت حينها مقرّ الحامية الفرنسيّة، فبارد عدد من النسوة «الشيخات»، لاجراج النساء الفرنسيّات من القلعة، حينها قال سلطان الأطرش كلمته الشهيرة، «عندما كنّا في ساحات القتال قصّفت الطائرات الفرنسيّة منازلنا على من فيها من النساء والأطفال، فهُم لم يعفوا عن قتل أعراضنا، أمّا نحن فلن نُحارب الفرنسيّين ومعهم نساؤهم، آخر جنّهنّ لنُريهم كيف يكون شرف القتال»⁽³⁾. حتّى أنّ الكابيتان الفرنسي بورون Capitaine N. Bouron، يقول بأنّ «للدروز عادة شريفة وهي احترام النساء وعدم التعديّ على الأعراض، وقد حافظوا على هذا المبدأ أجيالاً طويلة إلى الآن»⁽⁴⁾.

يُمكنني إيجاز ما سبق من أحداث عبر الاستشهاد بقول حنا إبي راشد⁽⁵⁾، «إذا جئت تُعدّد

(1) إبراهيم بك أسود، ذخائر لبنان، بيروت، مؤسّسة هنداوي لنشر المعرفة والثقافة، 1970م، ص. 127.

(2) فؤاد الأطرش، الموحّدون الدروز بهم وتاريخ وحقائق، بيروت، لا دار نشر، 1981م، ص. 229.

(3) عبد الله نجّار، مذهب الدروز والتوحيد، مرجع سبق ذكره، ص. 152.

(4) الكابيتان بورون، الدروز، ترجمة، عادل تقي الدّين، بيروت، لا دار نشر، 1933م، ص. 242.

(5) حنا أبي راشد (1886-1974م)، أديب لبناني من مواليد وادي شحور. اشتغل بالأدب والصحافة، فأنشأ عدداً من الصُحف والكتب. عاش في جبل الدروز أثناء الثورة السوريّة في وجه الانتداب الفرنسي عام 1925م، وسجّل أحداثها. أصدر كتابين في هذا الموضوع، الأوّل هو جبل الدروز، والثاني حوران

فضائل الدروز فهي تنحصر في ثلاثة أمور: أولاً، الدرزي يُحافظ على الأعراض كمحافظة على دمه. ثانياً، ويُحافظ على استقلاله كما يُحافظ على ضيفه. وثالثاً، الدروز سلامٌ وحرَبٌ في آنٍ واحد، فالسلام يُعطوه لمن يرغب في السلام، والحرب يندفعون إليه ولو ماتوا عن آخرهم، تجاه من يدفعهم إلى الحرب»⁽¹⁾.

ثالثاً: المرأة الدرزية وقانون الأحوال الشخصية أ - الزواج

إنَّ وعي حقيقة الزواج عند المؤخِّدين الدروز وانجذاب شخصٍ إلى شخصٍ مُحدَّد من دون غيره، والدور التكاملي الذي يمثِّله الشريكين في حياتهما الزوجية، كما وفكرة الإنجاب، وتحليل مفهوم الولدانية، وغيرها من المسائل ذات الصلة، تُعتبر نقاط مفصلية في التربية والثقافة التوحيدية. «فالزواج يأخذ غير مظهر، فهناك الزواج على المستوى السطحي، والزواج على المستوى الإنساني، والزواج على المستوى العرفاني»⁽²⁾.

إنَّ الزواج على المستوى السطحي، هو ذلك الإحتفال الذي يُعبر عنه بـ «العرس»، أي حفلة الزفاف، بوصفها التظاهرة التكليفية، كبداية لمسيرة حياةٍ مجهولة المصير، إذ أنَّها لم تُؤسَّس على وعيٍ ودراية، بل على حسِّ التملك والغيرة، وهو إحدى الطُّرُق لتحقيق مُشتهيات الجسد والرغبات الحسية، واستمرارية النسل الذي يتأتَّى نتيجة التزاوج، وليس كثمر حُبِّ. فالزواج التكليفي هذا، هو نقيض الزواج الذي يرقى إلى المستوى الإنساني، أي الحياة الزوجية الكريمة. تلك الزوجية المُطلَّلة بالحُبِّ الذي يتمظهر في المشاركة القائمة على

الدائمة، كشف فيها معلومات كثيرة ومهمَّة عن هذه الثورة وقادتها وأهالي الجبل بصورة عامَّة. ينتشر كتاباه بشكل كبير في الأوساط الدرزية.

(1) حنَّا أبي راشد، جبل الدروز بحث عام في تاريخ شعبه وأخلاقهم ونسبهم وعاداتهم واعتقاداتهم وحرورهم، القاهرة، مكتبة زيدان، الطبعة الأولى، 1925م، ص. 165-164.

(2) نجوى حسيكي، الرؤية العرفانية، مرجع سبق ذكره، ص. 77.

فكر ▶

الثقة والإحترام والرِّقَّة، وهي فضائل تُؤسِّس للانسجام، وتجسِّد قُدسيَّة الارتباط بعُرفِ الزواج الذي رسمته القيمُ الإنسانيَّة السَّامية.

هذا، وينبغي للعلاقة الزوجيَّة في شكلها النموذجيِّ أو التقليديِّ أن تقوم في ظاهرها على مفهوميِّ المفيد المرسل والمُسْتفيد المُتلقِّي، فيكون بالظاهر الرجل الزوج هو المفيد، والمرأة الزوجة هي المُستفيد بالإضافة إليه، على قاعدة القِوامَةِ. وهذا لا يُنقص من مقام المرأة، ولا يجعلها في مرتبةٍ دون الرجل، كما أنَّه لا يجعل الرجل في مصافِّ أرقى، إذ لا تفاضلُ بينهما إلا بالعلم والعمل. وهذا أمرٌ يرَاعَى في أثناء اختيار كُلِّ منهما شريكه، إذا كان الطَّلَب تأسيس شراكةٍ تتعدَّى المفهوم السطحيَّ لجهة الاستقلاليَّة والأسرة والترتيبات الاجتماعيَّة الموروثة⁽¹⁾.

هذا، ويُسْتَرط على الزوجين المُوَحِّدين خمسة موجبات، إثنان منها قبل الإتصال، وثلاثة بعده. فالشرطين الأوَّلين هما، أن يكون الزوجان مُوَحِّدين صادقين. والآخر، أن يتحقَّقا الرُّضي بعضهما ببعض. أمَّا الشروط الثلاثة بعد الإتصال، فالأوَّل تسليم كُلِّ من الزوجين نفسه للآخر، والرُّضي به من غير إجبارٍ أو قهر. والثاني المساواة بالنفس في كُلِّ شيء، من دينٍ ودنيا. والثالث النصفَ من جميع ما في اليَدِّ من الدُّنيا. أمَّا فعل الزواج مع بطلان أحد الشروط الخمسة المذكورة، فهو مُحالَّةٌ لمرسوم الحقِّ وشرع التوحيد.

ويبقى معنى الزوجيَّة الحَقَّة في بعدها العرفانيِّ، التي تتحقَّق بعدما يُدرك المرء غايته الإنسانيَّة وهدفه في الحياة، وترقى نفسه في معراج الفضائل، فيتممُّر كُلِّ خصلة فيه وفي شريكه؛ مرآة نفسه، إذ ذاك يُسهِّم في إحداث التوازن في هذه الخصال، فيغدو التكامل سبيلًا للوصول إلى «غاية الغايات».

قد يبدو هذا الكلام طوباويًّا في إحدى وجوهه، أو مبالغٌ فيه لدرجةٍ تُبعده عن الواقع

(1) نجوى حسيكي، الرؤية العرفانيَّة، مرجع سبق ذكره، ص. 69-68.

المعيش. ذلك لأنَّ لكلِّ فردٍ خصوصيَّته وإمكانيَّته وفرادته وتجربته. فمهما يحصل من تقارب وتعاون وتكامل ومصارحة، بين الزوجين، يبقى تحقيق الزوجية الحقة في بعدها العرفاني بعيدة المنال، أو ربَّما ترتبط نسبيَّة تحقيقها بكلِّ نفسٍ على قدر طلبها واستعدادها وتمكُّنها بشكلٍ خاصّ. على الرّغم من تحقُّقها عند أفراد قلائل من أبناء المجتمع الدّيني، كـ «أسياد الهيئة الروحية العليا للطائفة الدرزيَّة»، الذين يتزوَّجون زواجًا «نظريًّا»، أو زواجًا «تعفُّفيًّا»، بحيث لا يحصل فيه «مواقعة»؛ بحسب تعبيرهم، أي لا يحصل فيه علاقة جنسيَّة بين الزوجين. وهذا مقياسٌ لعقَّة كليهما، من جهة. ولتحقيقهما معنى الزوجية في بعدها التَّبَتُّليّ التَّصَوُّفيّ، من جهةٍ أخرى.

إلا أنَّ السؤال ما يلبث أن يظهر من خلف إنسانيَّة وطوباويَّة ذلك البُعد، طارحًا الموضوع الأكثر شائكيَّة، وهو: لماذا يقف الدروز موقفًا مُعَايِرًا من الزواج المُختلط مع الطوائف الأخرى؟

ترى العقيدة التوحيدية، بأنَّ مجرَّد الإيمان بالتعاليم لا يجعل من المؤمن مُوحَّدًا بالضرورة. ذلك أحد الفروقات بين الموحِّد الذي دخلت العقيدة في وجدانه فانتمى إليها فكريًا وقولًا وعملاً، والمؤمن بتعاليمها الذي لم يتعدَّ إيمانه إلى العمل. فالموحِّد الحقُّ هو ذلك الذي يُجدِّد اعتقاده على الدوام، إذ التوحيد هو فعلٌ استمراريٌّ يُبارسه الموحِّد تحضُّلاً في أدقِّ تفاصيل حياته اليوميَّة.

لذا، فعقيدة التوحيد تُحتمُّ على الموحِّدين أن يمتنعوا عن الزواج حتَّى من الدروز، ممَّن لم يرقَّ منهم إلى دائرة التوحيد. فـ «البناء المادِّي للموحِّد، يجب أن يكون على غاية من التألُّف والانسجام والتوافق مع إرثه الروحيّ، ذلك أنَّ ما هو جسديّ هو تعبيرٌ عمَّا هو روحيّ. كلاهما يُؤلِّف اللإنسان الذي يبلغ كماله في نظام اجتماعيٍّ مُنسَجِمٍ مع وجوده الظاهر وبنيته الروحيَّة. فكما أن الكلمة بطبيعتها لا تكتمل إذا لم تكن تُعبِّر عن حقيقة ما تحويه، كذلك

فكر

الجسد الإنساني لا يُحَقَّقُ غايته إذا لم يكن يُعَبَّرُ عن حقيقة ما يُظهِره⁽¹⁾. وعليه نرى بأنَّ رجال الدين لا يتزوَّجون إلا من نساء الدين، أي أن الشيوخ يتزوَّجون الخيشات. ولا يجوز للملتزمين والملتزمات أن يتزوَّجا ممن لم يُشهِر التزامه الديني. هذا، ومُحرَّم العقيدة التوحيدية تُعدُّ الزوجات.

أمَّا فيما يخصُّ رفض أو قبول الزيجات المُختلطة بين الدرروز وغير الدرروز، فذلك يعود إلى تركيبة البنى الاجتماعية لدى بعض العائلات الدرزية، ومدى قربها أو بعدها عن تعاليم الدين، والتزامها بالموثوق الاجتماعي والعادات والتقاليد المُتَّبعة. هكذا، فالزيجات المُختلطة التي تكون عادةً نتيجةً لحُبِّ مُتبادَل بين الزوجين، قد يدوم كُلُّ العمر، أو إلى أجلٍ محدود. وقد تأتي بالسعادة للزوجين ولأولاهما، أو قد تأتي بالشقاء مثل غيرها من الزيجات غير المُختلطة. لكنَّ رؤية المؤخِّدين لهذا الموضوع تقول بأنَّ هكذا زيجات ستبقى على الدوام مؤسَّسة قائمة على العاطفة والحُبِّ البشري، ولا ترقى إلى مُستوى الحُبِّ النَّاسوتيِّ. ستبقى محصورة في حدود العالم المحسوس فلا تتعدَّاه إلى مراقبي الروح والتحقُّق التوحيديِّ الأصيل، أي إلى حقيقة غاية الزواج ببلوغ وحدةٍ روحيةٍ حقيقيةٍ بين الزوجين بحسب الروحية التوحيدية.

بشكلٍ عامٍّ، لا يسمح المُجتمع الدرزي بعاداته وتقاليده ومرجعياته الدينية، بالزواج من خارج المُتممين للطائفة. والمُتتمي إلى الطائفة يُعرَّف في هذا السياق، بأنَّ أبويه درزيين. ويُشير رئيس القضاء المذهبي الدرزي الشيخ حليم تقي الدين، في إحدى مُحاضراته بعنوان: «المرأة الدرزية زواجها وطلاقها»، التي أُلقيت في مقرِّ رابطة العمل الاجتماعي - رابطة الجامعيين الدرروز في بيروت قائلاً: «لا يجوز عقد زواج بين رجل وإمرأة إلا إذا كانا من المؤخِّدين ليصبح قائماً وصحيحاً، وقد يأخذ مفعوله إذا حصل في بلاد خارج

(1) نجوى حسيكي، الرؤية العرفانية، مرجع سبق ذكره، ص. 83.

البلد الذي شُرِّعَ فيه النظام، نظام الموحّدين»⁽¹⁾.

ب- الطلاق

نَصَّ قانون الطلاق عند الموحّدين الدرّوز، على أنّ عقد الزواج لا ينحلّ إلّا بحُكْم قاضي المذهب. بمعنى، لا تُعتَبَر عبارة «أنت طالق، أو أنت طالق» نافذة، إذا قالها أحد الطرفين للآخر، إلّا بحُكْمٍ منصوص. فالطلاق اللفظي لا يحلّ الزواج، إنّما يتمّ ذلك عبر طريقتين، الأولى وهي الفسخ بالتراضي، والثانية بناءً لطلب من إحدى الزوجين، وكلاهما يتمّ أمام قاضي المذهب، ويتعيّن وجود شاهدين لمعرفة أسباب الطلاق بعد إتاحة الفرصة للتسوية إذا أمكن. فإن وَقَعَ نزاع أو شقاق بين الزوجين وراجع أحدهما القاضي، يُكَلَّف القاضي حَكْمًا من أهل الزوج وحكّمًا من أهل الزوجة. وإن لم يكن بين أهلها من تتوفّر فيه أوصاف الحكم، اختار القاضي حَكْمًا من غير أهلها. ويُمكن للقاضي تكليف مُختَصّ اجتماعي أو نفسي في الحالات التي تستدعي ذلك، ليقوم مقام الحكمين.

على المُختَصّ أو الحكمين أن يتعرّفوا أسباب الشقاق بين الزوجين، وأن يجتهدا في إصلاح ذات البين. وإن لم يكن التوافق بينهما وكان القصور والإصرار من جهة الزوج، يُفَرِّق القاضي بينهما ويُحكّم للزوجة بكامل المهر المؤجّل أو ببعضه، وينصف من كلّ ما يملكه الزوج. كما وينصّ شرط الزواج «الدّيني» عند الموحّدين، بأن تأخذ الزوجة النصف من «جميع» ما يملكه الزوج، إذا أراد هو أن يُطلّقها بلا ذنب لها عليه. وإن كان من جهة الزوجة، يحكم القاضي بإسقاط المهر المؤجّل كلًّا أو بعضًا. فللقاضي أن يحكم في كِلا الحالتين على غير المُحقّق من الزوجين بما يستحقّ الآخر من تعويض عن العطل والضرر. وإن ظهَرَ للقاضي أنّ الطلاق لا يُبرّره سبب شرعي، يحكم للزوجة بالتعويض عن العطل والضرر فضلًا عن

(1) راجع: جريدة السفير، السنة الثامنة، العدد 2804، بيروت، نهار السبت الواقع فيه 20 شباط 1982م.

فكر

مُؤَجَّل المهر، على أن يُؤخَذ بالاعتبار الضرر المعنوي والمادي⁽¹⁾. كما أن حَقَّ طَلَب الطلاق بيد كُلِّ من الطرفين بالتساوي، أي يحقُّ للزوجة طلاق زوجها مثلما يحقُّ له طلاقها. ولا تحل للرجل مُطَلَّقَتِهِ أبداً بعد صدور حكم القاضي بالتفريق بينهما، هذا لأنَّ في القانون «الدِّيني» عند المُوحِّدين، لا يجوز «قطعاً» للرجل أن يُعيد زوجته بعد طلاقها. بمعنى، لا يجوز له أن يتزوَّجها مرة ثانية بعد أن طَلَّقها، والسبب في ذلك يعود لعدم جعل المرأة «الْعوبة» - بحسب تعبير قائلها - بيد الرجل يُطَلِّقها متى يشاء ومن ثمَّ يُعيدها إلى البيت الزوجي متى يشاء. كما جعل هذا القانون مُدَّة «الْعِدَّة»⁽²⁾ أربعة أشهر من تاريخ الطلاق أو التفريق. وأربعة أشهر أيضاً من تاريخ وفاة الزوج، أمَّا عِدَّة المرأة الحامل هي لغاية وضع المولود، ونفقة المُعتدَّة على الرجل.

أمَّا بالنسبة إلى الحقوق الاقتصادية التي يترتَّب عليها عقد الزواج، فصحيحٌ أن لِكِلَا الزوجين حقوقاً، ومنها حقوق مُشتركة بينهما، إضافة إلى وجود واجبات على كُلِّ منهما، لكنَّها في الواقع لا تؤسِّس لإطارٍ من المُساواة بين الطرفين، فضلاً عن أنَّ النساء يواجهنَّ صعوبات في الحصول عليها. إذ إنَّ بعض الأحكام الصادرة في موضوع النفقة الزوجية قوبلت بعدم إيفاء المبالغ المحكوم بها للحاجات الدنيا للعائلة. ومع أنَّ دعاوى النفقة يُمكن البتُّ فيها قبل الفصل في أساس النزاع، فإنَّها تستغرق مُدَّة طويلة، حيث لا يُراعى فيها في غالب الأحيان واقع المرأة العاجزة اقتصادياً والمسؤولة في الكثير من الأحيان عن الإنفاق على الأولاد.

(1) المادَّة 37 و49 من قانون الأحوال الشخصية للطائفة الدرزية، أنظر: الجريدة الرسمية، العدد التاسع، تاريخ النشر 1948/3/3 م.

(2) العِدَّة، هي مُدَّة «انحباس» المرأة عن الزواج بعد طلاقها، أو بعد وفاة زوجها، لتتأكَّد إذا ما كانت حامل من طليقها، أو من زوجها المتوفى. تنتهي هذه المُدَّة بعد أربعة أشهر «قمرية». ما معناه، انتهاء الدورة الشهرية الرابعة للمرأة المُطلَّقة، أو الأرملة.

ج - الحضانة والولاية على الأولاد

أمّا لجهة الحضانة، فإنّ القانون يقف إلى جانب الأم في قضيتي الحضانة عند الموحّدين، فالأم هي الأحقّ بحضانة الأولاد وتربيتهم بعد وقوع الطلاق، بحيث تنتهي مدّة حضانة الأم لأولادها الذكور عند إتمامهم السنة الثانية عشر من العمر، وتنتهي مدّة حضانتها لبناتها الإناث عند بلوغهنّ السنة الرابعة عشرة من عمرهنّ⁽¹⁾. ويسقط حقّ الأم في الحضانة في حال زواجها بغير «محرّم» لأولادها. بحسب أحكام المادّة 56 من قانون الأحوال الشخصية. وأجرة الحضانة وبدل النفقة كلّها تُلزم الأب.

وفق قانون الأحوال الشخصية وبموجب الفصل الثاني عشر، للأب ولو كان مستور الحال اقتصادياً؛ أي معسّر الحال، الولاية على أولاده الصغار والكبار غير المكلفين ذكوراً وإناثاً في النفس وفي المال، ولو كان الصغار في حضانة الأم المطلّقة. وإذا بلغ الولد «معتوهاً، أو مجنوناً»⁽²⁾، تستمرّ ولاية أبيه عليه في النفس والمال، وإذا بلغ عاقلاً ثمّ عتبه أو جُنّ، عادت ولاية أبيه بحكم القاضي⁽³⁾.

أمّا النفقة، تجب على الأب نفقة ولده الصغير ذكراً كان أم أنثى، إلى أن يبلغ الذكر حد الكسب ويقدر عليه، وتزوّج الأنثى. أيضاً تجب على الأب نفقة ولده الكبير الفقير العاجز من الكسب لعاهة تمنع عن الكسب، ونفقة الأنثى الكبيرة الفقيرة ما لم تتزوّج⁽⁴⁾.

في حال وفاة الأب، أو فقدان أهليّته، فبحسب التعديل الأخير في عام 2017م، جرى

(1) انظر: المادّة 64، البند أ، من قانون الأحوال الشخصية لطائفة الموحّدين الدرّوز، مرجع سبق ذكره، والتي عدّلت بموجب قانون 58/2017.

(2) عتبه أو جُنّ تعنيان الإعاقة الجسديّة والفكريّة، وقد وردا بهذه الصيغة في نصّ القانون.

(3) انظر: الجريدة الرسميّة، العدد التاسع، تاريخ النشر 1948/3/3م.

(4) انظر: المادّتين 67 و68 من قانون الأحوال الشخصية لطائفة الموحّدين، الجريدة الرسميّة، العدد التاسع، تاريخ النشر 1948/3/3م، ص. 150.

فكر ▶

تكريس الاجتهاد الذي كان مُعْتَمَدًا، حيث أصبحت الأم تُعْطَى وصاية الطفل حتّى في وجود العمّ، وأصبحت المادّة القانونيّة على الشكل التالي: «تجوز الوصاية على الزوجة والأم وغيرها من النساء وإلى أحد الورثة أو غيرهم. ويجوز جعل الأم أو غيرها مُشرفّة مع وجود وصي. وتُقدّم الأم على ما عداها من الأوصياء»⁽¹⁾.

والولي على الفتاة أو المرأة في الزواج هو العَصَبَة بنفسه على الترتيب، ويُشترط أن يكون مكلفًا، فلا ولاية للوصي والمعتوه والمجنون على الفتاة. فإن لم يكن لطالبة الزواج وليّ، أو كان وليّها غير حائز الأهلّيّة القانونيّة، يقوم بالولاية شيخ العقل أو قاضي المذهب، أو من يستتبه هذه الغاية. أمّا إذا طلبت الفتاة التي بلغ عمرها الحادية والعشرين أن تتزوَّج بشخص ما، بغير رضی أهلها، فشيوخ العقل، أو قاضي المذهب يُبلِّغ ذلك لوليّها، وإن لم يعترض الولي في مُدّة خمسة عشر يومًا من تاريخ تبليغه، أو اعترض ورئيّ اعترضه في غير محلّه، أذن شيخ العقل أو قاضي المذهب بزواجها⁽²⁾.

3 - الإرث أو الميراث

تتساوى الأحكام الناظمة للإرث عند المؤخدين؛ إلى حدّ كبير، بين الذكور والإناث، كما تتساوى الأحكام الناظمة أيضًا لإرث الزوجة وتلك المتعلّقة بإرث الإبنة. أمّا بالنسبة لباقي الوارثات من الأم والأخت والعمّة والخالة وبنات الإبن وبنات البنت، فلا تمييز في هذه الحالات بين النساء والرجال، إنّما يحصل تمييز في كثير من الحالات بين الإبن والإبنة، خاصّةً فيما يتعلّق بتسجيل ملكيّة العقارات بإسم الذكور، حتّى وإن عارض ذلك قواعد الميراث التي نصّ عليها الشرع التوحيدي، أو القانون المدني، وذلك للحفاظ على الثروة داخل الأسرة⁽³⁾.

(1) انظر: المادّة 91، المرجع نفسه، ص. 142، عدّلت بموجب قانون 2017 / 58.

(2) انظر: المواد 6 و7 و8، المرجع نفسه، ص. 133.

(3) ما يعتبره التقليديون إيجابيًا للحفاظ على الثروة داخل الأسرة، يقابله سلبية هذا الموقف، إذ حرمان المرأة

وأَسباب الإرث عند المُوَحِّدين، ثلاث: القرابة، أي النَّسَب الحقيقي، والزواج بعقدٍ صحيح، وحرِّيَّة الإيضاء للنسب الروحي. فعند توزيع التَّرِكَة يُبدأ أولاً بأصحاب الفروض، وهم الورثة الَّذِينَ لهم أنصبة مقدَّرة في الشرع التوحيدى⁽¹⁾، ثُمَّ إن باقي الإرث يُوزَع على العَصَبَات⁽²⁾. وفي حال لم يكن للمتوفَّى أولادٌ من ذكور بل إناث، فتُعتبر في هذه الحالة البنت عَصَبَةً بنفسها وتُورث كامل تركتها بعد أن يأخذ أصحاب الفروض فروضهم. وإذا تعدَّدن تُوزَع الأنصبة بينهنَّ بالتساوي⁽³⁾.

كما تجوز الوصِيَّة إلى الزوجة والأم وغيرهما من النساء، وإلى أحد الورثة أو غيرهم. ويجوز جعل الأم أو غيرها مُشرفة على الوصِيَّة مع وجود الوصي. وتُقَدَّم الأم على ما عداها من الأوصياء. فإذا أوصى الموصي قبل الزواج، ثُمَّ تزوَّج ورزق ولداً، أو أوصى بعد الزواج ولم يكن له ولد، ثُمَّ رزق ولداً، تبطل وصيَّته وتوزَع تركته حسب الفريضة الشرعية مع مراعاة أحكام المادة 169 من قانون الأحوال الشخصية لطائفة المُوَحِّدين الدروز. أمَّا إذا لم يرزق ولداً، فتُنَفَّذ الوصِيَّة بعد أن يُعطى الزوج أو الزوجة الفرض

ميراث الأراضي والعقارات يحدُّ نتيجة ذلك من قدرتها الاستشارية، وبالتالي عدم قدرتها على الإستقلال المادِّي. لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: هيو من رايتس ووتش، غير متساوٍ وغير تحمي: حقوق المرأة في قوانين الأحوال الشخصية، 2015م، ص. 87 وما يليها.

(1) أصحاب الفروض الَّذِينَ لهم أنصبة في الميراث هم 12 شخصاً: 4 ذكور وهم الأب والجَد الصحيح والأخ لأم والزواج. و8 إناث وهُنَّ الزوجة والبنت والأخت الشقيقة والأخت لأب والأخت لأم وبنت الإبن والأم والجدة الصحيحة.

(2) عَصَبَةُ الرجل هم: بَنُوهُ وقرابته لأبيه، وسُمُّوا بذلك لأنهم يحيطون به ويحمونه. وفي الميراث، العَصَبَةُ هو كُلُّ وارث ليس له نصيب مُقدَّر من التَّرِكَة. وهو يأخذ ما أبقاه أصحاب الفروض من التَّرِكَة، وإن لم يبقى عنهم شيء فلا يرث شيئاً، أو يأخذ كُلَّ التَّرِكَة عند عدم وجود أصحاب فروض.

(3) انظر: المواد 17 و18 و19 من تعديل قانون الأحوال الشخصية لطائفة المُوَحِّدين الدروز، مرجع سبق ذكره، ص. 170 وما يليها.

الشرعي من التركة⁽¹⁾.

الخاتمة

هناك شبهة إجماع عند المؤحدين على أن التجارب الروحية للنساء المؤحدات تختلف اختلافاً جذرياً عن المعيار الذكوري. هذا لأن المؤحدات قد بلورن مفهوم العقيدة التوحيدية وزاعين جوانبها في أفكارهن وأقوالهن وأفعالهن، فبذلك ارتقن درجات سامية في العرفان التوحيدي ومنازل عالية في الروحانية. فأضحى واضحاً بأن منزلة ومرتبة النساء المؤحدات تفوق منازل ومراتب الرجال، لا بل تتعداها وتتخطاها إلى مجالات أسمى وأرقى بحيث لا يقوى الرجال على بلوغها. وأجزم بلا مبالغة إذا قلت بأن النساء المؤحدات هن من صان بذرة العقيدة التوحيدية الأساس، وحافظن عليها، وعلمن ونشأن الأجيال المؤحدة عليها. هذا بالإضافة لكونهن رمزاً لجوهر الوجود الذي من أخص خصائصه أنه الجزء المنفعل القابل لتأثيرات الفعل الإلهي فيه. وعليه، فهن أكثر كمالاً من الرجال، ذلك لأن لتجاربهن في عقيدة التوحيد مجالاً خاصاً يصعب الوصول إليه، لكونهن تمتلن تجليات أسرار الله في رحمته.

ولكن إذا كان من الواضح بأن المرأة الدرزية أعطيت حقوقها، أو أخذت حقوقها، أكثر من باقي النساء في المجتمعات الطائفية الأخرى؛ وتحديدًا الإسلامية منها، إلا أن ذلك لا يعني بأنها أخذت حرّيتها. والمعنى في ذلك، أن المرأة التي تُعطى الحق في التعليم كما الرجل، وتُعطى الحق في العمل، والحق في أن تكون زوجة واحدة لا تقبل بتعدد الزوجات، ولها حق رفض الزواج من شخص لا تحبه، كما ولها الحق في عدم الالتزام بالنقاب أو بالحجاب، ولها حق الطلاق، وحضانة أطفالها، وحقها في أن ترث كامل التركة، وغيرها من الحقوق. فمفهوم حقوق المرأة رغم إيجابياته، لا يعني حرّية المرأة، فإذا كان الأول أي حقوق المرأة،

(1) انظر: المادتين 16 و17، مرجع سبق ذكره، ص. 170.

هو مطلب حركات نسائية، أو نسوية، وشأن نسائي في المجتمعات الذكورية لا تستفيد منه سوى النساء، إذا تحقّق. فإنّ الثاني أي حُرّيّة المرأة، يجب أن يكون مطلباً «رجالياً»، كما هو مطلبٌ إنسانيّ يعود بالخير على الإنسانية جمعاء. والحالة هذه تعني إنهاء الهيمنة الذكورية التي تنتقص من وقار الرجولة وشهامتها، مثلما تنتقص أحياناً النسوية بمفهومها الخاطيء⁽¹⁾، من أنوثة المرأة ولطافتها. «إنّ انهيار الهيمنة الذكورية لا يعني أن يعطي الرجل للمرأة حقوقها، بل يعني بأنّ على كليهما انتزاع حقوقهما الإنسانية كأفراد تحرّروا من استبداد الجماعة والتاريخ»⁽²⁾.

مما لا شكّ فيه بأنّ الذكورية، في الوَسَط الدرزي ما زالت مُهيمنة بعنفها الرمزيّ على النساء اللواتي يبدو أنّهنّ متحرّرات نسبياً، فيما هنّ ضحيّات السمت الاجتماعيّ بتقاليد الشريعة، وموروثاته القبليّة، التي تُصوّر هيمنة الرجل وكأنّها حالة طبيعيّة. «المرأة الدرزية، وإن تحرّرت من السور المرئيّ كالنقاب والحجاب، فإنّها تقبع داخل سور غير مرئيّ يتمثّل في فرض سلوكها الذي يجب أن يأخذ التبعية للرجل بالحسبان، ويتمثّل في فرض ادراكها لجسدها بأنّ أهمّ ما فيه يتمثّل شرف رجل أو مجموعة الرجال من الأقارب. وبالتالي، يجب عليها المحافظة عليه بتحكّم وبشكلٍ مدروس، إلى آخر الكثير من التابوهات»⁽³⁾.

غير أنّ من اللافت، أن بعض هذه التابوهات لا يتمّ فرضها بشكلٍ قسريّ على النساء، هذا لأنّ بعضهنّ يرونها أشياءً طبيعيّة، ويجب عليهنّ قبولها بشكلٍ تلقائيّ وخضوعٍ إراديّ. وهكذا، «إنّ المنطق المُفارق للهيمنة الذكورية والخضوع الأنثويّ الذي نستطيع أن نقول عنه

(1) ما أعنيه بالنسوية بمفهومها الخاطيء، هو؛ وعلى الرغم من أنّ غالبية الحركات النسوية ساهمت في جعل المجتمعات أكثر إنصافاً وعدالةً وأقلّ تمييزاً جندرياً. مع ذلك فقد خلقت بعض الجمعيات النسوية إرباكاً فيما يتعلق ببناء قاعدة أيديولوجية تقوم على مُعادة الرجل «كذكر»، باعتباره مُمثلاً للذكورية.

(2) مُضر رياض الدبس، عقل الجهالة وجهل العقلاء في المقدّس والثقافة وإشكالية العلاقة بينهما - المجتمع الدرزي نموذجاً، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2014م. ص. 152.

(3) مُضر رياض الدبس، عقل الجهالة، مرجع سبق ذكره، ص. 150.

فكر ▶

في الوقت نفسه؛ ومن دون تناقض، بأنه عفويّ ومسلوب في آن، ليس بالمستطاع فهمه إلا إذا علمنا الآثار الدائمة التي يُمارسها النظام الاجتماعيّ على النساء، أي الاستعدادات العفويّة الممنوحة لهذا النظام الذي يفرضه عليهم ذلك المنطق⁽¹⁾. ممّا أبقى حرّيّة المرأة متأرجحة بين السلب والإيجاب أمام سلطة الرجل ومزاجيّته المكتسبة من البيئة والمحيط، والتي لا تخلو من نفحةٍ تقليديّة.

(1) بيار بورديو، الهيمنة الذكوريّة، ترجمة، سلمان عقراي، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة، 2009م، ص. 66.

لائحة المصادر والمراجع:

بحسب التسلسل الألف-بائي.

- 1 - إبراهيم بك أسود، ذخائر لبنان، بيروت، مؤسّسة هنداوي لنشر المعرفة والثقافة، 1970م.
- 2 - أديل حمدان تقي الدّين، المرأة في مُجتمَع المُوحّدين الدروز بين الأمس واليوم، بيروت، دار الفرات للتوزيع والنشر، 2004م.
- 3 - بيار بورديو، الهيمنة الذكوريّة، ترجمة، سلمان عقراي، بيروت، المُنظّمة العربيّة للترجمة، 2009م.
- 4 - جريدة السفير، السنة الثامنة، العدد 2804، بيروت، نهار السبت الواقع فيه 20 شباط 1982م.
- 5 - الجريدة الرسميّة، العدد التاسع، بيروت، تاريخ النشر 3/ 3/ 1948م.
- 6 - حناّ أبي راشد، جبل الدروز بحث عامّ في تاريخ شعبه وأخلاقهم ونسبهم وعاداتهم واعتقاداتهم وحرورهم، القاهرة، مكتبة زيدان، الطبعة الأولى، 1925م.
- 7 - ربيعة أبي فاضل، النزعة الصوفيّة في الأدب المهجري، بيروت، لا دار نشر، 2009م.
- 8 - سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، بيروت، مكتبة ناصيف للنشر والتوزيع، 1979م.
- 9 - سامي مكارم، العرفان في مسلك التوحيد، لندن- المملكة المتّحدة، مؤسّسة التراث الدرزي، الطبعة الثالثة، 2014م.
- 10 - سامي مكارم، عاشقات الله، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 1994م.
- 11 - سامي مكارم، رحلة بلا طريق، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 2013م.
- 12 - صالح زهر الدّين، تاريخ المُسلمين المُوحّدين الدروز، بيروت، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، الطبعة الثانية، 1994م.
- 13 - عبد الله النّجار، مذهب الدروز والتوحيد، مصر، دار المعارف، 1965م.
- 14 - فؤاد الأطرش، المُوحّدون الدروز تُهمّ وتاريخ وحقائق، بيروت، لا دار نشر، 1981م.
- 15 - كايبتان بورون، الدروز، ترجمة، عادل تقي الدّين، بيروت، لا دار نشر، 1933م.
- 16 - مُضر رياض الدبس، عقل الجهالة وجهل العقلاء في المُقدّس والثقافة وإشكاليّة العلاقة بينهما- المُجتمَع الدرزي نموذجًا، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2014م.
- 17 - مُعجم المعاني، النسخة الإلكترونيّة، عبر الرابط التالي: <https://www.almaany.com/ar/dict>
- 18 - نجوى حسيكي، الرؤية العرفانيّة في فكر سامي مكارم، بيروت، دار صادر، 2019م.
- 19 - نزهة براضة، الأثوثة في فكر ابن عربي، بيروت، دار الساقى، 2008م.
- 20 - هيومن رايتس ووتش، غير متساوٍ وغير محميّ: حقوق المرأة في قوانين الأحوال الشخصية، 2015م.

الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط سيطرة أم تحالفات؟

د. نغم أبو شقرا - أستاذة محاضرة وباحثة في العلاقات الدولية والعلوم السياسية

المقدمة:

تعد إيران قوة إقليمية عظمى، وتحتل مركزاً هاماً في أمن الطاقة الدولية والاقتصاد العالمي بسبب احتياطاتها من الغاز والنفط، وهي واحدة من أقدم الحضارات في العالم. استطاعت إيران لعب دور مؤثر وفاعل في منطقة الشرق الأوسط وإبراز قوتها وبسط نفوذها في المنطقة، بالرغم من توتر العلاقات مع الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية والعقوبات الأمريكية والغربية الطويلة الأمد، وليس هذا وحسب بل خرجت من عزلتها بسبب علاقاتها الودية مع القوتين العملاقتين روسيا والصين. كما استطاعت إيران أن تعيد شرايين الحياة المالية والديبلوماسية بسبب مبيعات نفطها للصين وصفقات الأسلحة مع روسيا.

وأصبح التأثير العسكري والسياسي الإيراني أوسع وأعمق من أي وقت مضى. لقد هيمنت طهران على السياسة في لبنان وسوريا والعراق واليمن. وساهمت في الضربة الأكثر تدميراً لإسرائيل منذ عقود والمتمثلة في هجوم حماس في أكتوبر/ تشرين الأول 2023. واليوم بعد سقوط نظام الأسد «ومحور المقاومة» في لبنان، الذي كلف طهران مليارات دولار، أدى ذلك إلى انكفاء نفوذها في المنطقة⁽¹⁾. كل ذلك يستدعي من إيران إتخاذ سياسات داخلية وخارجية مختلفة.

(1) وول ستريت مورنال: هكذا أصبحت إيران قوة دولية رغم أنف أميركا في 1/7/2024 على الرابط:

[www/aljazeera.net/politics/2024/7/11](http://www.aljazeera.net/politics/2024/7/11)

قد قسّمنا بحثنا هذا الى مبحثين.

المبحث الأول سنتناول فيه طبيعة الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط، والذي قسّم الى مطلبين. في المطلب الأول تناولنا السياسة الخارجية الإيرانية وأهدافها في الشرق الأوسط، أما المطلب الثاني فقد تحدثنا فيه عن استراتيجية إيران في الشرق الأوسط في ضوء المتغيرات الداخلية.

أما المبحث الثاني فقد ناقشنا تأثير سقوط نظام الأسد على الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط والذي قسّم بدوره الى مطلبين. ففي المطلب الأول تناولنا الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط بعد سقوط الأسد، أما المطلب الثاني فهو مستقبل العلاقات العربية – الإيرانية في عهد بزشكيان.

المبحث الأول: طبيعة الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط.

يستحوذ الدور الإيراني في منطقة الشرق الأوسط على اهتمام الكثير من المحللين السياسيين العرب وكذلك الشعوب العربية، إذ يعترف الجميع بالدور الإيراني الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط ولا ينحصر الدور الإيراني في التأثير السياسي بل يحمل أبعاداً جيوسياسية، أضف الى ذلك البعدين الثقافي والديني.

إن قضية المصالح الوطنية الإيرانية هي محل إجماع في الداخل الإيراني على الرغم من الصراع بين الإصلاحيين والمحافظين. يمكن القول إن سياسة إيران ليست وليدة اليوم، بل منذ القدم ولغاية عصرنا الحالي، وإيران تسعى للعب دور إقليمي فاعل وتبحث عن تحقيق أهدافها وسياساتها من خلال مد نفوذها وسيطرتها على منطقة الشرق الأوسط.⁽¹⁾

لعبت إيران خلال حكم الشاه دوراً إقليمياً هاماً في منطقة الشرق الأوسط، وكانت

(1) سنية الحسيني، طبيعة الدور الإيراني في الشرق الأوسط، آراء حول الخليج، العدد 85، في تشرين الأول/ اكتوبر سنة 2011، تاريخ دخول الرابط: 29 تشرين الأول / نوفمبر 2024، على الرابط:

www.araa.sa /index.php?option=com_content@view=article@id

فكر ▶

آنذاك حليفاً للولايات المتحدة. وكذلك توجه الاهتمام الإيراني نحو غرب آسيا في الخليج جنوباً والبلدان العربية غرباً. وكذلك وضعت نصب عينها سيطرتها على أفغانستان وباكستان والمحيط الهندي في الشرق والجنوب الشرقي.

وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979، تبدلت سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران واعتبرتها عدواً بعد أن كانت حليفة لها. وعلى الرغم من اختلاف الحكم والمبادئ التي قامت عليها الثورة عن حكم الشاه، إلا أن طموحات الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأهدافها السياسية بقيت ثابتة ولم تتغير رغم الحصار الأمريكي، والعزلة العربية الإسلامية، إلا أن استراتيجية إيران في تحقيق سياستها الخارجية هي التي اختلفت.⁽¹⁾

فإيران لم تحف يوماً سعيها للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط لتصبح القوة الإقليمية العظمى، إلا أن هذا الطموح يصطدم بالعديد من العوائق نذكر منها:

1. افتقار إيران للقوة العسكرية الضرورية للعب هذا الدور.
 2. وجود قوى إقليمية أخرى في منطقة الشرق الأوسط الذي يمنعها من تنفيذ مخططاتها كالوجود التركي والإسرائيلي والسعودي.
 3. وجود قوى عظمى تلعب دوراً هاماً في المنطقة كالدور الروسي والأميركي والصيني والأوروبي (ألمانيا - فرنسا).⁽²⁾
- سوف نقسم هذا المبحث الى مطلبين:

المطلب الأول سوف نتناول فيه السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط وأهدافها.

(1) سمية الحسيني، طبيعة الدور الإيراني في الشرق الأوسط، آراء حول الخليج، العدد 85، في تشرين الأول/ أكتوبر 2011 على الرابط: www.araa.sa/index.php?option=com_wntent@view=article@id

(2) إيران في الشرق الأوسط بناء جسور أو توسيع نفوذ، في 22 نيسان / أبريل 2024، تاريخ دخول الرابط: www.mecouncil.orglar/?post_type=events-list@p=470994

أما المطلب الثاني فسوف نتكلم عن استراتيجية إيران في الشرق الأوسط في ضوء المتغيرات الداخلية.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الإيرانية وأهدافها في الشرق الأوسط

مثلث الثورة الإيرانية أول ثورة إسلامية ناجحة في العصر الحديث، وهذا الحدث كان له الأثر البالغ على سياستها الداخلية ورؤيتها للعالم الخارجي، وتغيّر حلفاءها وأعدائها في البيئة الإقليمية والدولية.

في مرحلة ما بعد الخميني وما بعد الحرب العراقية - الإيرانية، عملت السياسة الخارجية الإيرانية على تحقيق أهدافها الاقتصادية في محاولة منها لتنمية التجارة والاستثمار الأجنبي التي تحتاجه إيران بشدة لإعادة ما دمرته الحرب.

فكان شعار الرئيس رافسنجاني الانفتاح على الخارج غاية هامة لجذب الاستثمارات الأجنبية لوقف التدهور الاقتصادي، وبعد مجيء الرئيس محمد خاتمي استمرت أهمية البعد الاقتصادي فتم التركيز على تطوير التجارة ونقل التكنولوجيا وشمل مفهوم التنمية البعدين الثقافي والسياسي.⁽¹⁾

كما نادى الرئيس خاتمي بتحقيق إصلاحات سياسية وثقافية واجتماعية واسعة في البلاد. وشهدت فترته تحولات فكرية ومراجعات أجراها اليسار الديني، وظهرت مصطلحات ومفاهيم تتعلق بحقوق الإنسان والمجتمع المدني وقبول الاختلاف، كما لعب خاتمي دوراً كبيراً في بلورة حوار الحضارات.

وكما بدأت إيران تنسج علاقات مع العديد من الدول العربية والإسلامية، ورسم حدود العلاقة مع بقية دول العالم بعيداً عن الأيديولوجيا والترجمة الحرفية لفكرة تصدير مبادئ الثورة الإسلامية.

(1) السياسة الخارجية الإيرانية، في 3/10/2004، تاريخ دخول الرابط 30/11/2024، على الرابط: www.aljazeera.net/2004/10/03

فكر

وبعد مجيء الرئيس روحاني استطاع استقطاب التيارات الإسلامية لتحديث الرؤى الدينية السائدة في إيران وتطوير الممارسات السياسية وتعزيز الحريات العامة، وتعزيز مكانة المرأة، وتقليص نفوذ رجال الدين، والانفتاح على الخارج، وإيجاد علاقات مبنية على حسن الجوار مع المحيط الإقليمي العربي والإسلامي وكذلك التفاهم مع الدول الغربية، وفي 14 تموز/ يوليو 2015 أبرم الرئيس روحاني والدول الست الكبرى (روسيا، الصين، بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة وألمانيا) اتفاقاً بشأن برنامج طهران النووي الذي أنهى أعواماً من التوتر والمفاوضات وفتح المجال أمام العلاقات الديبلوماسية الحسنة مع الغرب. وبموجب الاتفاق، رفعت العديد من العقوبات على طهران مقابل تقييد أنشطتها النووية وضمها سلمية برنامجها.⁽¹⁾

لكن مفاعيل الاتفاق لم يدم طويلاً حيث قام الرئيس ترامب سنة 2018 بالانسحاب منه بشكل أحادي الجانب وإعادة فرض عقوبات قاسية على الجمهورية الإسلامية. هذه العقوبات تسببت بأضرار كبيرة في الاقتصاد الوطني الإيراني. لم يسلم الرئيس روحاني آنذاك من الانتقادات الإصلاحيين الذين تحالفوا معه في الحكومة، واعتبروا أنه خلف بالعديد من وعوده الانتخابية.⁽²⁾

وبعد مجيء الرئيس ابراهيم رئيبي الى سدة الحكم وضع سياستي «الحوار» و«التوجه شرقاً» في علاقاته الخارجية. وأصبحت هاتين الاستراتيجيتين أكثر ترابطاً بعد حرب روسيا ضد أوكرانيا وانخراط الصين سياسياً في منطقة الخليج، وهجوم حماس على إسرائيل في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 وكل ذلك قد أثر بشكل ملحوظ على إيران نفسها وسياستها الخارجية. ركزت حكومة رئيبي الى حد كبير بوقف التصعيد مع الدول الخليجية، وتكثف

(1) ماذا تعرف عن التيار الإصلاحي «بإيران»؟ في 24 / 4 / 2017 على الرابط:

Aljazeera.net /ency clopedia /2017 /4 /24

(2) إيران: ما هي حصيلة الرئيس الإصلاحي حسن روحاني الذي حكم البلاد ثماني سنوات، في 16 / 6 / 2021 تاريخ دخول الرابط 22 كانون الأول / ديسمبر 2024، على الرابط: /www.France24.comlar

ذلك باتفاق التطبيع مع المملكة العربية السعودية في آذار/ مارس 2023، وهدفت السياسة الإيرانية الى تحويل تركيزها الكامل نحو التكامل الاقتصادي وتخفيف المخاوف الأمنية بشأن التطبيع السعودي - الإسرائيلي، ذلك أن إسرائيل لم تعد تشكل حالياً خطراً مباشراً على إيران منذ أن نفذت حماس هجوماً أكبر ضد إسرائيل في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، ما أدى الى توقف فرص التطبيع بين الرياض وتل أبيب في الوقت الحالي.

قام الرئيس السابق ابراهيم رئيسي بتوسيع نطاق سياسة « التوجه شرقاً»، حيث قرر تسليم طائرات قتالية واستطلاعية مسيرة الى روسيا في العام 2022. أرادت إيران من خلال ذلك إعادة موقعها السياسي على الساحة الدولية بعد سلسلة من النكسات والإخفاقات، خاصة بعد اغتيال الجنرال قاسم سليماني وتخريب مواقعها النووية وحصول إسرائيل على الأرشيف النووي الإيراني.⁽¹⁾

وليس هذا وحسب بل قامت إيران بتفعيل وجودها ودورها الإقليمي والدولي عبر انضمامها الى منظمة شينغهاي للتعاون في أيلول/ يوليو 2023 وتريد إيران اليوم عالماً متعدد الأقطاب، وليس عالماً أحادياً تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية، وتأمل بظهور نظام ما بعد الغرب تراجع فيه نسبياً مكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى. ولقد توقع خامنئي أن يقوم النظام الجديد على أربعة مؤشرات رئيسية تدل على هذا التحول:

1. تراجع النفوذ الأمريكي والأوروبي والإسرائيلي.

2. بروز قوى إقليمية وعالمية جديدة.

3. توسع جبهة المقاومة.

4. انتقال القوى السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية من الغرب الى آسيا.⁽²⁾

(1) إيران واستراتيجية « التوجه شرقاً» ما بين الاستمرارية والتغيير في عهد رئيسي في أيلول / سبتمبر 2023 على الرابط: www.mecouncil.org/ar/publication

(2) صعود إيران؟ تغير المفاهيم والطموحات العالمية في عهد رئيسي في نيسان/ ابريل 2024، تاريخ دخول الرابط

فكر

استفادت إيران كثيراً من الأوضاع التي تجري عالمياً خاصة الحرب الروسية - الأوكرانية وتداعياتها على العلاقات بين الشرق والغرب، والدعم الروسي لها خاصة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، والدور الصيني في الشرق الأوسط كجهة فاعلة سياسية بعد التوسط في إبرام اتفاق بين المملكة العربية السعودية وإيران.

ترى طهران بالفعل ملامح عالم جديد متعدد الأقطاب، خاصة بعد ظهور روسيا والصين كقوى إقليمية ودولية عظمى. يمكننا القول إن إيران تريد توسيع نفوذها والسيطرة على منطقة الشرق الأوسط، فقد قامت بإنشاء منظمات تابعة لها كحزب الله في لبنان والعراق وجماعات الحوثيين وأنصار الله في اليمن. ودعمت حماس بالسلاح والمال في إطار ما يسمى «محور المقاومة» وقامت باستعراض قوتها بأعلى مستوياتها، إلا أنها لا تزال تسير في منحدر زلق. وفي الوقت التي أملت إيران بكسب الحرب في غزة ولبنان حيث حظيت بقوة غير مسبوقة في لبنان وسوريا والعراق واليمن، إلا أنها اليوم أكثر ضعفاً من أي وقت مضى.⁽¹⁾ ونظراً إلى التحديات والعقبات التي لا تزال قائمة، يبقى صعود إيران الجيوسياسي في النظام العالمي الجديد غير مؤكد على الإطلاق.

ومن وجهة نظر إيران، وبناء على تصور لها لنفسها بامتلاك قوة غير مسبوقة، إلا أن الأحداث الأخيرة في لبنان وتدمير قوة حزب الله واغتيال أمين عامها السيد حسن نصر الله وعددًا من المسؤولين الأمنيين والعسكريين والسياسيين، وتدمير قوة حماس، وانهار نظام الحكم في سوريا الذي كان مدعوماً من إيران، فمن المرجح أن تكون إيران أكثر حزماً واعتدالاً في أجندتها الخارجية، وأقل مجازفة في ما يتعلق بمواجهة أوسع مع إسرائيل أو الولايات المتحدة. ومع مجيء الرئيس مسعود بزشكيان إلى السلطة، أكد على أهمية الحوار

24 كانون الأول/ ديسمبر 2024، على الرابط: www.mecouncil.org/ar/publication_chapters/

(1) Ali kha meneiat a joint graduation ceremony of the armed forces, October 10, 2023, <https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=540556>

الوطني والإصلاحات التدريجية من خلال الآليات القانونية والسياسية، مع التأكيد على أهمية احترام الحقوق المدنية وحقوق المرأة، وتعهّد بإصلاحات اقتصادية لتحقيق التنمية والنمو.⁽¹⁾

واليوم يواجه بزشكيان تحديات داخلية وخارجية كبيرة في ظل وجود اقتصاد مهترىء خاصة بعد دعم إيران لتنظيماتها في لبنان وسوريا والعراق واليمن مما أثقل كاهل الميزانية الإيرانية، ناهيك عن الاحتجاجات الداخلية للأوضاع المعيشية السيئة التي يعيشها الشعب الإيراني. هذا من جهة، أما من جهة أخرى فالعقوبات الأميركية والأوروبية على إيران وسقوط الأنظمة الموالية لها في الشرق الأوسط كلها أدت الى تراجع قوة ونفوذ إيران. والتحدي الأكبر الذي يواجهه الرئيس الإيراني اليوم هو تبني سياسة داخلية تهدف الى معالجة الفجوى بين الشعب والسلطة السياسية، ونسج إيران مجموعة من العلاقات الدبلوماسية الحسنة مع دول الجوار وعلى الصعيد العالمي كذلك.

المطلب الثاني: استراتيجية إيران في الشرق الأوسط في ضوء المتغيرات الداخلية.

عند الحديث عن منطقة الشرق الأوسط وأهم المتغيرات والتفاعلات الجديدة فيها يبرز الدور الإيراني الإقليمي على اعتبار أن السياسة الإيرانية تعد من أكثر سياسات الدول الفاعلة في المجال الإقليمي، وذلك ما تمتلكه من نفوذ في أربع عواصم عربية هي (سوريا، لبنان، العراق واليمن)، وبما تمتلكه من ميليشيات عسكرية موجودة على أرض الواقع في تلك الدول.

إذا أردنا رصد أهم المتغيرات المؤثرة سياسياً في الدور والحضور الإيراني الإقليمي في

(1) عادل السالمي، مسعود بزشكيان جراح القلب البراغمان، يجد نفسه معالماً لأزمات إيران المزمّنة في 27 أيلول/ سبتمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 23 كانون الأول/ ديسمبر 2024، على الرابط:

فكر ▶

الشرق الأوسط للعام 2023 - 2024، يمكننا تسليط الضوء على أحداث غزة ولبنان، اتفاق المصالحة السعودية - الإيرانية ونظام الأسد في سوريا.

بناء على ذلك يمكننا قراءة عملية طوفان الأقصى وتداعياتها على مستوى النفوذ الإيراني صعوداً أو هبوطاً. أما الحديث عن المصالحة السعودية - الإيرانية وما حققته من أهداف سياسية وأمنية واقتصادية بعد التفاهم، وما الذي استفادته إيران من المصالحة، وصولاً إلى مسارات استمرار المصالحة في ظل التطورات في المنطقة.

والنقطة الثالثة هي التدخل الإيراني في سوريا، وأبرز المتغيرات التي طرأت على التنظيمات التابعة للمشروع الإيراني في سوريا.⁽¹⁾

أولاً: عملية طوفان الأقصى وتداعياتها على مستوى النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط.

يمكننا القول إن عملية طوفان الأقصى والرد الإسرائيلي المتواصل حتى اليوم لا ينحصر تأثيره فقط في مصير قطاع غزة، وإنما يمتد تأثيره إلى عموم دول الشرق الأوسط، بل قد يكون له تأثيراً عالمياً أيضاً مع انخراط دولي غير مسبوق وتفاعلات عسكرية وسياسية واقتصادية مع الحدث.

ففي حرب غزة، لعبت إيران طرفاً أساسياً في حيثيات المعركة حيث قامت بدعم حماس مالياً ولوجيستياً، ففي المقابل لم تتأخر إسرائيل وبعض الدول الغربية في الرد على الهجمات الصادرة من تلك الميليشيات فكان قصف جوي ومدفعي إسرائيلي لنقاط عسكرية تابعة لحزب الله في الجنوب اللبناني، ومهاجمة مطارات في سوريا تستخدمها إيران، أبرزها مطار دمشق الدولي، ثم مطار حلب، حيث استهدفت إسرائيل قيادياً إيرانياً بارزاً في العاصمة السورية دمشق، كما شنت ضربات على مواقع للحوثيين في اليمن.

(1) إيران وأبرز المتغيرات الفاعلة في الشرق الأوسط للعام 2023، في 29 شباط / فبراير 2024، تاريخ دخول الرابط 25 كانون الأول / ديسمبر 2024، على الرابط: www.sydiaorue.org

إستطاعت إيران الاستفادة من حرب غزة من خلال ترسيخ صورة «الدولة المقاومة» لكل من نفوذ وهيمنة الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل، حيث ارتفعت في الأسابيع الأولى من الحرب في غزة أصوات من سكان القطاع ترحب بموقف إيران ومن الحرب ودعمها للمقاومة الفلسطينية.⁽¹⁾

كما واستفادت إيران من عملية طوفان الأقصى، حيث أوقفت مساعي التطبيع بين السعودية وإسرائيل، وهذا ما يعد مكسباً لإيران.

سعت إيران من خلال عملية طوفان الأقصى الى توجيه رسائل متعددة الى الدول العربية والغربية وذلك من خلال:

1- إن إيران الطرف الوحيد القادر على أن يحدث تأثيراً في المنطقة، وامتلاكها أدوات تستطيع أن تطبق استراتيجيتها من خلالها. وإنما لن تتخلى عن نفوذها في لبنان وسوريا والعراق واليمن، وإنما لن تقدم أي تنازلات مهمة لدول الخليج خاصة السعودية والإمارات.⁽²⁾

2- قامت إيران بتوجيه رسالة الى الشعب الإيراني الذي يواصل احتجاجاته منذ سنة 2019، مفاد الرسالة أن الوضع الاقتصادي في البلاد هو نتيجة منطقية للحرب الغربية ضد طهران وبسبب مواقفها الداعمة للمقاومة الفلسطينية.

3- إستطاعت إيران توجيه رسالة الى الجانبين الأمريكي والأوروبي، توضّح فيها أن إيران ليست بصدد تقديم أي نوع من التنازلات بشأن برنامجها النووي، أو في ما يتعلق بمناقشة نفوذها في الشرق الأوسط، بل سعت الى إظهار نفسها كلاعب

(1) ردود فعل متباينة، كيف تنظر الدول العربية والغربية للتصعيد بين إسرائيل وحماس، في 9/10/2023، تاريخ دخول الرابط 26/12/2024، على الرابط: www.france24.com

(2) عبد الناصر القادري، الموت للعمود، حزب الله الذي قصف كل جزء في مرصد الحدود مع إسرائيل، في 31/10/2023، تاريخ دخول الرابط 26/12/2024، على الرابط: www.syria.tv

رئيسي في منطقة الشرق الأوسط.

لكن يبدو أن المشهد الحالي للحرب في غزة، يعلن عن أن إيران ستواجه مزيد من العقوبات الاقتصادية من قبل الولايات المتحدة وأوروبا، ولن يعطيها الطرفان مجالاً لاستخدام الضرب في غزة ورقة ضغط فيما يخص الملف النووي.⁽¹⁾

برأي، يبدو أن سيناريو الخسارة يواجه إيران اليوم خاصة بعدما حققت إسرائيل أهدافها المعلنة في قطاع غزة عبر تفكيك حركة حماس وإنهاء قدراتها وإبعادها عن الحكم في القطاع. وبعد أن دمّرت إسرائيل في حربها على لبنان التي بدأت في تشرين الأول/أكتوبر سنة 2024 القدرات العسكرية والولوجستية لحزب الله في الجنوب والضاحية الجنوبية والبقاع وبيروت والعديد من المناطق، واستهدفت الأنفاق ومستودعات الذخائر والأسلحة، وagtالت قادة الحزب على رأسه السيد حسن نصرالله، هذا يعني تقليص أظافر إيران في المنطقة بشكل حقيقي، لا سيما في لبنان وسوريا والعراق. أما إذا أردنا تسليط الضوء على المصالحة السعودية - الإيرانية فهي تعدّ من أهم الأحداث السياسية في الشرق الأوسط التي تمت في آذار/مارس 2023، يمكن القول إن المصالحة بين البلدين، أدت الى توقف حالة الاستقطاب الإعلامي، والاتهامات المتبادلة بين الجانبين، وكذلك تراجع نمط التوتر السياسي والديبلوماسي على المستوى الخليجي.

إن الاتفاق السعودي-الإيراني لم يحقق نتائج مثمرة في سوريا ولبنان أو حتى في العراق، إذ استمرت الهيمنة الإيرانية على دول المنطقة، أما فيما يتعلق بالوضع اليمني، فإن إيران لم تقدم للسعودية إلا الهدوء النسبي من خلال التوقف الشبه التام عن شنّ الحوثيين هجمات ضد السعودية، وهذا هو أبرز ما كانت تطالب به المملكة. أما طهران فلم تحقق ما كانت تصبو إليه من الجانب الاقتصادي مع السعودية. وعلى أية حال إيران لم تكن تريد في علاقتها مع

(1) حزب إيران، تفاصيل مشروع قانون أميركي لدعم إسرائيل في حرب غزة في 14 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، تاريخ دخول الرابط 2024/12/26، على الرابط: www.ashraq.com/politics/72250/

المملكة لإتحسين الأوضاع الاقتصادية (الذي لم يتحقق منه شيء)، لأنها في الواقع هي الطرف الأقوى عسكرياً وسياسياً وأمنياً.⁽¹⁾

يمكننا القول إن الاتفاق بين الجانبين السعودي-الإيراني لم يؤد إلى تغييرات واسعة في منطقة الشرق الأوسط، بل على العكس فإن أحداث غزة أدت إلى إبطاء مسار التفاهم بين الطرفين وإعادتها إلى الوراء.

أما إذا أردنا الحديث عن التدخل الإيراني في سوريا، فطهران تعمل على ترسيخ نفوذها بإبعاها المختلفة الأيديولوجية والثقافية والاقتصادية والعسكرية. وذلك عبر تجنيد السكان، وإنشاء المربعات الأمنية والتغلغل في جيش الأسد، والتحكم بالاقتصاد وتغذية الصراعات الطائفية والمذهبية، وتغيير هوية المدن الديموغرافية، وتوسيع نفوذها الاجتماعي والسياسي، فضلاً عن تصنيع المخدرات والمتجارة بها. وكل هذا يعني أن إيران تنتهك سيادة الدول، بالرغم من الاتفاق السعودي - الإيراني فإن إستراتيجية إيران في منطقة الشرق الأوسط لم تتغير ولم تؤسس لمرحلة جديدة يقوم على احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.⁽²⁾

أرادت الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، إيجاد حلاً سريعاً للأزمة السورية، فبالرغم من زيارة الأسد مرتين للرياض، أخرهما عقب عملية طوفان الأقصى في نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2023، وتعيين الأسد سفيراً له في المملكة.⁽³⁾ ولكن في الواقع إن النفوذ الإيراني في سوريا جعل الطريق مسدوداً بين سوريا ودول الخليج، فعدم استجابة

(1) أثر المعادلة السعودية - الإيرانية على صراعات الشرق الأوسط، في 14 / 1 / 2024، تاريخ دخول الرابط 26 / 12 / 2024، على الرابط: www.crisisgroup.org/ar

(2) السعودية وإسرائيل وإيران بعد حرب غزة... سؤالان عن الردع والتطبيع في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، تاريخ دخول الرابط 28 / 12 / 2024، على الرابط: www.alhurra.com/Arabic-and-international/2023/11/22

(3) الرياض تتسلم أوراق اعتماد أيمن سوسان سفيراً لديها، في 6 كانون الأول / ديسمبر 2023، تاريخ دخول الرابط 28 / 12 / 2024، على الرابط: www.enabbaladi.net/680127/

فكر ▶

نظام الأسد لمتطلبات دول الخليج، فيما يتعلق بقضية تهريب المخدرات واللجوء والإرهاب، أدى ذلك الى حالة جمود سياسي. حافظت إيران على موقفها الرسمي الداعم للتطبيع الدول العربية لنظام الأسد، فهي ترى أن إعادة تعويم بشار الأسد يُعد إنتصاراً لمحور المقاومة، كما تدرك طهران أن التطبيع العربي لن يؤثر على نفوذها، وذلك لأنها مسيطرة على الجيش والمليشيات والأمن والنظام. وليس هذا وحسب بل أن ملف إعادة إعمار سوريا سيعود عليها بالنعف، بعض الدول الغنية التي سوف ترسل مساعدات سيعود جزء منها للشركات الإيرانية التي وقعت العديد من الاتفاقيات حول ملف إعادة الإعمار مع نظام الأسد.⁽¹⁾

كما ووضعت إيران يدها على مصفاة حمص النفطية، وأسست أول بنك لها في سوريا، وأكدت على ضرورة استكمال خط السكة الحديدية الذي يربط إيران بسوريا.

أما على الصعيد الثقافي والاجتماعي قامت إيران باستمرار عملية تجنيد الأطفال واليافعين فضلاً عن التقرب من الطبقة الفقيرة عبر تقديم منح مالية ومساعدات غذائية، وقامت بترسيخ نفوذها الثقافي، وأيضاً عبر عزمها لفتح جامعة طهران فرع لها في دمشق.⁽²⁾

إن تمتع النفوذ الإيراني بحضور قوي في جميع مفاصل الدول السورية وامتداد نفوذها نحو الداخل العراقي واللبناني، أخاف الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل وأوروبا. فلم تتوانى إسرائيل الى استهداف البنى التحتية العسكرية لإيران من مخازن وأسلحة ومصانع تسليح.⁽³⁾

(1) أحمد دورسون، إيران تسعى للاستفادة من مشاريع إعادة إعمار سوريا، في 1/9/2018، تاريخ دخول الرابط 28/12/2024، على الرابط : /ar/1244085/www.aa.com.trr

(2) إيران تغلغل بملف التعليم في سوريا، في 21 كانون الأول/ ديسمبر 2023، تاريخ دخول الرابط 28/12/2024، على الرابط : /archives/56693/www.damascusv.com

(3) ياسين جمول وآخرون، التغلغل الإيراني في سوريا... اغتيال المستقبل السوري، مركز الحوار السوري، 2023، ص 217 و222. «بتصرف».

يمكن القول إن إيران راهنت على خسارة إسرائيل في حربها ضد حماس وحزب الله، ولكن قدرات إسرائيل العسكرية والتكنولوجية فاقت كل التوقعات بالإضافة الى مساعدات الولايات المتحدة المتواصلة بالمال والسلاح. فاستطاعت إسرائيل تفكيك قدرات حماس وإنهاء حكمها للقطاع، وتوجيه ضربات قاضية لحزب الله التي أضعفت الى حد كبير من قدراته العسكرية واللوجستية إضافة الى القضاء على الكثير من قاداته.

في رأي أن إيران منذ حرب السابع من أكتوبر لعبت دوراً هاماً في مسار المعركة بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني، وكانت من أهم الممولين والداعمين لحركة حماس وحزب الله، الأمر الذي جعل مسار المعركة مؤثراً في نفوذ إيران بالمنطقة. لا سيما بعدما تمكنت إسرائيل من تحقيق هدفها المعلن بتفكيك حماس وحزب الله. وفي الوقت الراهن أعتقد أن النفوذ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط بدء بالتراجع وتأثيرها أيضاً على الفصائل الفلسطينية كذلك الأمر، لأن « نظرية وحدة الساحات » تبددت بالفعل وأثبت سلوك إيران وميليشاتها أن تلك النظرية كانت مجرد دعاية تروج لها طهران وإستغلالها للقضية الفلسطينية وتفاعلاتها.

المبحث الثاني: تأثير سقوط الأسد على الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط

يمكن القول إن سقوط نظام الأسد في سوريا، وانهايار نظام حزب البعث الذي هيمن على البلاد لأكثر من 60 عاماً يعد ضربة كبيرة وجّهت لسياسة « محور المقاومة » التي تبنتها إيران.

إن سياسة « محور المقاومة » هي استراتيجية متعددة الأوجه وضعتها الأجهزة العسكرية والاستخباراتية الإيرانية، فهي لا تشمل فقط الجانب العسكري بل تشمل مجالات واسعة مثل: الاقتصاد والدين والثقافة.

وبعد سقوط نظام بشار الأسد، تلقت إيران ضربة موجّهة في سوريا وذلك بعد استثمارها اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً ودينياً على مدى 24 عاماً. وهذا السقوط لنظام البعث لا يؤثر

فكر ▶

فقط على مستقبل إيران ونفوذها في سوريا بل يؤثر على وجودها في العراق ولبنان واليمن والبحرين.⁽¹⁾

ومن هنا سوف تتعامل إيران مع مسألتين هامتين للغاية هما ردود فعل الشعب الإيراني بعد سقوط نظام الأسد وصعود المعارضة الى السلطة، وما هو مستقبل الجماعات المسلحة التي تدعمها إيران في المنطقة.

وسوف نقسم البحث الثاني مطلين ففي المطلب الأول سوف نتناول فيه الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط وبعد سقوط الأسد. أما في المطلب الثاني فسوف نتناول مستقبل العلاقات العربية - الإيرانية في عهد بز شكيان.

المطلب الأول: الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط بعد سقوط نظام الأسد.

يمكن القول إن إيران اليوم تواجه مخاطر جدية قد يهدد مشروعه الإقليمي بسبب التحولات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط مؤخراً، بعد تفكك قوة حماس وحزب الله في غزة ولبنان وسقوط نظام الأسد. إن الأسد لم يكن بالنسبة لإيران حليف عادي، بل كان يشكل حجر الزاوية في « محور المقاومة » الذي تقوده إيران ضد القوى الغربية وإسرائيل. أرادت إيران تنفيذ مخطتها التي كانت تسعى إليه من سنوات عديدة أو ما يمكن وصفه « بالهلل الشيعي »، لذلك قامت باستثمار وجودها العسكري والسياسي في العراق واليمن وسوريا ولبنان. وإن الحرس الثوري الإيراني كان من أبرز اللاعبين الرئيسيين في تنفيذ هذه السياسة فقد ساعد في تدريب وتزويد الميليشيات الشيعية بأسلحة متطورة بالإضافة الى التمويل والمساعدة العسكرية.

وقد واجه النفوذ الإيراني تحديات كبيرة في المنطقة، بدءاً من الثورة اللبنانية سنة 2019 التي رفضت كل أشكال الهيمنة الإيرانية على الدولة ومؤسساتها، كما وطالبت بإصلاحات

(1) بورصة، تأثير سقوط الأسد على إيران ومستقبل العلاقات الإيرانية السورية في 14/12/2024، تاريخ دخول الرابط 28/12/2024، على الرابط: www.aljazeera.net/opinions/2024/12/14

جذرية في الحكومة التي يهيمن عليها حزب الله. وفي عام 2018 قامت احتجاجات جنوب العراق التي عبّرت عن رفض الوجود الإيراني حيث تعرضت القنصلية الإيرانية للحرق. يمكننا القول إن دول منطقة الشرق الأوسط ترفض هيمنة ونفوذ إيران وترفض تصاعد دورها الإقليمي والتدخل في شؤون دول المنطقة وسيادتها.

كما وأن اغتيال قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليماني في بداية عام 2020، هو علامة أخرى لرفض النفوذ الإيراني في المنطقة، مما زاد الضغوط على الإدارة الإيرانية في إدارة ميليشياتها في العراق وسوريا.⁽¹⁾

إن إيران تعيش اليوم مرحلة بغاية الصعوبة، خاصة بعد انهيار حلفائها بصورة غير مسبوقة، وبعد ما جرى من أحداث في الأونة الأخيرة في سوريا والعراق ولبنان وفلسطين. كل هذا أدى الى تهديد موقعها الإقليمي ونفوذها في المنطقة. ومن المؤكد إن إيران لم تفقد كل نفوذها، خاصة في لبنان والعراق واليمن، وإن حزب الله في لبنان والعناصر الأخرى في العراق سوف يظلون حلفاء استراتيجيين قادرين على التأثير في المشهد السياسي المحلي.

إن تراجع قوة ونفوذ طهران اليوم مؤشر هام جداً على تغير موازين القوى في المنطقة بشكل كبير، فإسرائيل والولايات المتحدة وتركيا سوف يستفدون من ضعف إيران الحالي لتعزيز واقعهم الاستراتيجي الجديد في الشرق الأوسط.

بالرغم من أن إيران قد أمضت عقوداً من الزمن لبناء شبكتها من الميليشيات للحفاظ على نفوذها، ويعود العمل على بناء هذه الشبكة منذ العام 1979 عندما اندلعت الثورة الإسلامية في إيران.

صرّحت الدكتورة سنام فاكيل، مديرة برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مركز نشاتام هاوس للأبحاث إن إيران أنفقت ما بين 30 و 50 مليار دولار في سوريا منذ عام

(1) باحث إسرائيلي: تحديات نفوذ إيران بعد سقوط الأسد في 9/12/2024، تاريخ دخول الرابط
www.aljazeera.net/news/2024/12/9 على الرابط: 28/12/2024

فكر ▶

2011. ولقد سبق لإيران أن زودت الأسد بالمقاتلين والوقود والأسلحة، حيث قتل أكثر من ألفي جندي و جنرال إيراني من أجل تنفيذ مخططها وترسيخ نفوذها في المنطقة.

واليوم بعد انهيار حلفاء طهران، فسوف تسعى الأخيرة الى إعادة تموضع نفسها، وتعزيز ما تبقى من محور المقاومة، وإعادة الاستثمار في العلاقات الإقليمية والدولية لمواجهة الضغوط التي حدثت مؤخراً في الشرق الأوسط.⁽¹⁾

تواجه الجمهورية الإسلامية اليوم مجموعة من التحديات الداخلية، في إطار استعدادها لخلافة المرشد الأعلى علي خامنئي. ولقد تعرض النظام لنكسة كبيرة بعد سلسلة من الاحتجاجات والمظاهرات التي شهدتها البلاد في عام 2022 خاصة بعد وفاة الشابة مهسا أميني، والتي اتهمت بعدم ارتداء الحجاب، ولا يزال الغضب الشعبي يتصاعد على نطاق واسع ضد النظام بسبب سوء الأحوال الاقتصادية الداخلية، فالنظام أنفق موارده على الصراعات الخارجية. بينما الإيرانيين يواجهون العديد من حالات الجوع والبطالة والفقر ويكافحون مع ارتفاع معدلات التضخم والأسعار.

وأصبح جيل الشباب في إيران اليوم غير مقتنع بالقيود الاجتماعية، ويريد الانفتاح على الخارج، فالنساء يتحدین النظام ويخاطرن بالاعتقال إذا خرجت دون تغطية شعرهن.

فالنظام الإيراني اليوم يواجه مطبات كبيرة، فعليه ترتيب البيت الداخلي، عبر سلسلة من الإصلاحات الاقتصادية والمؤسسية التي تساعد المواطن الإيراني لتخطي العقبات الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها. فالملايين من الشعب الإيراني ما زالوا يؤيدون النظام والبعض الآخر فهو ضد السلطة نهائياً. فهنا تعامل طهران مع الغضب الداخلي سيكون صعباً للغاية خاصة بعد خسارة دعائها في سوريا وبعد العديد من الضربات لنفوذها

(1) كارولين هاولي، الى أن تمضي إيران بعد انهيار محور المقاومة في 15 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 28 /12 /2024، على الرابط: www.bbc.com/Arabic/articles/clmg34k5dlo

الإقليمي، جعلت مهام حكام إيران أكثر صعوبة.⁽¹⁾

وأكد المحلل الأميركي روين رايت (robin right) أن انهيار التحالفات القوية للنظام الإيراني، جعل هذا الأخير يعيش مرحلة من التراجع والضعف في الوضع الحالي. فالهزائم الإقليمية والمشاكل الداخلية وضعت النظام الإيراني في وضعية حرجة.⁽²⁾

كما وأكد السيناتور الجمهوري الأميركي تيدكروز (tedcruise)، أن عودة ترامب الى الحكم ستمنع وصول إيران الى عائدات النفط، مما سيقوض قدراتها على دعم وكلائها مثل حماس وحزب الله، وأضاف أن النظام الإيراني أصبح ضعيفاً وخائفاً وإن التغيير قادم لا محالة.⁽³⁾

برأي إن الأنظمة الديكتاتورية والقمعية قد تنهار في بعض الأحيان بسرعة خيالية مثلما حدث في سوريا، حيث سقط النظام في غضون عشرة أيام فقط. فلهذا أعتقد أن إيران اليوم تعيش حالة ترقب وخوف من سقوط نظامها نتيجة للضغوطات الداخلية وأزماتها، فهناك خلافات داخل النظام حول كيفية التعاطي بهذا الشأن.

بالنظر الى هذه العوامل التي اجتمعت أي الداخلية والخارجية منها الهزائم الإقليمية والعزلة الدولية والمشكلات الاقتصادية الداخلية والضغوطات الشعبية المتزايدة، تشير كلها الى مستقبل غامض للنظام.

(1) كيف خسرت إيران سوريا؟، تقرير foreigna (fairs) يكشف في 24 / 12 / 2024، تاريخ دخول الرابط
www.lebanon24.com /news /world-news /1296867 على الرابط: 2024 / 12 / 28

(2) مراد ويسبي، بين أزمات داخلية وهزيمة إقليمية سقوط النظام الإيراني يلوح في الأفق في 23 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 29 / 12 / 2024، على الرابط:
www.iranintl.com /ar /202412237893

(3) مراد ويسبي، بين أزمات داخلية وهزيمة إقليمية سقوط النظام الإيراني يلوح في الأفق في 23 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 29 / 12 / 2024، على الرابط:
www.iranintl.com /ar /202412237893

فكر ▶

أما إذا أردنا التكلم عن ممتلكات إيران في سوريا، التي أنفقت كما ذكرنا سابقاً أكثر من 50 مليار دولار، تنوعت بين بيع بترول وأسلحة ومواد خام واستثمارات، وشراء عقارات وممتلكات، إضافة الى سيولة نقدية ضخمة. إن طبيعة العلاقة المستقبلية بين القيادة السورية الجديدة وإيران ستكون العامل الحاسم في تحديد مسار الديون والممتلكات، سواء عبر التفاهم والتهديئة أو المواجهة القانونية والديبلوماسية. إن السياسة الإيرانية الحالية تميل اليوم الى التفاهم والروية، وتجنب المواجهة المباشرة، وهو ما قد يتماشى مع النظام السوري الجديد نحو المصالحة والانفتاح. وإن إيران تترقب سياسات الإدارة الأميركية الجديدة بقيادة ترامب وما قد تفرضه من تغييرات في الشرق الأوسط.⁽¹⁾

أما بشأن التواجد الإيراني في سوريا فقد رأينا أنه انتهى حتى أن إيران لم يكن لديها القدرة على إجلاء حليفها بشار الأسد خارج البلاد، وأن من قام بإجلائه في النهاية هو الجانب الروسي.

وبعد تقلص النفوذ الإيراني في سوريا، قامت إسرائيل بضم الجولان بالكامل وليس جزء منه، وإن هضبة الجولان تبدأ من بحيرة طبريا وتمتد في عمق 24 كيلومتراً باتجاه الأراضي السورية. فقامت إسرائيل بتوغل بعمق 18 كيلومتراً داخل الأراضي السورية، بإجمالي مساحة 235 كيلومتراً مربعاً، أي ما يعادل ثلثي قطاع غزة، ما يعد خسارة كبيرة للسوريين.

وأكدّ الخبير العسكري والاستراتيجي العميد محمود محي الدين «إن التصريحات الإسرائيلية بشأن هذا التوغل المؤقت غير صحيحة، فخلال الأسابيع القادمة سيصبح هذا التوغل احتلالاً ثابتاً للأراضي السورية، وخلال 5 سنوات سيتحول الى احتلال دائم

(1) سارة عيسى، بعد سقوط الأسد ما مصير استثمارات إيران وممتلكاتها في سوريا؟ في 18 كانون الأول/ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 29/12/2024، على الرابط:

www.erehnews.com/news/arab-world/p2ajgyu

ونهاية للأراضي السورية.⁽¹⁾

يمكننا القول إن إيران خسرت نفوذها في سوريا والتي كانت منفذاً لها إلى البحر الأبيض المتوسط، وإن تغيير النظام في سوريا ما هو إلا قطع أذرع إيران أي نفوذها في الشرق الأوسط.⁽²⁾

أما بشأن برنامج إيران النووي، فيتهم المجتمع الدولي إيران بالسعي لامتلاك قنبلة ذرية، فالدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة تسعى بكل الوسائل لمنعها، وسيكون الحل الأفضل هو التفاوض والحوار مع إيران. وكانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية، قد أصدرت قراراً يدعو إيران إلى تعزيز التعاون مع الوكالة والتراجع عن الحظر الذي فرضته على دخول المفتشين.⁽³⁾

المطلب الثاني: مستقبل العلاقات العربية - الإيرانية في عهد بزشكيان.

شهدت العلاقات العربية - الإيرانية إنفتاحاً ملحوظاً في عهد الرئيس الراحل إبراهيم رئيسي، ومن أبرز الأحداث هي استئناف العلاقات السعودية - الإيرانية في مطلع عام 2023 بعد قطيعة دامت عدة سنوات. وقام وزير الخارجية الإيرانية الراحل حسين عبد اللهيان بالسعي الدائم نحو تحسين العلاقات العربية - الإيرانية وأبرز تلك الدول كانت مصر.

إن حكومة رئيسي استطاعت تقريب وجهات النظر، واستعادة العلاقات السياسية

(1) بعد سقوط نظام الأسد... ماذا عن الوجود الإيراني في سوريا؟ في 24 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 2024 / 12 / 29، على الرابط:

www.alarabia.net /arab-and-world /2024 /12 /09

(2) بعد سقوط الأسد، إيران تخسر حلقة رئيس في محور المقاومة في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، في 24 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 2024 / 12 / 29، على الرابط : www.aawsat.com

(3) إيران تنتقد موقف مجموعة السبع من برنامجها النووي في 16 / 6 / 2024، تاريخ دخول الرابط 2024 / 12 / 29، على الرابط : www.aljazeera.net /news /2024 /6 /16

فكر ▶

والديبلوماسية بين طهران والدول العربية على رأسها السعودية. حاولت الولايات المتحدة الأمريكية إبعاد إيران والسعودية وإيجاد الخصام بينها، وذلك عبر جعل إيران «فزاغة دول الخليج» فكانت تقبل دول الخليج على شراء بمليارات دولار أسلحة وصواريخ في حال المواجهة مع إيران. وكانت بطبيعة الحال تستفيد الشركات الأمريكية المصنعة للأسلحة من هذه الصفقات وتجنبي أرباحاً طائلة.⁽¹⁾

وصفت الباحثة الإيرانية عفيفة عابدي تحسّن العلاقات بين إيران والدول العربية، خلال فترة ولاية وزير الخارجية السابق عبداللهيان حيث ركز على سياسة حسن الجوار ودعم جهود الديبلوماسية لتحسين العلاقات مع العالم العربي. وأشارت عابدي الى مستقبل العلاقات الإيرانية - العربية سيتأثر بالتطورات الإقليمية والدولية، وثمة عوامل ينبغي أن تساعد في تعزيز العلاقات بين طهران والدول العربية هو عامل الدين المشترك والقرب الجغرافي والأمن والمصير المشترك. تشهد العلاقات الإيرانية - العربية في عهد بزشكيان توتراً ملحوظاً، بسبب توسع دائرة الصراع وتفاقم ما يعرف بـ«محور المقاومة» المرتبط بإيران.

وتذكر الباحثة في الشأن الإيراني إيمان الخضري، إن العلاقات الإيرانية مع دول الشرق المتوسط كانت علاقات مد وجزر منذ عهد الشاه محمد بهلوي وحتى بعد الثورة الإسلامية عام 1979 التي حولت نظام الحكم في إيران من النظام الملكي الى النظام الإسلامي.

وتضيف الباحثة إن العلاقات الإيرانية - العربية في فترة الشاه شهدت حدوث أزمات بين إيران مثلاً والإمارات حول الجزر الثلاث (أبو موسى، طناب الكبرى، طناب الصغرى). كما عملت إيران على توسيع نفوذها في البحرين عبر الهجرة المنتظمة للإيرانيين، مما دفع

(1) غزل أريحي، مصير العلاقات العربية الإيرانية بعد رحيل رئيسي وعبداللهيان في 24/5/2024، تاريخ دخول الرابط 30/12/2024، على الرابط: www.aljazeera.net/politics/2024/5/24

جامعة الدول العربية للتدخل والتحذير.⁽¹⁾

وكما وصّح الوزير اليمني السابق عبد الوهاب الروحاني، إن جذور العلاقات الإيرانية-العربية تمتد لما قبل الدول الصفوية، وهي علاقات تعكس أطماع إيران في التوسع على حساب الأراضي العربية. يمكن القول إن إيران سيطرت على إقليم عربستان المعروف حالياً بالأهواز-خوزستان الغني بالنفط، أرادت إيران دائماً أن تكون لنفسها قوة محورية في المنطقة، فاستغلت نشوب الثورات العربية التي أطلق عليها «الربيع العربي» لتشكيل أذرعاً عسكرية موالية لها في اليمن وسوريا. وتقوم إيران بتغذية الصراعات الطائفية والمذهبية والعرقية داخل الدول العربية، حتى تقوم بالتدخل في شؤونها الداخلية.

هذا من جهة أما من جهة أخرى، إن تدخل إيران في شؤون لبنان عبر حزب الله أدى الى انخراط لبنان في مواجهة كبيرة مع إسرائيل، خسر لبنان من جراءها الكثير. ويؤكد الخبير فادي نصار في معهد «الشرق الأوسط»، أن الحل الوحيد لخروج لبنان من أزمتته مع إسرائيل يكون بنزع سلاح حزب الله، وهذا الأمر لا يتم إلا بموجب غطاء دولي.

واعتبر الخبير الاقتصادي أحمد سالم باحكيّم، إن الهجمات التي يشنها الحوثيون المدعومون من إيران على السفن التي تمر بمضيق باب المندب والبحر الأحمر، تهدف لسيطرة إيران وتلاعبها بالاقتصاد العالمي.

وإن استهداف الحوثيين لعدد من السفن في البحر الأحمر أدى الى ارتفاع أسعار شحن حاوية 40 قدما من 4000 دولار الى أكثر من 11 ألف دولار.⁽²⁾

(1) عبد الخالق سلطان، إيران والدول العربية علاقات عنوانها «تدخل سافر» في 4 تشرين الثاني/نوفمبر، تاريخ دخول الرابط 2024/12/30، على الرابط:
www.alhurra.com/Arabic-and-international/2024/11/04/

(2) عبد الخالق سلطان، إيران والدول العربية علاقات عنوانها «تدخل سافر» في 4 تشرين الثاني/نوفمبر، تاريخ دخول الرابط 2024/12/30، على الرابط:
www.alhurra.com/Arabic-and-international/2024/11/04/

فكر

وبحسب منصة «تعقب الجرائم وغسل الأموال في اليمن» (PTOC) فإن إيران تدعم الحوثيون بالأموال والأسلحة والذخائر عن طريق مهربين في دول مطلة على البحر الأحمر مثل الصومال والسودان، ويأشرف من الحرس الثوري الإيراني، عن طريق ميناء الحديدة الواقع تحت سيطرة الحوثيين.

ويقوم الحوثيون بتجنيد الأطفال الذين لا يتجاوز أعمارهم 10 و 11 عاماً، كما قاموا بتجنيد الشباب واستغلال المهاجرين الأثيوبيين وإجبارهم على الانضمام الى القتال، والإتجار بالمخدرات.

وكشف تحليل الخبراء للبيانات الصادرة عن المنظمة البحرية الدولية والولايات المتحدة والمملكة المتحدة، عن تنفيذ ما لا يقل عن 134 هجوماً من المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون ضد السفن التجارية والسفن الحربية الأميركية والبريطانية في البحر الأحمر وخليج عدن، بين 15 تشرين الثاني/نوفمبر 2023 و31 أيلول/يوليو 2024.⁽¹⁾

يمكننا القول إن المشروع الإيراني في المنطقة يقوم على مبدأ التوسع عبر التدخل في شؤون الدول العربية وعلى حسابها أيضاً، كما حصل في اليمن والعراق وسوريا ولبنان. إن العلاقات الإيرانية في العراق، تمثلت في تمكين الميليشيات العراقية الموالية لإيران، اقتصادياً عن طريق تدشين شركات اقتصادية عراقية موازية للحشد الشعبي المدعوم إيرانياً.

ويمكن القول إن مستقبل العلاقات الإيرانية - العراقية يعتمد على القيادات العراقية ومدى تأييدها الوجود قوات التحالف في العراق أو رفضها. وهذه النقطة تحدد نوعية العلاقة التي تتبعها إيران مع العراق.⁽²⁾

(1) تقرير أممي: إيران حوّلت الحوثيين في اليمن الى قوة عسكرية فعّالة، في 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 2024/12/30، على الرابط: www.alhurra.com/yemen/2024/11/04/

(2) عبد الخالق سلطان، إيران والدول العربية... علاقات عنوانها «تدخل سافر» في 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2024، تاريخ دخول الرابط 2024/12/30، على الرابط:

www.alhurra.com/Arabic-and-international/2024/11/04/

إن الأحداث الجيوسياسية التي حصلت في منطقة الشرق الأوسط وعودة الرئيس دونالد ترامب الى سدة الرئاسة، ومحاولة إيران إحياء العلاقات الإيرانية - العربية، وهذه المحاولة بدأت في آذار/ مارس 2023 كما ذكرنا سابقاً عبر وساطة صينية أنهت قطيعة 7 سنوات وأعادت العلاقات الدبلوماسية بين طهران والرياض. وافتتح هذا الخرق مسلسلًا لافتًا من اللقاءات الإيرانية - الخليجية كان أبرزها جولة لوزير الخارجية الراحل عبد اللهيان في حزيران/ يونيو 2023 شملت قطر والكويت وعمان والإمارات. أما بعد حرب غزة فقد تم اللقاء بين الرئيس الإماراتي على هامش قمة البريكس في أكتوبر 2024، مع نظيره الإيراني مسعود بزشكيان في قازان الروسية وهو ما يعد نقطة تحول دبلوماسية لافتة في العلاقات بين البلدين.

وبدأت البحرين حواراً مع جارتها في حزيران/ يونيو 2024 بهدف استعادة العلاقات الدبلوماسية وتعزيز الانفتاح السياسي بين الدول الخليجية وإيران. كما شهد شهر تشرين الأول / أكتوبر 2024 حدثاً هاماً حيث أعلن عن مشاركة السعودية في تدريبات عسكرية مشتركة مع روسيا وإيران وعمان. وزار وفد سعودي إيران والتقى بمسؤولين عسكريين إيرانيين في مقدمهم رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية اللواء محمد باقري.⁽¹⁾

يمكن القول إن إضعاف وتفكيك قوتي حماس وحزب الله وسقوط نظام الأسد كل ذلك أدى الى إضعاف قوة إيران في منطقة، وأصبحت تركز على تعزيز علاقاتها مع الدول العربية والتأقلم مع تغيير الديناميكيات الإقليمية. أضف الى ذلك الضغوط الاقتصادية الهائلة التي تواجهها إيران نتيجة العقوبات والتحديات الداخلية جعلها تعيد حساباتها في المنطقة، وإن بروز القوى الخليجية كقوة دبلوماسية قادرة على تحقيق اختراقات متعددة، قد يجعل إيران أكثر انفتاحاً على التعاون بدلاً من المواجهة، لا سيما إن رأت طهران في الأدوات

(1) فرصة إيرانية - عربية لنظام إقليمي جديد، في 26 كانون الأول / ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط www.aawsat.com / على الرابط: 2024 / 12 / 30

فكر ▶

الديبلوماسية والاقتصادية لدول الخليج فرصة لحفظ نفوذها ومصالحها بدلاً من استخدام الميليشيات.

إن المملكة العربية السعودية ودول الخليج يقومون بإغراء إيران على الحوار، واستثمار المتغيرات الجيوسياسية القائمة لصالح تعزيز هذه الوجهة، وهذا ينطلق من الحرص العربي على تعزيز الأمن الإقليمي وخفض النزاعات والحروب في المنطقة، مما يخدم حاجة الدول العربية لبيئة مستقرة تجذب الاستثمارات وتعزز النمو الاقتصادي.

ترى إيران اليوم إن تقاربها مع دول الخليج العربي، قد يخفف عنها بعض الضغوطات والعزلة الاقتصادية والسياسية.

إن أمام إيران والمنطقة فرصة للتقارب ولتأسيس نظام إقليمي جديد أكثر استقراراً واستدامة ومرونة، وستكون فرصة تاريخية أيضاً لتعزيز الاستقرار الإقليمي ومعالجة ملفات الأمن وحل النزاعات والتعاون الاقتصادي والتنمية المشتركة.⁽¹⁾

ولكن يبقى السؤال هل لدى إيران والدول الخليجية الشجاعة والقناعة لصناعة هذا المستقبل؟

الخاتمة:

عملت إيران جاهدة طيلة السنوات الماضية من أجل بناء قوة عسكرية مهمة رغم العقوبات والصعوبات. لكن تبقى ترسانتها العسكرية تعود الى القرن الماضي، لكنها استطاعت تحديثها إنما بشكل محدود. وهي تبقى متأخرة جداً عن ترسانات القوى الغربية.

إستطاعت إيران من إشاعة «وهم القوة» عبر خطوات ذكية وفعّالة، فقد حصلت من كوريا الشمالية والصين وروسيا على تكنولوجيا الصواريخ التي تعود الى النصف الثاني من

(1) فرصة إيرانية - عربية لنظام إقليمي جديد، في 26 كانون الأول / ديسمبر 2024، تاريخ دخول الرابط www.aawsat.com / على الرابط: 2024 / 12 / 30

القرن الماضي. وقامت عبر الإعلام بتسويق قوتها وقوة محور الممانعة. وليس هذا فقط بل مدّت نفوذها عبر ميليشياتها العسكرية في العديد من الدول العربية حتى تستطيع تنفيذ مخططاتها ومطامعها في دول منطقة الشرق الأوسط.

ولكن مع سقوط نظام الأسد خسرت إيران وجودها العسكري في سوريا التي استثمرت فيه الدماء والأموال الطائلة، كما ووجهت ضربات قاسية في كيان حزب الله وتفكك قوة حماس. هذه الخسائر لها تداعيات كبيرة على النفوذ الإيراني، أو لها تراجع نفوذ وقوة إيران في منطقة الشرق الأوسط. وثانياً مصير برنامجها النووي بات محل غموض، خاصة وبعد قدوم الرئيس دونالد ترامب الذي قاد حملة الضغوط الاقتصادية القسوى على طهران، ويحمل عداءً عميقاً ورغبة في تقليص نفوذها.

كل هذا يضع إيران أمام سيناريوهات صعبة للغاية، إما أن تتجه لتغيير عقدها النووية ويختصر الوقت من أجل امتلاك القنبلة النووية بغية ترميم ميزان الردع المتضرر، وتحمل راء ذلك الكلفة الهائلة من العقوبات المتوقعة. وإما أن تتقدم طوعاً بتقليص نفوذها والتخلي عن برنامجها النووي، وربما التخلي نسبياً عما تبقى من قوى المحور، وتنكفئ على شؤونها الداخلية تفادياً لمزيد من الخسائر.

أبرز الاستنتاجات والتوصيات:

- من المؤكد أن إيران سوف تبدأ بتغيير استراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط خاصة بعد سقوط نظام بشار الأسد، وانكفاء قوة حزب الله وحماس في لبنان وغزة.
- إن الاستراتيجية الإيرانية سوف تتجه الى نسج علاقات ودية مع دول الجوار وخاصة الدول الخليجية من أجل تحسين وضعها الاقتصادي والسياسي.
- من المرجح أن تهتم الحكومة الإيرانية بإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وإقامة إصلاحات مؤسسية تنهي الفساد والظلم والعنف والإرهاب.

فكر ▶

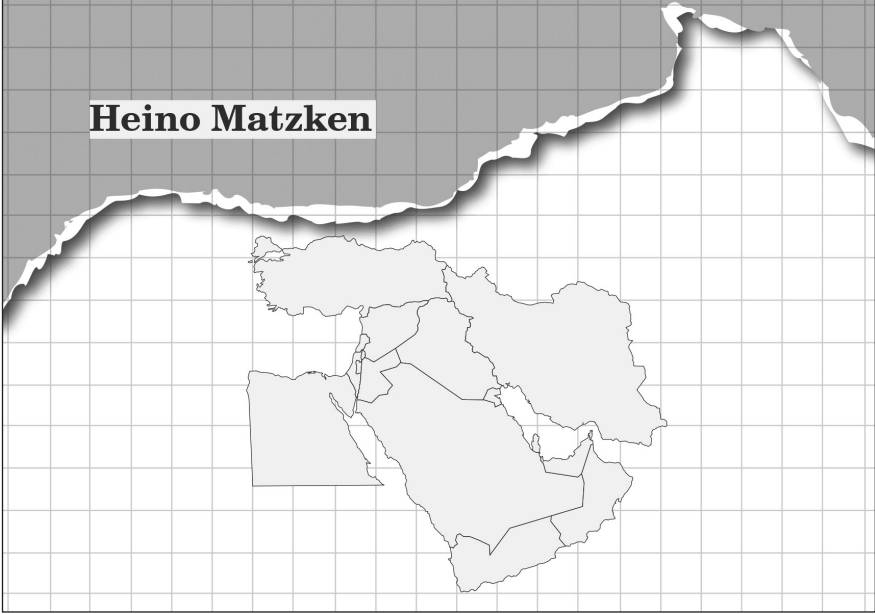
- ولأن لإيران انتماء أصيل وتاريخي للشرق الأوسط وأيضاً استحالة إنكار مصادر قوة إيران المتنوعة وفعاليتها، فينبغي على طهران البحث عن حلول توافقية وتفاوضية مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تؤدي إلى إنهاء العقوبات الاقتصادية عليها، وفتح آفاق جديدة لعلاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية أوروبا.

- إن إيران سوف تبقى إحدى القوى الإقليمية في الشرق الأوسط، ولكنها لن تكون اللاعب الوحيد والرئيسي فالدول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية وتركيا وإسرائيل سوف يعملون على كبح جماح النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط وعدم تطبيق مخططاتها العقائدية والدينية الذي يقوم على السيطرة والهيمنة على دول الشرق الأوسط بهدف تطبيق ما يسمى بالهلل الشيعي.

The “Abraham Accords”

A mean to maintain the **US hegemony**
in the **Middle East?**

Heino Matzken



دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الحمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 - 113 بيروت - لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

لكي لا يكون المشرق الضحية على مذبح عالم ما بعد الإنسانية

ريجينا صنيفر - كاتبة وعضو مؤسس للمنتدى المشرق

تعيش البشرية برمتها في حالة طوارئ شاملة يصل فيها العنف ذروته. ها هو فرانكشتين العقيدة التلمودية يقف على قدمين من التكنولوجيا الرقمية بعد أن منحه Théodore Herzl رأس عقائدي ووهب يدان طويلتان من المال والرأسمال والإعلام.

مع اكتمال صناعة هذا الكائن المتوحش تكتمل الدائرة، فيلاقي عالم ما بعد الإنسانية عالم ما قبل الإنسانية وندخل بسرعة مذهلة في زمن النهايات والإبادات الجماعية؛ فنشهد مذعورين كيف أن كبسة زر عن بعد أو إرسال معلومة قد تكفي لقتل أي معارض؛ كما نشهد مذهولين منذ الجائحة إعادة برمجة البشرية Great reset من دون رادع. ونرى مع حرب غزة كيف سقطت كل الضوابط في وجه العنف: الأخلاق، المؤسسات الأهمية والقانون الدولي.

ونشهد عاجزين توسع منظومة معولمة توتاليتارية يمسكها مستعمرون جدد ينهار فيها الإنسان عقلاً وجسداً، وتنهار المجتمعات والدول والسيادات. وندرك أكثر فأكثر أن أبعادها هي أكثر من الأبعاد الجيوسياسية والثقافية والحضارية. فبعد أن زجت الإنسانية عبر التاريخ بصراع الشمال ضد الجنوب وصراع التطور ضد التخلف والبربرية وصراع الرأس مالية ضد الاشتراكية، وصراع الديمقراطية ضد الديكتاتوريات، وصراع الحضارات مع انهيار الاتحاد السوفياتي، وصراع الغرب ضد الإرهاب في وجه العالم «المتحضر»، نشهد حالياً صراعاً من نوع جديد مع استخدام التكنولوجيا التي أضيفت لثالوث السلطة السياسية والعسكرية والصناعية في خدمة مشروع هذه المنظومة، ونكتشف تدريجياً أن

الصراع له جانب ديني أساسي أيضاً ويمس بالروح الإنسانية وبالطبيعة البشرية. إنها معركة ما بعد الإنسانية. عالم يستبدل الإنسان فيه بكائن معزز يتمتع بأكثر من السمات الجسدية أو الذكاء الإنساني أو غيرها من السمات الثقافية والسلوكية.

كيف نواجه وقد خسرنا نهائياً معركة التكنولوجيا ومعركة المال؟

منذ تجربتي مع الحرب الأهلية وأنا أتساءل عن جذور العنف.

كتبت وراقبت وقرأت الكثير وتعمقت في فهم أول عمل إجرامي في التاريخ لمقتل قايين أخيه هايبيل حسداً وعدواناً، لأنه اعتقد أنه لا يشبهه، ولأنه اعتقد أن ثمرة أرضه أثمن بعين الله من حمل أخيه راعي الغنم، ولأنه اعتقد نفسه وهو مزارع متفوقاً عليه بالمعرفة، ولأنه اعتقد أنه ابن الله المختار. فكان أول عمل إجرامي مؤسس في تاريخ الإنسانية ليجسد قايين وإلى الأبد الشر في الإنسان، وإعادة البشرية إلى عالم ما قبل الإنسانية أي إلى عالم العنف والتوحش حيث لا محبة ولا رحمة.

ما فهمته هو أن خيطاً أحمر يفسر العنف البشري على مر التاريخ وهو كامن في الشعور بالتفوق والاستعلاء والاستكبار. أي ما يترجم في عالمنا الحالي وعلى وسائل التواصل الاجتماعي بتعبير: «ما يشبهونا». كما لم يشبههم الإنسان من لون آخر أو من عرق آخر أو من دين آخر وكما لم يشبههم الفقير أو الضعيف أو المريض.

وقبل مجيء المسيح كان من لا يشبههم هو الضحية وكبش المحرقة فكان يحرق ويقتل. ولأن المسيح جاء ليقضي على حصريّة الله وليقول أن الله ليس إله قوم من دون قوم وأنه ليس ملكاً لأحد صلب، لكنه لم يكن كما أرادوه ضحية ولا كبش محرقة وظل قبره فارغاً وبقيت روحه حية، فكتب بعده التلمود على يد من يعتبرون أنفسهم أقرب إلى الله فوق البشر.

وجاء الإسلام ليكمل رسالة المسيح مع ما قيل في القرآن الكريم «لا ينال عهدي الظالمين» وأن رحمة الله تسع كل الناس من كل أمة فهو الرحمن الرحيم.

فكر

ومنذ القرن السادس عشر ولما تحولت العقيدة الدينية التلمودية إلى أيديولوجيا عنصرية تصنف البشر الى طبقات، ابتكر واستعمل أصحاب هذا الفكر أدوات مادية لسيط هيمنتهم على البشرية بشكل تدريجي ومنهجي، فكان استعمال المال والرأس مال وكانت الحروب الاستعمارية للتحكم بالجغرافيا والبيئة وبالموارد الأولية وكانت تجارة الرق وكانت البروباغندا ووسائل الإعلام للتحكم بالعقول والغرائز. عمل أصحاب هذا المشروع في الخفاء معتمدين على كلمات سر لمشروع الهيمنة:

- المال، كأداة للإمساك بالسلطة بواسطة الديون والفساد والعقوبات وبفرض العملة الواحدة.

- الموارد والاستيلاء على مصادرها بواسطة الاستعمار المباشر وغير المباشر والحروب.

- الممرات البرية والبحرية والتحكم بها.

- المقدسات وضرب الأديان والرسائل السماوية، بشكل مختلف حسب المكان والزمان.

- الممالك والدول لإخضاعها وضرب سيادتها.

- المعرفة، وحصرها مؤخراً بالآلة بفضل الذكاء الاصطناعي.

- المنظمات الدولية للتحكم بالقوانين والقرارات.

- المثلية والجنسانية وترويج لها للتحكم بالنسل.

- الإعلام لتحويل الجلاذ في هذا العالم المقلوب الى ضحية والضحية الى الجلاذ.

ولأن مشروعهم مادي لا روح فيه ضربت الأديان وترجم هذا في مشرقنا بزرع الطائفية التي ساهمت في إضعاف الرسائل السماوية، فاستخدمت مصطلحات أكثرية وأقلية ونوعية.

نحن اليوم نقف عند فجر حقبة جديدة وهي عالم ما بعد الإنسانية الذي يلاقي عالم ما قبل الإنسانية بفضل خيط العنف هذا المتواصل. عالم رقمي يريد فيه الإنسان المعزز

بالتكنولوجيا أن يكون أمامه «متضائلون» وأشخاص محرومون من الذكاء، منظمون في مجموعات غير متميزة في سجن افتراضي.

ويعتبر الناشطون عالم ما بعد الإنسانية أن الطبيعة البشرية ليست مقدسة ويذهب الـ posthumanistes الى أبعد من ذلك مع فكرة إنتاج كائنات ذكية من دون جسد ولا أحد يعرف بعد الشكل الذي ستخذه ومدى قدراتها التي ستتفوق حتماً على قدرات الإنسان.

ومع تلاقي الأساطير الدينية بالتقنيات الحديثة يصبح الإنسان المعزز تكنولوجياً خالقاً وتتضاعف قدراته وتصبح البشرية مقسمة إلى طبقات منها التي هي أقرب للحيوان.

ماذا يمكن أن يحدث للعالم حينما تقرن الأساطير القديمة بالتقنيات الحديثة ذات القدرات الإلهية، مثل الذكاء الاصطناعي؟

إذن هذا الفكر المبني على أيديولوجية دينية وعنصرية وعلى فلسفة نيوليبرالية والمرتكز على نظرة فوقية يمس بطبيعة الجنس البشري ويمهد الدرب لصراعات من نوع جديد بين هذا الكائن المتفوق الذي سيتصرف كإنسان- إله خالق لكائنات وبين الآخرين.

كل هذا، وحسب ما يقولون بالطبع، من أجل مستقبل أفضل للبشرية وباسم الحرية الفردية التحررية.

ما العمل؟ علينا أن نختار لنا وللأجيال من بعدنا في هذا المشرق: إما أن نحني رؤوسنا كالخراف لتقطع أو أن نكمل دورنا التاريخي والحضاري فنعيد بناء مجتمعنا وإنساننا، ونعيد برمجة مشرقنا بشكل منسجم مع حضارتنا مستنديين على تنوعنا الثقافي، وعلى جغرافيتنا الخصبة، وعلى تاريخنا العميق والمتجذر وعلى قوتنا الروحية.

إن نظرية المدرحية التي طرحها الفيلسوف أنطون سعادة التي دجت المادة والروح حتى لا يكون للفصل بينهما مجال، هي إطار صلب يمكننا أن نركز عليه لإعادة تصوّر وإبداع مدرحية اقتصادية ومدرحية تربوية ومدرحية بيئية، فيتناسك مجدداً الفرد بالعائلة،

► فكر

والحي بالقرية والوطن والمواطن بالدولة وبالبيئة، والدولة بالقيم والإيمان بالأخلاق، فنبني نموذجاً اجتماعياً إنسانياً نقدمه للبشرية.

لأننا في زمن المادة والرقم الذي يبعدنا عن الروح والكلمة والمعرفة، لنسعى لإعادة برمجة مشرقنا مع كلمة سرنا، ولنقول أن السر في الكلمة.

ففي البدء كانت الكلمة ثم جاء الحرف والكتابة لخدمة الكلمة وربط أوصال الإنسانية ونشر المعرفة، ثم جاء الرقم فكان بشكل رئيسي لخدمة السلطة والمال. كل المعارك الاستعمارية والاستعبادية والرأسمالية خيضت بالرقم والرياضيات مقنعة بكلمات باطلة وكاذبة ومخادعة.

في البدء كانت الكلمة. وهي كلمة الحق وهي روح الروح.

معركتنا ستكون أيضاً معركة الروح لأن المشرق متنوع. فهو أرض المهد والمسجد الأقصى، أرض مريم وزينب، أرض القبر الفارغ والشهداء الأحياء، أرض الحرف والمعرفة، أرض الزيتون والأرز، أرض الفرات ونهر الأردن، أرض الزعيم والسيد، أرض وقفة العز وهيئات منا الذل، أرض أطفال المشرق الملائكة. بروحهم وبحضارتنا سنتنصر.

الدكتور فيصل مصلح



السياسة في ظل الذكاء الاصطناعي

FUTURE OF POLITICS



دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الحمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 - 113 بيروت - لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

الأسطورة في الشعر العربيّ المعاصر: خليل حاوي أنموذجاً

د. دورين نصر و د. ماريّا نصر (*)

الملخص

شغلت الأسطورة العالم الغربيّ كما العربيّ منذ القدم، وشكّلت مادّة خصبة في الأدب، استطاعت أن تتخطّى القرون وتتحوّل من عنصر خياليّ يروي حكايات الآلهة والأبطال إلى عنصر رمزيّ يضيفي جماليّة وأبعاداً دلاليّة على النصوص الأدبيّة.

(1) دورين نصر: حائزة شهادة دكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها من معهد الآداب الشّرقية-جامعة القديس يوسف، بعنوان: الوطن في تحولاته عبر القصيدة مضموناً وبناء عند الشعراء الثلاثة: الشّاعر القرويّ و خليل حاوي ومحمد الماغوط. تدرّس في الجامعة اليسوعيّة، وفي جامعة البلمند. وهي عضو في تحرير المعجم التاريخيّ للّغة العربيّة في الشّارقة، ورئيسة رابطة المثقّفين العرب في لبنان، وعضو اللّجنة العلميّة للمؤتمر الدّوليّ الثامن للدراسات العلميّة. لها العديد من المؤلّفات المنشورة، منها: شربل داغر: قصيديّ، معهم، وبلساني، لبنان، العائدون للنشر، 2020، قصيدة النثر: محمد الماغوط أنموذجاً، سوريا، دار الأمل، 2022، رؤى التحوّلات: قراءة في شعريّة الوطن لدى الشّاعر القرويّ و خليل حاوي ومحمد الماغوط، لبنان، دار الجليل، 2023، وإصدارات شعريّة، وقراءات نقديّة عديدة، وأبحاث منشورة في مجلّات محكمة.

- ماريّا نصر: حائزة شهادة دكتوراه في علم الترجمة من جامعة السوربون باريس الثالثة بعنوان:
La didactique de la traduction: Étude scientométrique.

رئيسة قسم الترجمة واللغات في جامعة البلمند. لها العديد من المؤلّفات والترجمات المنشورة، منها:
La didactique de la traduction Étude scientométrique. Paris. Éditions L'Harmattan.

Cultural Anthropology between Equivalence and Translation. A case study in General and Specialist Translation/Interpretation.

La traduction du message politique dans les caricatures de Pierre Sadek in Discours Politique arabe : contraintes de traduction et de terminologie.

Constraints and Cultural Differences in the Translation of the Legal Text from English into Arabic in Language.

Culinary Translation: Cultural constraints and translation techniques

Translating/editing into arabic the following book : A Handbook for Research Administration.

Translated Poems in Room 19.

وقد اتخذت حيزًا واسعًا في الشعر العربي المعاصر، فاهتمّ بها النقاد كما الشعراء الذين انكبوا على استتلال رموز تراثية خرافية ووظفوها في قصائدهم، فجاءت الكلمة تحمل دلالات قد تكون مبطنّة لواقع ربّما يعجزون عن التصريح به.

لذلك، عمدنا في هذا البحث، متبعين المنهج الوصفي التحليلي، إلى إظهار تجليات الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، متوقّفين عند عدد من الشعراء الذين وظّفوها في شعرهم، لا سيّما خليل حاوي الذي أفاد من رمزية بعض الشخصيات الأسطورية ليعبر عن واقع ممزّق وأزمة حضارية يرفضها ويسعى إلى تحطّيتها من خلال انبعاث مُشرق وولادة جديدة؛ فإلى أيّ مدى تمكّن حاوي، من خلال توظيف الأسطورة في نصوصه الشعرية، من أن يحقق رؤاه الوطنية الشرفية المستقبلية؟

الكلمات المفاتيح

الأسطورة، الانبعاث، بعل، تمّوز، الحُصب، الرّمز، الشعر العربي المعاصر.

المقدمة

يعالج هذا البحث قضية الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، وهو موضوع تطرّق إليه عدد من الباحثين، إذ على الرغم من تقدّم العلم والتكنولوجيا وتطوّر العقل، ما زال الإنسان، حتّى اللحظة، غير قادر على إشباع نهمه إلى المعرفة، إذ لم يتواز كشف مجاهيل الطبيعة والكون مع تطوّر مماثل، على صعيد فهم الذات الإنسانية التي ما زالت في حنينها الأوّل البدئيّ الأسطوريّ أو الميثولوجيّ. ولذلك، كانت عودة علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والنفس إلى الأساطير والحكايات الخرافية، ملحّة، لفصّ رموزها، لعلّها تكشف عن عصاب الإنسان الأوّل، واشتياقاته العليا، وصدماته، وأسراره. فما الرّمز؟ وما هي الأسطورة؟ وما علاقتها بالشعر؟ وكيف تمّ توظيف الأسطورة في الشعر العربي المعاصر بشكل عامّ، وفي شعر خليل حاوي بشكل خاصّ؟

أولاً- تحديد المفاهيم والمصطلحات

كثيراً ما تصادفنا كلمات تحمل دلالات الإبهام ولها سيميائيتها الخاصة، كالرمز والأسطورة، غير أن كلاً منها قد تختلف عن الأخرى بمعناها وبوظيفتها في النصّ.

1 - الرّمز

الرّمز هو «الإشارة والإيحاء»⁽¹⁾، أي الإشارة إلى أمر أو شيء أو إنسان بشكل غير مباشر، إنّما باستعمال تعابير تتضمّن في دلالاتها ما يحملنا إلى ما نرمي إليه. إنّ شيء محسوس، يختاره المعبرُ ليمثّل به شيئاً آخر مجرداً، أفكرة أم صفة. وهو نظام سيميائيّ ثانٍ، يتوقّف، في مستواه الأوّل، عند الظاهر من دون الإيغال في المخبوء، ويلتقط، في الثّاني، الباطن المسكون في الرّمز. من هنا ضرورة مجاوزة الدلالة الاصطلاحية المقيّدة إلى دلالة رمزية ثانية، وهي دلالة حرّة مستجدّة، حيّة ديناميّة، متغيّرة لانهائية. وهذه الدلالات الرّمزية الثّانية لا ترتبط بمقصد الرّامز وحسب، إنّما، وبصورة أشدّ، بمهارات المتلقّي وثقافته. نضيف إلى ذلك أنّ أبعاد الرّمز ليست ذهنيّة فكريّة فقط، إنّما هي انفعاليّة عاطفيّة كذلك. وطالما اعتبرت الميتولوجيا حضناً رجباً للرّموز.

2 - الأسطورة

في الواقع، تشكّل الأسطورة «جزءاً لا يتجزأ من ثقافة المجتمع في زمن معيّن»⁽²⁾. والعلاقة بينها وبين الإنسان قديمة وعميقة، منذ أن بدأ بالبحث عن الروابط التي تصله بالكون. وهي تعبّر عن مغامرات الإنسان «لارتياذ مجاهيل الغوامض الكونية، واكتشاف أسرارها بعد تفكيك بنياتها وقراءة مفرداتها وتحليل أنساقها»⁽³⁾. وقد أصبحت معتقداً دينياً ومنهجاً للتّفكير، من خلالها يجلّون مشكلة الموت بوجود بعث الحياة.

(1) لويس معلوف، المنجد: الأعلام، «رمز».

(2) حيدر حاج اسماعيل، النظرة إلى الحياة في الأسطورة والدين والعلم والفلسفة، ص 9.

(3) فراس السّوّاح، مغامرة العقل الأولى، ص 18.

والأسطورة لغة من الفعل سطر، والسّطر هو الخطّ والكتابة، والأساطير هي الأباطيل والأحاديث المنمّقة التي لا نظام لها ومفردها أسطار وأسطارة وأسطورة⁽¹⁾.

أمّا في اليونانية، فقد اشتقت الأسطورة من لفظ ميثوس (Mythos)، وفي الفرنسية ميث (Mythe)، وهي تعني بذلك حكاية تقليديّة عن الآلهة والأبطال؛ لذلك وجد مصطلح ميثولوجي (Mythologie) في الفرنسية بمعنى علم دراسة الأساطير⁽²⁾.

واصطلاحاً: في اعتقاد جيرالد لارسون (Gerald LARSON) أنّها حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الرّوايات المنسوخة عن الآلهة أو القوى الغيبيّة والمتداولة بين النّاس في العشيرة أو القبيلة، تعرض تجاربها وعالمها فردياً أو جماعياً، كما أنّها تفسّر خلق الكون والإنسان ونشأة الموت وأعمال الأبطال⁽³⁾.

والباحث الفرنسي ميرسيا إلياده (Mercea ELIADE) يعتبر أنّ الأسطورة تروي تاريخاً مقدّساً وتحكي كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، سواء أكانت هذه الحقيقة مطلقة أم كونيّة، لكنّها تبقى دائماً قصّة متعلّقة بعملية الخلق. تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء وكيف بدأ وجوده⁽⁴⁾.

ويقول كلود ليفي سترافوس (Claude Lévi STRAUSS) في مؤلّفه «الأسطورة والمعنى»، إنّ جوهر الأسطورة لا يكمن في أسلوبها أو موسيقاها أو بنيتها، ولكن في القصّة التي تحكيها، فالأسطورة لغة يتمّ تنشيطها عند مستوى مرتفع بشكل خاصّ، وتتابع فيه المعاني بشكل يجعل الخلفيّة اللغويّة لها في حالة حركة دائمة⁽⁵⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، «سطر».

(2) جيّور عبد التّور، معجم عبد التّور المفضّل فرنسيّ عربيّ، ص 700.

(3) قيس الثّوريّ، الأساطير وعلم الأجناس، ص 10.

(4) ميرسيا إلياده، مظاهر الأسطورة، ص 15.

(5) كلود ليفي سترافوس، الأسطورة والمعنى، ص 6.

ومهما يكن من أمر، فقد اختلف المفكّرون والباحثون في الوصول إلى تحديد مفهوم ثابت للأسطورة، ولكن بشكل عامّ فهي «قصة متداولة أو خرافية، تتعلّق بكائن خارق أو حادثة غير عادية... وتقدّم تفسيرًا للظاهرة الدنيّة أو فوق الطّبيعة، كالألهة والأبطال»⁽¹⁾. وقد استعان كثير من الأدباء بالأسطورة في إبداعاتهم، حيث عمدوا إلى توظيف رؤاهم الفكرية الإبداعية ملبسين التراث ثوبًا جديدًا وملترمين في الوقت عينه بأصالة الأسطورة وعراقتها.

ثانيًا- تجليات الأسطورة في الشعر العربيّ المعاصر

عرف الشعراء أهميّة الأسطورة في شعرنا المعاصر، وسبقهم شعراء أمثال: عبّاس محمود العقّاد وأحمد زكي أبو شادي وصلاح لبكي والياس أبو شبكة وحبیب ثابت وشفیق المعلوف وسعيد عقل. ولكنّ استخدامهم لها لم يكن على قدر كبير من الأهميّة من النّاحية الفنيّة، لأنّهم اقتصروا على ما يشبه نقل الأسطورة في الغالب على الرّغم من وجود بعض الاستثناءات. لكنّ الوعي الفنيّ عند أولئك الشعراء في غالبيّتهم على مستوى من النّضج يمكنهم من توظيف الأسطورة، إذ لا يكفي أن يحمّلها الشّاعر رؤيا معاصرة فحسب، بل من الصّورويّ أن تدخل عضوياً في نسيج القصيدة، ولا تبقى مجرد عنصر خارجيّ مصطنع ومفروض عليها⁽²⁾.

ظهرت معالم هذا الاتجاه في الشّعر في الفترة الزّمنيّة الواقعة بعد عام 1950. ومن الشعراء الذين اهتمّوا بهذا الاتجاه يوسف الخال، وأدونيس، وخلييل حاوي، وبدر شاكر السّياب، وعبد الوهّاب البيّاتي، وجبرا ابراهيم جبرا، وصلاح عبد الصّبور. ولكنّ البحوث التي تناولت الأسطورة في الشّعر العربيّ المعاصر قليلة، منها بحث لأسعد رزوق بعنوان: «الأسطورة في الشّعر المعاصر - الشعراء التّموزيون»، وآخر كتبه ريتا عوض بعنوان: «أسطورة الموت والانبعث في الشّعر العربيّ الحديث». كما أنّ هناك دراسة ظهرت في

(1) خلدون الشّمعة، «مدخل إلى مصطلح الأسطورة»، ص7.

(2) عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشّعر العربيّ المعاصر، ص232.

العراق بعنوان: «الأسطورة في شعر السيّاب»، وقد وضعها عبد الرضا عليّ. كما أنّ عزّ الدّين إسماعيل قد خصّص فصلاً بعنوان: «المنهج الأسطوريّ في الشّعْر المعاصر» في كتابه: «الشّعْر العربيّ المعاصر: قضاياها وظواهره الفنّية». وقد أصبح هذا الاتّجاه ظاهرًا في شعرنا العربيّ المعاصر، متجليًا في رموزه القديمة، واستطاع الشعراء أن يفيدوا من الأساطير القديمة للشّعوب التي سكنت الشرق. وهذه الأساطير الشّرقية أتت شعراءنا عن طريق شعراء الغرب، وبخاصّة من قصيدة «الأرض الخراب» (The Waste Land) لإليوت (ELIOT). وقد يصعب علينا ترتيب الشعراء الذين نزعوا إلى هذا الاتّجاه لأنّ «مجلّة شعر» قد جمعهم في وقت واحد على صفحاتها، كما أنّ صاحبها يوسف الخال يدّعي أنّ قصيدته «البئر المهجورة» هي أوّل قصيدة تناولت هذا الاتّجاه (والقصيدة تحمل اسم الديوان أيضًا). ويرى أسعد رزوق أنّ يوسف الخال يتلقّف حوله، فيجد أنّ المفازة قد حلّت في كلّ شيء، وأنّ البوار مسح تربة الحياة ونضارة الوجوه، فانتشر القحط والجفاف والعقم، فيرفع صوته معلنًا:

«وجوهنا مفازة

مشّت عليها قدّم البوار».

ويرى أسعد رزوق أيضًا أنّ الشّاعر في كلّ ديوانه «البئر المهجورة» يتساءل لماذا انتشر الجذب واختفت الواحة الظّليلة، ونضب الماء الجاري، وشحّ العطاء، وبارت المواسم الكبار، ويرى أنّ الشّاعر ضائع في مفازة الحياة الحاضرة، يبحث عن نفسه ومجمّعه وإلهه⁽¹⁾. ويرى جبرا ابراهيم جبرا أنّ تساؤل الشّاعر عن الجذب، ومفازة الوجوه، ومفازة المدن، ومفازة الزّمن، ما هو إلّا البحث عن ميلاد جديد، عن بعث في الوجوه والمدن والزّمن⁽²⁾. كذلك أبحر أدونيس في عالم الأسطورة، وقدم لنا قصيدة «الفراغ» التي يشبّها أسعد

(1) أسعد رزوق، «الأسطورة في الشّعْر المعاصر - الشعراء التّموزيون».

(2) جبرا ابراهيم جبرا، النار والجوهر، ص 38.

رزّوق⁽¹⁾، في إطار الشّعر العربيّ المعاصر، بقصيدة «الأرض الخراب»، إذ يقول:

«وحطام الفراغ على جبهتي، يمدّ المدى ويهيل التّرابا

... هنا، عبر دربي، يموت ربيع، ويصْفُر ريف،

هنا، في عروقي، صدى للجفاف، ودمدمة وصريف

هنا، في دمي، يولد الخريف

وفي حاضري يتمرأى

وتبعد عني، تبعد شمس المصير، وتناي⁽²⁾.

إنّ أدونيس في هذه القصيدة الطويلة يصوّر حطام الإنسان في حضارة القرن العشرين. ثمّ يفتش، شأنه شأن أيّ شاعر عظيم، في أرجاء ذاته وتراث أمته وحضارة إنسانيّته، عن رؤى جديدة تخفّف عن النّاس آلامهم، لأنّ أدونيس يعتبر الشّعر محاولة لبناء العالم الجديد، لذلك من الصّورويّ أن يستند إلى ما هو مقيم في صلب التّراث من حكايات شعبيّة وأساطير ليحوّلها إلى رمز يجسّد تجربة الشّاعر الخاصّة والعامة.

ولم يكن الشّاعر خليل حاوي إلّا من الرّواد الذين غامروا في هذا الاتجاه الجديد في الشّعر العربيّ المعاصر. وقد التزم بقضايا الحضارة العربيّة وعاش مأساة الإنسان العربيّ. ومن خلال ديوانه «نهر الرّماد» (1957) و«بيادر الجوع» (1965) تتضح لنا رموز الموت والاضمحلال، بينما يرمز عنوان «النّاي والرّيح» إلى الانتفاضة والبعث. ويفيد حاوي من أسطورة تمّوز وما ترمز إليه من غلبة الحياة والخصب على الموت والجفاف، ويفيد من أسطورة العنقاء التي تموت ثمّ يلتهب رمادها «فتحيا ثانية»⁽³⁾. فكيف وظّف الأسطورة في

(1) أسعد رزّوق، «الأسطورة في الشّعر المعاصر - الشّعراء التّموزيون»، ص 69.

(2) أدونيس، الأعمال الكاملة، مج 1، ص 263.

(3) من مقدّمة قصيدة «بعد الجليد»، ص 85 من ديوان خليل حاوي.

نصوصه الشعريّة؟ وما الدلالات التي حملتها؟

ثالثاً- الأسطورة عند خليل حاوي

وظّف حاوي الأساطير في عديد من نصوصه الشعريّة واتّخذها سبيلاً للتعبير عن أزمة حضاريّة تنبض في أعماقها شهوة الحياة. يقول في قصيدة «عودة إلى سدوم» [تفجيلة الرّمْل]:

«عُدت في عينيّ طوفان من البرق

ومن رعد الجبال الشاهق،

عُدت بالنار التي من أجلها

عرّضتْ صدري عاريّاً للصّاعقة»⁽¹⁾.

في هذه القصيدة تتكامل دلالة رمز النار. فالنار التي بدأت بالإبادة في قصيدة «سدوم»، فكأنّها تطهّر الأرض، وتعيد الحياة إليها بعد المعاناة. ما جعلها تؤدّي وظيفتين: وظيفة مُحْيية ووظيفة مميّتة. وتبدأ العودة في هذا النصّ بالفعل «عُدت»، وعلى هذه العودة تُبنى القصيدة كلّها. فكأنّ الشاعر يعود، بعد أن تمّ إحراق سدوم لبيعها من موتها وقد تهيّأت للحياة. كما تحمل هذه النار صورة ملكارت⁽²⁾، الإله الذي يحترق بها ليعث من جديد. ويبدو هنا كأنّ الشاعر عانى محنة سدوم من أجل أن يعود بهذه النار المحرقة ويفتدي الناس بها.

فهو يريد أن يزيل شوائب الماضي، إذ يقول:

«وليمتْ من ماتَ بالنارِ

حملتُ النارَ للفينيق، للبيتِ المخربِّ

(1) خليل حاوي، الديوان، ص 149.

(2) يرتبط الإله ملكارت بالنار التي كان يموت ويُبعث فيها في الاحتفالات الرّمزيّة. وكان له عيد سنويّ يُصنع فيه له تمثال يحرقونه بالنار. وكان الأقدمون يحسبون أنّ النار تطهّرهم من رجس الفساد والانحلال، تغرسل الغاني من الخالد في تكوينهم، وتضفي عليهم شسباباً أزليّاً (أنظر: جيمس فريزر، أدونيس أو تموز، ص 102).

فيه أطهارُ أبي، عَكَازُهُ
ويضيءُ البيتَ خفَّاشٌ مُدَهَّبٌ
دُونَهُ يَخْشَعُ أهلي، إخوتي...
نَسْلُ السَّبَايَا»⁽¹⁾.

فالنَّارُ هنا آكلة، تذهب بكلِّ رديءٍ موروث، ولكنها، في موضعٍ آخر، تردُّ الرَّمَادَ حياةً، إذ إنَّ «النَّارَ هي الطَّاقة التي تخلق الأشكالَ والصُّورَ وتمدِّها بالاستمرار»⁽²⁾. فالخفَّاشُ من الطَّيُورِ اللَّيْلِيَّةِ، ولا قيمة لها أصلاً، وإذ «وظَّفتها الشَّاعرُ فقد حمَّلَ هذا الموروث ما ليس فيه. إنَّه رمزٌ لما يخضع له الشَّرْقُ من عاداتٍ باليةٍ مهترئةٍ تؤمن بالخرافات وتستسلم للزَّهد. والشَّرْقِيُّ هو بذلك «تجسيدٌ للتَّبعيةِ واللافعلِ أمام التَّحدِّي الحضاريِّ»⁽³⁾. إنَّه نسلُ السَّبَايَا الذي ترسَّخَ عبرَ الزَّمنِ.

إزاء هذا الواقعِ المأسويِّ في الشَّرْقِ ينتفضُ الشَّاعرُ قائلاً:

«فَلَيْمَتْ من مات بالنَّارِ

وبالطَّوفانِ... لن أبكيك يا نسلَ سدومٍ

لن تموتَ الأرضُ إن مُتُّم.

لها بعلٌ إلهيٌّ قديمٌ»⁽⁴⁾.

الشَّاعرُ لن يبكي النَّسلَ القديمَ لأنَّه يطمح في وجود نسلٍ فاعلٍ. وها هو الإلهُ بعلٌ⁽⁵⁾

(1) خليل حاوي، الدِّيوان، ص 150.

(2) Carl G. JUNG, Métamorphoses de l'âme et ses symboles, p. 166.

(3) يوسف حلاوي، الأسطورة في الشعر العربيِّ المعاصر، ص 153.

(4) خليل حاوي، م. س.، ص 152، 153.

(5) بعل من الأساطير الكنعانية ابن إيل الذي يُدعى أيضًا «إيليان» إله الخضرة وإله الحياة في مطلع الرِّبيع.

يفضّ رحم الأرض حتّى الارتواء، فُتبدع نسلًا متفوقًا يرتفع إلى مصاف الآلهة.

وعليه، فالعودة إلى سدوم هي عودة إلى زمن البعل حيث العالم «يموت في ذاته ليولد من ذاته، إنّه الإنسان الذي يموت في الإنسان ليولد فيه الإنسان الخالق والعاطي الذي يصمد للقدر ونكبات الوجود والزّمن»⁽¹⁾. إنّه زمن البعل الخصب حيث كانت الأرض على بدائها وفطرتها.

والعودة إلى سدوم استدعت تحطّي معاناة الدّات مع الموت والجفاف والخراب، فلن يستمرّ الصّقيع الذي أفضى الجماعة والحضارة. ستكون الغلبة للحياة، فيستهلّ الشّاعر خليل حاوي قصيدة «بعد الجليد»، بإشارة يؤكّد فيها إفادته من «أسطورة تمّوز»⁽²⁾ وما ترمز إليه من غلبة الخصب على الموت والجفاف، ويفيد من أسطورة العنقاء التي تموت ثمّ يلتهب رمادها فتحيا ثانية»⁽³⁾. وقد جاء في مطلعها، [تفعيلة الرّمل]:

«كيف ظلّت شهوة الأرض

تدويّ تحت أطباق الجليد

شهوةً للشمس، للغيث المغنيّ

للبدار الحبيّ، للغلّة في قبو ودنّ

كما أنّه ابن إيل الذي يساوي والده في جوهره وديمومته وخلوده وهو قوّة البنايين (بولس طوق، النّار والنّور في الفكر العالميّ، ص 66-68). وهو مثل تمّوز يموت ويحيى، ويمثّل الصّراع مع العُقم من أجل الإخصاب (John GRAY, Near Eastern Mythology, p. 72). وصراعات بعل متعدّدة في الأسطورة، ولكنّ أبرزها صراعه مع الإله موت. وفي الواقع، إنّ بعلًا بقبوله الموت، يساوي نفسه بالبشر وباقي المخلوقات، أمّا قيامته فهي وعد باستمراريّة الحياة على الرّغم من عارض الموت. بالتّالي، فإنّ بعلًا يموت وينزل إلى مملكة الموت ثمّ يعود إلى الحياة مجدّدًا كتّموز (فراس السّوّاح، مغامرة العقل الأولى، ص 346).

(1) إيليا الحاوي، خليل حاوي في سطور من سيرته وشعره، ص 115، 116.

(2) تمّوز: عند مختلف الشعوب القديمة التي استقرّت ما بين النّهرين (دجلة والفرات)، انتشرت عبادته بادئ الأمر بين السّومريّين، ومن ثمّ بين الآشوريّين والبابليّين (منير البعلبكيّ، معجم أعلام المورد، ص 143).

(3) خليل حاوي، الدّيان، ص 124.

للإله البعل، تموز الحصيد،

شهوة خضراء تأبى أن تبيد⁽¹⁾

في هذا العصر - عصر غلبة الحياة - حصل التحوّل الإيجابي، إذ يحاول الشاعر أن يتجدّد مع الطبيعة، أو أن يحسّ هذا التجدد كلّما عاد الربيع إليها، وهو أمر «يرتبط في جوهره بالانبعاث والرغبة في العودة مع كلّ دورة في الزمان»⁽²⁾. بالتالي مع ذوبان الجليد تنهض الذات وتتوق لاستقبال الحياة، إذ إنّ شهوة الأرض للاتحاد بالشمس كانت أقوى من طبقات الجليد. هكذا تظهر صورة البعث التي توحى بالنشوة والحيوية والانطلاق، مجسّدة في رموز مستمدّة من أساطير الخصب، وهي أساطير البعل وتموز. فالأرض امرأة تحنّ إلى الاتحاد بالذكر، وتموز هو البذرة الحية والغلال والخمر، وهو الإله بعل. وما رغبة الأنثى بالذكر سوى رمز استمرارية الحياة، «والشاعر هنا هو نبيّ الانبعاث الحضاريّ، يطأ الموت توقفاً إلى القيامة ومعانقة الحياة»⁽³⁾. ويضيف حاوي قائلاً:

«لا يجبي عروق الميتينا

غير نارٍ تلد العنقاء، نارٌ

تتغذى من رماد الموت فينا،

في القراز،

فلنعان من جحيم النار

ما يمنحنا البعث اليقينا»⁽⁴⁾.

(1) الموضع نفسه.

(2) جورج سعاده، الموضوعات الأساسية في شعر الرابطة القلمية، ص 197.

(3) ريتا عوض، ديوان خليل حاوي (المقدمة)، ص 14.

(4) خليل حاوي، الديوان، ص 125، 126.

ما يستوقفنا في هذا المقطع تكرار لفظة «النَّار» ثلاث مرَّات، وقد اكتسب هذا الرَّمز عدَّة دلالات: «هي عذاب الجحيم وسبيل الإطاحة برموز التَّخلف لإرساء بنيان جديد، وهي في الوقت نفسه شرارة تذيب الجليد المتراكم، وتلهب الرَّماد البارد وتَهَب دَفء الحياة»⁽¹⁾. فهذه النَّار تحيي عروق المَيِّتين، إذ تقول بفعل البعث والحياة كما وأُتْمَا تلد العنقاء⁽²⁾، فتكتسب بذلك بعدًا أسطوريًّا وظَّفه حاوي ليؤكِّد فكرة النَّقاوة. فهو يريد تحويل نار الجحيم المحرقة إلى نار مُحيية تبعث الحياة من قلب الرَّماد. من هنا تتكامل مصطلحات الرَّماد والبعث؛ فالرَّماد لم يعد يحمل معنى العدم لأنَّ منه ينبعث الأوَّل، ومن ذرَّاته تتولَّد حياة جديدة. ولكن من هو هذا النِّسل الذي تحدَّث عنه حاوي؟ أهو الجيل الجديد من الرِّجال الذين سيخلقون المستقبل الواعد، وبينون الحضارة/ الثقافة العربيَّة الجديدة؟

لقد سعى إلى أن ينهض بالواقع من جليديته، وأن يتخلَّص من الأزمة الحضاريَّة. أمَّا صور كلِّ من بعل وتمَّوز فتلاحق وتتداخل في إله واحد يربط بينهما: إله الغلَّة والحصاد، إله المطر والغيث، إله الشَّهوة والإخصاب، إله البذار. ولكن هل حينئذٍ الشَّاعر إلى زمن الحصاد هو حينئذٍ إلى الشَّبَاب الدَّائم؟ أيُمثِّل حينئذٍ إلى تمَّوز والبعل رغبةً في استعادة زمن انقضى وبات بعيد المنال؟ وهل لجوء الشَّاعر إلى الأساطير هو تعبير عن صموده في مواجهة دوامة التَّغيير؟

بعد معاناة قاسية، حلَّت على الشَّاعر «السَّنْدباد» النِّعمة، إذ يطلُّ على داره الجديدة التي شكَّلت محورًا رئيسيًّا ثانيًّا في قصيدة «السَّنْدباد في رحلته الثامنة» قائلاً:

«تحتلَّ عينيَّ مروجٌ، مُدخَناتٌ

وإلهُ بعضُهُ بعلٌ خصيبٌ

(1) ريتا عوض، الموضع نفسه.

(2) العنقاء: «وهو طائر عملاق يحترق حتَّى يصير رمادًا، ثمَّ ينبعث من رماد ويطير» (انظر: محمَّد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهليَّة ودلالاتها، ص 19).

بعضه جبارٌ فحمٍ وناز،
مليونٌ دارٍ مثلُ داري ودار،
تزهو بأطفالٍ غصونِ الكرمِ
والزيتون، جمر الربيعِ
غَبَّ ليالي الصقيعِ»⁽¹⁾.

لقد أصبحت داره الآن تموج بالخصب، والربيع ينتشر في أرجائها، أما الإله فيرمز إلى «الحضارة الجديدة»⁽²⁾ حيث يصبح الإنسان فاعلاً في الحياة. والسندباد بات يجد حوله مليون دار ودار مليئة بالإنتاج الوفير، وتزهو بالأطفال الذين يفتتحون كالبراعم. بالتالي يتضافر الحقل المعجمي الذي يرمز إلى الحياة (غصون الكرم، الزيتون، جمر الربيع) لمواجهة الصقيع وتحويله إلى دفاء. والواقع أن هذه الرغبة في استعادة الحياة هي من أجل إبداع نهضة عربية جديدة تستدعي «قتل الذات القديمة المتحجرة وخلق إنسان جديد بيدع حضارة الانبعاث»⁽³⁾. لذلك نجده يحسّ بالقيامة، ويعود من رحلته الثامنة شاعراً حاملاً بشارة البعث قائلاً:

«يقول ما يقولُ
بفطرة تحسُّ ما في رَحِمِ الفُضْلِ
تراهُ قبل أن يولَدَ في الفُصُولِ»⁽⁴⁾

هكذا يعود السندباد من رحلته شاعراً يبشّر بانبعاث حتميٍّ أحسّه بفطرته قبل أن يولد،

(1) خليل حاوي، الديوان، ص 290، 291.

(2) يوسف حلاوي، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، ص 169.

(3) ريتا عوض، ديوان خليل حاوي (المقدمة)، ص 28.

(4) خليل حاوي، م. س.، ص 299.

لأنَّ الشَّعر «نبوّة العصر الحديث، نبوّة تاريخيّة متجدّرة في أرض الواقع لا هائمة في عالم الغيب»⁽¹⁾.

وعليه، تبدو الرّحلة السّندباديّة، عند الشّاعر، في بنيتها العميقة «انتقالاً من حالة الانحطاط الأخلاقيّ والاجتماعيّ والفكريّ إلى حالة الانبعاث الحضاريّ الشّامل»⁽²⁾.

ولعلّ شهوة الانبعاث لا تستكين، إذ يقول حاوي في قصيدة «حبّ وجلجلة»:

«آه. ربّي! صوتهم يصرخ في قبري:

تعال!!

[...]

ردّني، ربّي، إلى أرضي

أعدني للحياة

أنتم أنتم يا نسل إليه.

دمه يُنبِت نيسان التّلال

أنتم أنتم في عمري

مصايح، مروج، وكفاه

وأنا في حبكم، في حبكنّ

وفدى الزّنبق في تلك الجباه

أتحدى محنة الصّلب،

(1) ريتا عوض، خليل حاوي، ص 58.

(2) م. ن.، ص 59.

أعاني الموتَ في حبِّ الحياة»⁽¹⁾.

هذا الاستهلال يمثّل شهوة الحياة التي تعتمل في وجدانه، وشهوة الانبعاث التي تتأجج في داخله والتمثّلة في العودة إلى الأرض. وهذا ما يوافق ما ذهب إليه جيلبير دوران (Gilbert DURAND)، في هذا المجال، بأنّ «الحياة ليست سوى انفصال عن أحشاء الأرض»⁽²⁾. والدّم الذي ينبت الأرض اخضرارًا يشير إلى أسطورة تمّوز، إذ ورد في جزء منها أنّ دم تمّوز، بعد أن قتله الخنزير، قد نبت شقائق نعمان في الربيع.

وقد ربط حاوي النسل بتمّوز، ما يعني أنّه ربطه بالخصب والانبعاث؛ فهو نسل يرفض الموت، تمامًا كتتمّوز، لذلك فإنّ ما يتحدّر منه يختلف عن النسل القديم. وإنّ استخدام الشاعر للفظ «النسل» لا الأولاد أو الأبناء، في مختلف نصوصه الشعريّة، إنّما يعود إلى ما تتضمنه هذه اللفظة من دلالة على الخصب والتناسل. فهذا النسل الجديد هو الذي سيمثّل صورة الوطن في استمراريّة تجددّها، وهو الذي سيضحي الشاعر من أجله. وعليه، فإنّ الوطنيّة التي بنى عليها حاوي تمجيد الأرض نابعة من التصاقه بجذورها، ببذورها التي ستخصب وتنتج نسلاً جديدًا يتحدّى التخلّف والجهل. لذلك نجده قد اهتدى في قصيدة «الجسر» إلى المعادلة الآتية [تفعيلة الرّمل]:

«وكفاني أنّ لي أطفالاً أترابي

ولي في حبّهم خمر وزاد

من حصاد الحقل عندي ما كفاني

وكفاني أنّ لي عيدَ الحصاد،

أنّ لي عيدًا وعيدٌ

(1) خليل حاوي، الدّيون، ص 132.

(2) Gilbert DURAND, Les structures anthropologiques de l'imaginaire, p. 269.

كلّما ضوّاً في القرية مصباح جديد»⁽¹⁾.

لقد اهتدى حاوي إلى معادلة تكتفي بذاتها من ذاتها. إنّها هي الكلّ وهي قادرة أن تحتضن نفسها وأن تتكامل بها. فهذه الحياة تتجدّد بالأطفال، والحصاد يتجدّد به الرّزق حيث تتجاوب الطّبيعة مع حاجات الإنسان. والضّوء الجديد هو بشارة الأمل وهو رمز لانتصار الحياة. والشّاعر في احتفاله بالضّوء الجديد والحصاد والحصادين والأطفال، إنّها كان يتتشي بالشّهوة للحياة. الحياة التي تحتاج إلى ريح عاتية لتغيّرها وتبعث فيها اليقين. وها هو يعتصم بالريّح قائلاً في قصيدة «النّاي والريّح»:

«ريّح تهبّ كما تُشير عبارتي

[...]

للريّح جوع مبارد الفولاذِ

تمسّح ما تحجّر

من سياجات عتيقه

ويعود ما كانت عليه

التّربة السّمراء في بدء الخليقة

بكرًا أوّل مرّة تشهّي

بحضن الشّمس، ليّل الرّعد،

يوجعها وتستمري بروقة

ماذا سوى أرضٍ تعبّ

الحلم، تنبته كروماً والكروم

لها شروش السنديان،

(1) خليل حاوي، الدّيان، ص 165.

لها عروق السنديان

ورَفاه فيء البيلسان»⁽¹⁾.

يتوق الشَّاعر إلى خوض تجربة الإبداع الشعريّ، ويلجأ إلى الرِّيح ليهدم السَّيَّجات القديمة، لأنَّ الرِّيح «رمز لفعل التَّخْطِي والتَّجاوز والتَّغيير»⁽²⁾. كما يجعل للفولاذ مبارد وليس مبردًا واحدًا، ما يوحي بقوة الرِّيح وحدتها وقدرتها أن تقضي على القيود العتيقة. وقد تعاضدت لفظة «المبارد» مع «فولاذ» لتأكيد المعنى، إذ أراد الشَّاعر أن يبيِّن إنسانًا جديدًا وينبت نباتات جديدة أقوى وأعتى، فلا تبقى الكرمه واهية ومستسلمة، بل تغدو مثل السنديانة لها عروقها، قادرة أن تواجه عناصر الطَّبيعة.

والواقع أنَّ صلابه الكرمه ليست مهمَّة إلَّا بقدر ما تعبَّر عن صلابه الكائنات كلَّها، إذ كان الشَّاعر عازمًا أن يمحو مظاهر الوهن والخضوع ويعود إلى ما كانت عليه التَّربة السَّمرء في صفائها، حيث ينبع الحضارة، و«صفاء الحياة الصَّحراوية وبراءتها من حيث خرج رجال وضعوا أسس الحضارة العربيَّة العتيده ورسَّخوا بنيانها»⁽³⁾.

ويقفل حاوي المقطع الشعريّ بصورة البحر الذي لا يمكن تفريق مياهه إذ يقول: «أيصحُّ عبْر البحرِ تفسيحُ المياه»⁽⁴⁾. لقد وصل حاوي إلى ذروة التَّعبير عن إيمانه «بحتمية الوحدة العربيَّة والنَّهضة الحضاريَّة حتَّى سميَّ بشاعر الانبعاث الأوَّل»⁽⁵⁾.

الخاتمة

استنادًا إلى ما تقدَّم، نتبيَّن أنَّ توظيف حاوي للرَّموز والأساطير أتى ليكشف عن الذات

(1) م. ن.، ص 208، 209.

(2) آمال منصور، أدونيس وبنية القصيدة المعاصرة، ص 37.

(3) ريتا عوض، ديوان خليل حاوي (المقدِّمة)، ص 15.

(4) خليل حاوي، م. س.، ص 210.

(5) ريتا عوض، خليل حاوي، ص 51.

الجديدة من خلال العودة إلى الماضي كحلّ لأزمة الإنسان المعاصر، لأنّ إرادة الانبعاث الحضاريّ يجب أن تتّصف بالقدرة على ابتكار ما هو جديد، فنعود إلى ما يتّصل بالتراث العربيّ القديم، برموزه وأساطيره، بقدر ما نفصل عنه. فالشاعر يتطلّع إلى ريح عنيفة تعصف بحقبات ماضية لتعيد إلى الأرض البوار نقاوة الثلج ووعود البراعم، فيسأل متى يثور لتُخصب الأرض الموات ويولّد في الزّمن ديناميّة تُخرجه من الدوران في الفراغ، فيتحقّق التّجدّد وتزهو الحياة ويعمّ الخصب، ولكن ما الذي ستُكتب له الغلبة، الموت أو الحياة؟

وعلى ما نرى، لا يمكن التّفكير بوحدة رؤية عند حاوي، ولا بأحدية معنى. إنّها رؤيته قد تباينت وتناقضت وانشطرت انشطار ذاته. وتناقضاته تجعل أيّ بحث عن انسجام الرّؤية بحثاً وهمياً. أليست تعارضاته كلّها ملغومة؟ ألم يحوّل المعاني الأصليّة المقصودة إلى مراكمة رموز؟

أراد حاوي البطل الأسطوريّ في زمن الإنسان المأزقيّ روحانيّة الشرق في حضارة الغرب.

لائحة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر والمراجع العربية

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 / 1311)، لسان العرب، ط. 6، بيروت، دار صادر، 1997، 15 مجلداً.
- أدونيس، الأعمال الكاملة، بيروت، دار العودة، 1971، مج 1.
- اسماعيل (حيدر حاج)، النظرة إلى الحياة في الأسطورة والدين والعلم والفلسفة، لا. ط.، بيروت، دار فكر للأبحاث والنشر، 2007.
- إلياده (ميرسيا)، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة وتقديم مسعود المولى، ط. 1، بيروت، 2007.
- ... مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، إشراف جمال أبطح، ط. 1، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، 1991.
- البعلبكي (منير)، معجم أعلام المورد: موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد، إعداد رمزي البعلبكي، ط. 1، بيروت، دار العلم للملايين، 1992.
- الثوري (قيس)، الأساطير وعلم الأجناس، لا. ط.، العراق، جامع الموصل، 1981.
- جبرا (جبرا ابراهيم)، النار والجوهر، دار القدس، 1975.
- جيدة (عبد الحميد)، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ط. 1، مؤسسة نوفل، 1980.
- الحاوي (إيليا)، خليل حاوي في سطور من سيرته وشعره، ط. 1، بيروت، دار الثقافة، 1984.
- حاوي (خليل)، الديوان، لا. ط.، بيروت، دار العودة، لا. ت.
- حلاوي (يوسف)، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، ط. 1، دار الآداب، 1994.
- رزوق (أسعد)، «الأسطورة في الشعر المعاصر - الشعراء التّموزيون»، مجلة آفاق، عدد 1، سنة 2، صيف 1959.
- ستراوس (كلود ليفي)، الأسطورة والمعنى، ترجمة شاكر عبد الحميد، مراجعة عزيز حمزة، ط. 1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، 1982.
- سعاده (جورج)، الموضوعات الأساسية في شعر الرابطة القلمية، لا. ط.، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.
- السّواح (فراس)، مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة، ط. 3، دمشق، دار علاء الدين للنشر، 2007.

- الشمعة (خلدون)، «مدخل إلى مصطلح الأسطورة»، مجلة المعرفة، السنة 8، العدد 197، تموز 1978، ص 7.
- عبد النور (جبور)، معجم عبد النور مفصل عربي فرنسي، بيروت، دار العلم للملايين.
- عجينة (محمد)، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط. 1، بيروت، دار الفارابي، 1994.
- علي (عبد الرضا)، «الأسطورة في شعر السيّاب»، منشورات وزارة الثقافة، 1978.
- عوض (ريتا)، «أسطورة الموت والانبعث في الشعر العربي الحديث»، مؤسسة الدراسات العربية، 1974.
- ... خليل حاوي، ط. 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983، أعلام الشعر العربي الحديث.
- فريزر (جيمس)، أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، ط. 2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979.
- المسيري (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لا. ط.، مصر، دار الشروق، 1999، مجلدات 8.
- معلوف (لويس)، المنجد في اللغة والأدب والعلوم: الأعلام، ط. 19، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1966.
- منصور (آمال)، أدونيس وبنية القصيدة المعاصرة، ط. 1، الأردن، عالم الكتب الحديثة، 2007.

ثانياً- المراجع الأجنبية

- DURAND (Gilbert), Les structures anthropologiques de l'imaginaire, France, Bordas, 1969.
- GRAY (John), Near Eastern Mythology, London, The Hamylin Publishing, 1969.
- JUNG (Carl G), Métamorphoses de l'âme et ses symboles, Genève, 1967.

ثالثاً- المراجع الرقمية

- <https://m.marefa.org>
- <https://www.universalis.fr/auteur>

هل نحن العبيد الجدد؟

زاهر العريضي - كاتب وشاعر

تترأى لك ومضات الأمل وأنت على وشك فقدان المعنى.

يغدو لك الجرح حبل نجاة، وتخرج من بين الأوراق منهكاً بعد معارك صامتة. هنا حب يشفيك في احتواء الهشاشة. كأنك عثرت للتو على محبرة من الخيال فتتمدد وروحك مع اشتعال الومضات.

في اليوم التالي، تتعثر في كينونتك وأنت تمضي في جموحك المتوحش للتملك، يخذلك جسدك.

على تلك الأريكة تغفو بجانبك الكتب المتناثرة، تحدثك عن الألم، وكم أنت هشاً. تنقذك الهلوسة، كأنك بركة ماء. تأخذك إلى مرآتك المخفية، إلى ظلك المتخفي، إلى عالمك المجهول.

لم أكن سوى مداميك لأخطاء متكدسة، وهذا العالم فعل خطيئة. أيتها الحقيقة المتوارية في الكتب، أيتها الآلات الذكية، هل سمعت أحاديث الموتى، وأصوات الناجين، سر الأمهات، هل قالوا لك كم من نهر دماء؟ كم من درب جلجة؟ وكم من ربيع وشتاء؟ هل قالت لك الكتب كل الأشياء؟ هل باح لك الحب روعة اللقاء، أيتها الآلة الذكية، ماذا قالوا لك عن الآلهة؟ عن الأنوثة؟ عن الأساطير.. وأول الكلام وآخر الأحلام.. كيف اختصروا لك آلاف السنين بلغة واحدة؟ هل تعلمت تاريخ اليد، وتاريخ الحب؟

هل أفشت لك الأقدام أسرار الدروب؟ لن أسألك عن الأشجار، وسأترك لك البحر
وطيور النورس وموانئ الانتظار.

لا حرية مع الخوف، حين تتحول إلى نفايات بشرية، سنخرج من القمامات كفيروسات
متعطشة للعناق.

أنقذني الحب، حين اكتشفت أن العالم بحاجة إلى قبلاتنا، إلى دروب النشوة، ومقامات
المتعة، إلى طريق ضحكاتنا، إلى سنابل قمح أجسادنا، إلى دوالي النهود المكتنزات، إلى تلك
الارتعاشات والشهوات والارتجافات، إلى تلك الأنفاس.

تنفس أيها التائه في البحر الجامد، تنفس أيها الموغل في الزمن المهدور، تأمل أيها
المشاكس، هذا العالم بحاجة إلى الحلم، إلى أشياء صغيرة وأفعال بسيطة، إلى نهم الحب، إلى
صوت يكسر الرتابة، إلى الموسيقى، هل خذلتك الموسيقى أيها المتعالى؟
أنا لحن قديم، أردده قبل أن يأتي الجحيم، أغمض عينيك لترى...

أنقذتني الكتب، حين أشلتنني من وحل الهويات القاتلة، حين حررتني من أقنان
الموروثات الجامدة ومن أغلال الأفكار القاتلة.

خرجت من تلك القصص المنسية، من تلك الأساطير المدهشة، من هذه الروايات
القاسية، من كلمات المهمشين، من قهر المسحوقين.

أنقذني الشعر! من مستنقع الخيبات والهزائم، من تلك الصناديق المقفلة، كنت على
مسافة الموت... أنقذني وأخذ بيدي إلى الضفة الأخرى وتركني بين زمين.

هذا العالم بحاجة إلى انتصارات جانبية، أن نلعب مع أطفالنا بعيداً عن الشاشات، أن
نعيد أسئلتهم، ونكتشف لغتهم، وأن نبحت عن إجاباتنا معهم، أن نركل هذا العالم كما
نركل الكرة.

► أدب

كان كل ذلك على محمل الجد، تحت سطوة الجشع، كأننا مكعبات ثلج في قوالب، ونسينا
مواعيدنا مع القمر، وقهوتنا مع الشمس، وتنهداتنا مع المطر، كأننا نسينا كيف نكون بشر.
أيها الرجال الآليون.. أيتها النساء الآليات... أيها العالم... نحن العبيد الجدد.. لن
ينقذنا إلا الحب.

M i r n a M a s r y

ميرنا المصري

BUS 119

زوت أنوثتي بعده..
حضنت بعضها بعضا واستقرت في زاوية من شخصيتي
لا يصل لها ضوء ولا حياة.

قواصل
للنشر



دار ابعاد للنشر



دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الحمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 - 113 بيروت - لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

بين يسوع وفلسطين

حليم رزوق - كاتب

اسودُّ هذا الغمام
يمطر دماءً وقيح
ويمطر موتاً
شبيهاً بموت المسيح
نستعيده كل يومٍ
كما لو أنه حدث البارحة
كما لو أنه لم يتوقف أبداً
وكما لو أن درب الجلجلة
ما زال بيننا هنا

وما أزال أرى نسوةً بين الجموع
يغسلن ما تبقى
من جسد طفلٍ مسجى
كأنه جسد المصلوب
يتنقل اليوم
في أحياء غزة

وألف بيلاطس
يغسل يديه
متبرئاً من دمه
ومجهزاً على بقية
من ضمير
في عالم
يتعبد خاشعاً للإله
ويقتل بدم بارد ضحاياه

كل يوم أراه
يمشي درب جلجلته
ويرفع صليبه
يجر قدميه العاريتين بين الجموع
والوحش الخارج من سفر الجريمة
ينهش جسده بسياط حقه الملعون
ويتكرر المشهد مراتٍ مراتٍ
والمصلوب هو المصلوب
والقاتل ما زال طليقاً

بين يسوع وفلسطين
طفلاً خائف

وأُمُّ ملتاعةٌ تبكي
وأرضٌ غرقت بدماء أبنائها
وشعب

سيق إلى المجزرة
بخرافة توراثية
صادق عليها مجلس الأمن
في جلسة رسمية

وبين يسوع وفلسطين
إنزاح حجرٌ عن باب القبر
وخرج المصلوب
وكان أول من رآه المجدلية
أعتقها يسوع من خطيئتها
ألبسها ثوب الحرية
وأشركها معه في قيامة الروح
وكذا هي فلسطين ضحية الخرافة التوراتية
ترجع بنورانية
القيامة إلى الحرية

«وقع الخيار على دول ثلاث، أوكرانيا وتركيا ومصر، لتكونها تشكّل صدعًا فولاذيًا ما بين قارّات ثلاث محوريّة، آسيا وأوروبا وأفريقيا، ناهيك بأنّها تتراطب أفقيًا بعضها فوق بعض.»

The Steel Rift

from Odesa to Suez Canal

الصدع الفولاذي

من أوديسا إلى قناة السويس

ALWAN N. AMIN EDDINE

علوان نعيم أمين الدين



دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الحمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 - 113 بيروت - لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

حبييتي!!

د. إيلي جرجي الياس - كاتب وشاعر، باحث استراتيجي وأستاذ جامعي (*)

ما لي أبوحُ إلى النجومِ وأكنمُ
ما لي أخافُ على الفؤادِ صباةً
وإذا سئلتُ أضيعُ أنكرُ صبوتي
لو مرّةً حدّقتِ بي لوجدتني
عنكِ الحكايةَ أنبي بكِ مغرمُ
لا تنتهي إن أخبرتكِ الأنجمُ
وأنا ويشهدُ لي الهيامُ متيمُ
أرنبو إلى عينيكِ أو بكِ أحلمُ

كيف ابتسامتكِ الأنيقة عانقتُ
هل أكتفي أن تلمحيني فارساً؟
جوذي عليّ بجنّةٍ فأعدُّ في
عامٌ مضى والشعرُ يهجرنِي إلى
أنتِ البعثِ الوحيِ أنتِ جعلتني
فكري فاذا بي أستنيرُ وأنعمُ
يفدي حياتكِ بالوفاء لكِ يقسمُ
دنيا الهوى ملكاً يسودُ ويحكمُ
أن جاعني يوماً جمالكِ يلهمُ
في لحظةٍ أرجو أحبُّ وأنظمُ

يا زهوتي أن ألفظَ اسمكِ ذاكراً
شفتاكِ تختصرانِ رغبةً خالقِ
نهداكِ هل سكرَ القميصُ من الذرى
أحلى كلامِ قاله يوماً فمُ
بالمستحيلِ مجسّداً يتعظّمُ
كم مرادٍ أخفاهُ عنّا قمقمُ

(*) دكتور في التاريخ والديموغرافيا، ماجستير في المعلوماتية، ماجستير في الاحصاء، أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية - كلية الآداب - الفرع الثاني، وفي الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية - الفرع الثاني، وفي الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية - الفرع الرابع، وفي الجامعة اللبنانية - كلية إدارة الأعمال - الفرع الثاني، وفي جامعات خاصة، رئيس رابطة خريجي الجامعة اللبنانية - كلية العلوم - الفرع الثاني، عضو اتحاد الكتاب اللبنانيين، وعضو الرابطة الثقافية مار مارون الدورة، وجمعية تجاوز، وزميل في الجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية، باحث لبناني في العلاقات الدولية والدبلوماسية وقضايا التسلح.

عيناك أنتظرُ اعترافاً منهما
يا شعرِك المنسابَ لامسَ ريشةَ
وأشارَ قلبُك أن تصيرَ مشاعري

لغةُ القلوبِ على العيونِ تُترجمُ
الإبداعَ فاحترارَ المحالِ أيرسمُ؟
شِعراً وتلكَ إشارةٌ لا تُفهمُ

هل تشعرينَ بحيرتي الحيرى بقلبي
بيني وبينك ألفُ دربٍ ضائعٍ
إن كنتُ أمتلكُ الجواهرَ حلوتي
هاذي القصيدةُ وردةٌ أعنى بها
أزهو وأنتِ معي وأنسى هدأتي

نابضاً لكِ عاشقاً... لو أعلمُ
لو نلتقي ويضاءُ دربٌ مظلمُ
لجمعتها عقداً إليكِ أقدمُ
تصبو إليكِ مع النجومِ تتممُ
آمنتُ أنكِ للجراحِ البلسمُ

ما بحثُ بعدُ مخافةً أن تألني
الحبُّ بعدُ لنا وورغم تجاربٍ
أبدأ أحبُّك كيفَ لا وجوارحي

حبي فتتفصَّ الجراحُ وأظلمُ
نشواقه ننسى ونرجعُ نندمُ
تسعى الى عينيكِ حيثُ تُبرعمُ

كلي اشتياقٌ للهوى من يدعي
ما بال قلبي غارقٌ في نشوةٍ
تلك السعادةُ همُّه يجيها
أحببني سرّاً فلا تترددي

أن الغرام على العطاشِ محرّمُ
لا تهتدي وكأته لا يهزمُ
فلربّهما في لحظةٍ ستهدمُ
أن تعلني كتم الحقيقةِ يؤلمُ

حسناً أضناني الجوى فسرقني
ومشيت بي من خيبة الماضي إلى
ووهبتني أملاً غداً أحياله
أحزاننا تعدو تسابقُ فرحنا
أهربتُ من ذاتي إليكِ؟ فساحيني

من سكرةٍ ريباً الدموعِ تلملمُ
فجرٍ جديدٍ نورُه بي ييسمُ
وتركتني بعدَ اللقاء أستفهمُ
إن أطفأتُ ناراً فأخرى تُضرمُ
ها أنا قلبي إليكِ أسلمُ

« صندوق هويدا السري »

مسلسل يضيئ على حقبة مؤثرة من تاريخ لبنان الحديث

جمهور العالم الافتراضي على موعد قريباً مع سلسلة كرتونية مختلفة ورائدة، من بطولة «وان وومن شو»: الست هويدا..

المسلسل حمل عنوان «صندوق هويدا السري».

هويدا الذكية وخفيفة الظل، ستطلّ في سلسلة حلقات تزيد عن الـ 200 حلقة، لتُخرج من صندوق ذاكرتها السري، حكايات تبدأ من الطفولة وصولاً إلى يومنا هذا، وبين الأمس واليوم تمرّ هويدا على فترات انتقالية من حياة لبنان الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية وتأثيرات هذا وذلك على البلد وناسه وبالتأكيد على هويدا وقصصها.

«صندوق هويدا السري» جديد في فكرته ومضمونه وأسلوب إخراجه وتنفيذه الذي أداره المخرج المتميّز غارابيت تاهميجيان عبر تقنية الـ 3 دي. أنيايشن.

كتبت النص الإعلامية هلا حداد بالاشتراك مع حنان فضل الله، في تجربة فريدة، لجهة السياق القصصي المثير والغني بالأحداث التي تغطي حقبة مؤثرة من تاريخ لبنان الحديث، من ستينيات القرن الماضي الى يومنا هذا، وقد تمكّنت حداد من تكثيف أحداث كل حلقة في ما لا يزيد عن الـ 3 إلى 4 دقائق لكل حلقة، مع الأخذ بالاعتبار تشويق المتابع انتظاراً للحلقة المقبلة..

قامت بالأداء الصوتي لشخصية هويدا الصحافية حنان فضل الله.

في صندوق هويدا السري هناك «أول مرة» في كل سياقات العمل، فعلى سبيل المثال:

أول مرة تقرّ «البطلة» بسنّها الحقيقي، فهويدا ابنة الستين عاماً.

وأول مرة تحكي صراحة عن غراميات طفولتها، وفترة المراهقة.

وأول مرة يُحكى بوضوح عن «عنا» و«عندن» في إشارة الى تقسيم المناطق اللبنانية في بداية الحرب اللبنانية.

وأول مرة أيضاً يُشار الى انتقال البنت من مرحلة الطفولة الى البلوغ في إشارة الى الدورة الشهرية ومتاعبها ومخاوف الطفلة من تلك المرحلة الانتقالية، مع تعميم الأهل على التوعية حولها، إضافة إلى «أولات» كثيرة سيكتشفها المتابعون.

إذن صندوق هويدا السري، مغامرة ممتعة في سلسلة حلقات، قريباً على:

حساب تيك توك: خبريات هويدا

على يوتيوب. Plus. ومنصة Harf Arabi.

منتدى «ريشة عطر» مجلس جديد وأنشطة ثقافية متنوعة

تسلّم المجلس الجديد لمنتدى «ريشة عطر» مهامه في مركزه، وعقد جلسته الأولى برئاسة جديدة بعدما كان يشغلها الشاعر أسعد المكارى منذ التأسيس، وقد وضع المجلس خارطة طريق لنشاطاته المقبلة بعدما شرحت الرئيسة الجديدة المرثمة الشاعرة ماري الفخري تطلّعاتها المستقبلية لإدارة المنتدى.

وقد جاء المجلس على الشكل التالي :

- ماري أميل الفخري - رئيس.
- غرّه أنطوان معيط نائباً - للرئيس.
- أسعد بدوي المكارى - أمين سرّ.
- وديع سايد شاهين كرم - أمين صندوق.
- فيفيان طنّوس مراد - الشؤون الإجتماعية
- زياد بدوي المكارى - الشؤون الإعلامية.
- ريتا حميد غسطين - الشؤون القانونية.
- سمر مرسال خازن - الشؤون الثقافية.
- سيلفانا أميل نعمه - مستشار.

أهداف منتدى «ريشة عطر»:

- 1- نشر الثقافة في جميع المناطق اللبنانية.
 - 2- التواصل والتبادل مع المنتديات والجمعيات داخل وخارج لبنان.
 - 3- إقامة نشاطات ومشاريع ثقافية واجتماعية.
 - 4- الإضاءة على المواهب الجديدة وتشجيعها.
 - 5- التواصل مع المنتديات في الخارج لتعزيز الثقافة والسياحة اللبنانية من خلال إقامة نشاطات مشتركة بحيث تقام دعوات رسمية للتعرف على الحضارة اللبنانية.
 - 6- تكريم سنوي لبعض الشخصيات الفنيّة والأدبية والثقافية.
 - 7- إقامة ندوات ومحاضرات وأمسيات شعرية ونقد روائي ومعارض فنية.
- أقام المنتدى الكثير من النشاطات كالأمسيات الشعرية والفنية وتكريم شخصيات أدبية وإعلامية واجتماعية وحفلات توقيع الكتب وريسيّتال على المسرح وفي الكنائس ونشاطات اجتماعية مع مراكز المسنّين والأيتام في زغرّتا وإهدن، وشارك مع بعض المنتديات خارج زغرّتا ومنطقتها في طرابلس وجبيل والبترون وبيروت في العديد من النشاطات ومعارض الكتب.
- تميّز المنتدى بإقامة الأسبوع الثقافي السنوي في إهدن، وقد كان يتضمّن معرضاً للفن التشكيلي لنخبة من الرسّامين طيلة أسبوع كامل، ومن ضمنه كانت النشاطات وهي عرض أزياء لأرتيزانا وعرض منتوجات محلية لشموع الأمل، تبرّع بالدم بالتعاون مع الصليب الأحمر، أمسية شعرية ومحاضرة طبية، وفي آخر يوم عشاء تكريمي مع تقديم الدروع للمشاركين في الأسبوع الثقافي. شجع وأطلق العديد من المواهب الفنية والأدبية الجديدة.

References

- Merriam-Webster. "Democracy." In *Merriam-Webster.com Dictionary*. Accessed November 2, 2024. <https://www.merriam-webster.com/dictionary/democracy>.
- David Runciman, *How Democracy Ends* (New York: Basic Books, 2018).
- Martha Nussbaum, *The Monarchy of Fear* (New York: Simon & Schuster, 2019).
- Francis Fukuyama, *Identity: The Demand for Dignity and the Politics of Resentment* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2019).
- World Bank. (n.d.). *Switzerland*. The World Bank. Retrieved November 7, 2024, from <https://data.worldbank.org/country/switzerland>. 7/11/2024 at 8.41 pm
- International IDEA. (n.d.). Switzerland: Democracy tracker. International Institute for Democracy and Electoral Assistance. Retrieved November 7, 2024, from <https://www.idea.int/democracytracker/country/lebanon>
- Aristotle, *Politics*, trans. Benjamin Jowett (Oxford: Clarendon Press, 1885)
- Winston S. Churchill, "Speech in the House of Commons," November 11, 1947.
- Dr. Philos. "Democracy and Armed Conflict." *Journal of Peace Research* 2014, Vol. 51(2), p 160, from https://www.researchgate.net/publication/272928798_Democracy_and_armed_conflict.
- Le, A.N.N., Pham, H., Pham, D.T.N. *et al.* Political stability and foreign direct investment inflows in 25 Asia-Pacific countries: the moderating role of trade openness. *Humanit Soc Sci Commun* **10**, 606 (2023). <https://doi.org/10.1057/s41599-023-02075-1>
- "World Press Freedom Day 2024: Here's the Best Inspirational Quotes and Wishes." *Business Standard*, 3 May 2024, www.business-standard.com/lifestyle/world-press-freedom-day-2024-here-s-the-best-inspirational-quotes-wishes-124050300386_1.html.
- Pew Research Center. "Public Trust in Government, 1958-2024." *Pew Research Center*, 24 June 2024, www.pewresearch.org/politics/2024/06/24/public-trust-in-government-1958-2024/.
- Shengtao Zhang. "Will People's Moral Standing Change Due to Social Pressure?" *Journal of Education Humanities and Social Sciences*, March 2024, Page 552 https://www.researchgate.net/publication/380093503_Will_People's_Moral_Standing_Change_Due_to_Social_Pressure.
- UBS. "Switzerland: A Politically Stable country." www.ubs.com/global/en/wealthmanagement/topics/family-wealth/why-switzerland/politically-stable.html. Accessed 10 Nov. 2024.
- Dominique, Sogul. "Switzerland Public Sector Shows Corruption and Lobbying Vulnerability: Ranking." *Swissinfo*, 31 Jan. 2023, www.swissinfo.ch/eng/business/switzerland-public-sector-shows-corruption-and-lobbying-vulnerability-ranking/48244140.
- "Lebanon Votes in First Election Since Beirut Blast, Economic Crisis." *France 24*, 15 May 2022, www.france24.com/en/middle-east/20220515-lebanon-votes-in-first-election-since-beirut-blast-economic-crisis

As the example I mentioned in this article regarding the doctors who don't take the opinions of a non-experienced person in medical field, we conclude that not all patients need the same medication. i.e. not all nations necessary need democracy to succeed. Besides Isn't it democratic not to approve with democracy?

In summary, the advantages of democracy are multi-layered and extend far beyond the act of casting a vote. Political stability, the protection of human rights, and enhanced government accountability are vital elements that contribute to the overall health and prosperity of a civilization. As democratic systems endure to evolve and face challenges, it is imperative to identify and nurture these benefits. A strong self-governing framework not only uplifts people but also paves the way for sustainable growth, social cohesion, economic prosperity, and enduring peace.

While democracy remains a broadly supported structure of governance, its disadvantages—particularly political polarization, gridlock and inefficiency, and the rise of populism and demagoguery—pose important challenges. As civilizations grapple with these matters, it is crucial to foster environments that promote dialogue, compromise, and trust in democratic foundations. Addressing the underlying causes of polarization and finding ways to improve legislative efficiency are critical steps in ensuring that consensus can fulfill its promise of serving the public good.

Winston Churchill famously uttered his interpretations on democracy during World War II, emphasizing its flaws while concurrently defending its value. His quote encapsulates a balanced view of democracy, acknowledging its imperfections, by saying: “Many forms of government have been tried, and will be tried in this world of sin and woe. No one pretends that democracy is perfect or all-wise. It has been said that democracy is the worst form of government, except for all the others that have been tried from time to time.”⁽¹⁾

Churchill highlights that while democracy may have its inadequacies, it remains the best possibility available, reflecting a pragmatic acknowledgment of human nature and governance.

Nevertheless, we examined in this piece of work how democracy failed in a way in Lebanon and succeeded in Switzerland showing that there are more than one variable in the political game and the well-being of any nation.

Moreover, along history several civilizations showed advancement and prosperity throughout its reign although their political structure is far from democratic. Even today, for instance Kingdom of Saudi Arabia does not poses a democratic system but it showed success in its economy and social stability. Which make us conclude that some nations can succeed without democracy. Or we can also concur that maybe democracy is not a one-size-fits-all solution.

(1) Winston S. Churchill, “Speech in the House of Commons,” November 11, 1947.

Index	Lebanon	Switzerland
Population, total (2023) ⁽¹⁾	5,353,930	8,849,852
GDP per capita (current US\$) (2022) ⁽²⁾	3,823.9	99,994.9
Participation (2023) ⁽³⁾	59/173	2/173

The table shows the correlation between democratic participation and the economy discloses significant contrasts between countries with varying political structures, such as Switzerland and Lebanon.

In Switzerland, a well-established democracy with a high level of political engagement, the economy is stable and prosperous, supported by a robust sense of civic responsibility and a direct democracy model that inspires active citizen participation in decision-making processes. This structure fosters a transparent, accountable government, which in turn enhance economic stability and growth.

In contrast, Lebanon, while also a democratic republic, suffers from political instability and sectarian divisions that hamper broad-based democratic participation. These challenges contribute to economic instability, corruption, and an inefficient public sector, which weaken Lebanon’s economic performance.

The table highlights how higher democratic contribution tends to correlate with stronger economic outcomes in more stable democracies like Switzerland, while lower levels of engagement and political fragmentation in Lebanon are linked with weaker economic circumstances.

Nevertheless, in any study in the mentioned field we can never neglect other variables. Lebanon and Switzerland both have democratic regimes, but both have different variables that are essential in any study when it comes to effectiveness of democracy.

The development of democracy replicates a dynamic interplay of historical, philosophical, and social influences. Understanding its roots and numerous forms enables a deeper appreciation of democratic governance and its continuing challenges. As civilizations continue to navigate the complexities of contemporary governance, the principles of democracy remain central to fostering engaged and informed electorate.

(1) World Bank. (n.d.). Switzerland. The World Bank. Retrieved November 7, 2024.

(2) *ibid.*

(3) International IDEA. (n.d.). Switzerland: Democracy tracker. International Institute for Democracy and Electoral Assistance. Retrieved November 7, 2024.

theory, democratic processes guarantee that candidates are chosen based on merit and the will of the people. In practice, yet, those with money and power often mold the political landscape, steering elections toward candidates who will further their interests, rather than the public good. It is well known that in a country that has a bad economy will lead its people to take bribes as a survival mode, or even they call “the hunting season” and they consider themselves smart by taking money from the candidates. Lebanon is no exception, and it will result to a worsen economy.

In this site, the distinction between those who “take bribes” and those who do not becomes increasingly hard to make. Some may discard direct monetary gain but still participate in a system that rewards prefers and allegiance to corporate interests. In the end, the system rewards those who comprehend how to use money, influence, and connections to gain influence, regardless of their personal morality. In this sense, democracy as it is currently practiced often becomes a race for who can manipulate the rules most successfully, rather than a race of ideals or virtues.

Democracy, while championing the notion that every citizen should have an equal say in governance, flops to acknowledge that politics is a complex science requiring expertise, much like any other specialized field. The hypothesis that all citizens, regardless of their knowledge or background, can make well-versed decisions about the direction of a nation is fundamentally flawed.

Consider the case of a medical doctor: a doctor would never ask a amateur’s opinion on the best course of treatment for a patient, as medical knowledge and skill are crucial to making informed decisions. Likewise, governance, policy-making, and the management of a nation demand a deep understanding of political theory, economics, sociology, and history. Yet in a democracy, anyone can vote without having the obligatory expertise or even a basic understanding of these disciplines. If we accept that skilled professionals should guide their respective fields, then it stands to reason that those who mold the future of a nation should be equally knowledgeable, and voters should be more informed about the facts of the political system before casting their ballots.

A democratic system that disregards the essential for informed decision-making ultimately places the country’s forthcoming in the hands of those who may not fully grasp the consequences of their elections, much like asking a non-expert to make decisions about life-or-death medical issues.

The below table shows the coloration between democratic participation and the economy: Switzerland and Lebanon as an example.

the complex reality of human behavior and the unequal distribution of influence. In practice, the voting system treats all electorates as if they are equally informed, morally grounded, and skilled of making decisions in the best interest of society. This, however, is far from the truth. For instance, in Lebanon who watches two different channels have two different information, thus two different perspectives. For instance, who watches “MTV” will comprehend the current war between Israel and Lebanon in a way that is far different from the one who is watching “AL Manar”.

The media, particularly television, has played a pivotal role in shaping elector behavior, manipulating public opinion along sectarian lines. The media’s portrayal of political matters through the lens of sectarian struggle, often fueled by personal hatred and fear of the ‘other,’ further entrenches separations within the electorate.

Even after the 2020 Beirut port explosion, which exposed the deep dysfunctionality of Lebanon’s political system, sectarian voting patterns remained largely unchanged, with many electorates choosing candidates built on sectarian loyalty rather than a genuine commitment to reform. Not only the pattern even, turnout in the election was low, with about 32 percent of registered voters casting their ballots by 5:00 pm (1400 GMT), according to the interior ministry⁽¹⁾.

As a result, Lebanon’s democracy is not only splintered but also manipulated by a media landscape that thrives on division, leaving little room for genuine democratic progress or meaningful transformation.

Citizens differ greatly in their capacity for knowledgeable decision-making. Countless are swayed by misinformation, emotional appeal, or the superficial allure of political slogans, while others base their votes on persuasive analysis and deep understanding. The system does not differentiate between the conscientious and the ignorant, the thoughtful and the impulsive, leaving it open to manipulation by those who can effectively play on public sentiment, whether through populist rhetoric or covert manipulation of the mass media. This, in turn, results in the election of candidates who may lack integrity but know how to take advantage of the system for their benefit.

The corruption of authority: A question of who takes bribes

A key criticism of democracy is that it opens the door to corruption—particularly in terms of political donations, lobbying, and corporate influence. In

(1) “Lebanon Votes in First Election Since Beirut Blast, Economic Crisis.” France 24, 15 May 2022, www.france24.com/en/middle-east/20220515-lebanon-votes-in-first-election-since-beirut-blast-economic-crisis.

Summary of Findings		
Characteristics	Switzerland	Lebanon
Political Stability	benefits from a stable political environment	struggles with political gridlock due to sectarian divisions
Economic Development	Democratic governance in Switzerland promotes economic prosperity	political dysfunction hinders economic growth.
Social Cohesion	fosters social solidarity through inclusive democracy	faces challenges of fragmentation and distrust among communities.
Political Gridlock	faces challenges with referendums	Lebanon's confessional system often leads to deadlocks
Populism and Polarization	experience the rise of populism, though manifested differently in each context.	experience the rise of populism, though manifested differently in each context.
Corruption and Accountability	graples with maintaining accountability standards.	Corruption undermines trust in Lebanon's institutions

The comparative examination of Lebanon and Switzerland reveals significant understandings into the advantages and disadvantages of democracy. Switzerland's stable political system, characterized by high levels of civic engagement and effective governance, showcases the potential benefits of democratic practices. In contrast, Lebanon's experience emphasizes the complexities and challenges that can arise from sectarianism and political fragmentation.

Democracy, in theory, is an example of fairness and equality, a system that empowers people to shape their government and hold it accountable. Yet, as mentioned above, beneath its ideals lies a harsh reality: the very structures that indorse equality often blur the lines between virtue and corruption. One of the most significant flaws in democracy is how it conflates the good and the bad, the corrupt and the incorruptible, as well as the patriot and the self-interested, into a single, indistinguishable pool of voters and candidates. Long story short, one man one vote made everybody unequally equal.

The Illusion of Equal Representation

Democratic systems are initiated on the value of "one person, one vote." In its ideal form, each citizen, regardless of status or wealth, must have an equal say in the governance of their nation. This democratic idea, however, fails to account for

liances or pass critical legislation contributes to a sense of frustration among the voters.

In contrast, Switzerland's system of direct democracy, while usually stable, can also face encounters of gridlock during ballots. The frequent use of referendums can complicate governance, as conflicting public views may lead to conflicting policies. The challenge lies in harmonizing the will of the people with effective governance, mainly when public sentiment is sharply divided on critical matters.

In Lebanon, populist leaders habitually exploit sectarian identities to gather support, intensifying divisions. Populist rhetoric in Lebanon frequently reinforces sectarian boundaries, making it difficult to support a national dialogue. This manipulation of sectarian identities not only undermines democratic principles but also poses substantial challenges to national unity.

Switzerland has also experienced populist movements, mostly regarding immigration and European Union relations. The rise of populism can threaten the collective spirit of Swiss democracy, leading to polarization and societal tensions. The rise of right-wing populist parties in Switzerland highpoints the vulnerability of even steady democracies to divisive rhetoric and policies.

Corruption can weaken democratic governance, leading to public disillusionment. In Lebanon, unescapable corruption within the political system has eroded trust in institutions. Corruption in Lebanon is severely rooted, with political elites often prioritizing personal gain over public interest. This loss of trust complicates efforts to engage citizens in the political process and weakens the effectiveness of democratic institutions.

Switzerland, while generally perceived as having low levels of corruption, is not immune to accountability matters. Even in Switzerland, the risk of corruption exists, mainly in cases involving lobbying and political financing, raising uncertainties about transparency.

Transparency International noted that even though banks are “generally better regulated”, they prominently feature in almost every major money laundering exposé. It pointed to questionable practices at Swiss bank Credit Suisse – accused in the Suisse Secrets investigation of funneling public funds out of Venezuela and having dubious clients such as a tycoon that backed the Libya uprising in 2021⁽¹⁾.

(1) Dominique, Sogul. “Switzerland Public Sector Shows Corruption and Lobbying Vulnerability: Ranking.” *Swissinfo*, 31 Jan. 2023.

litical elite resisted reforms, leading to ongoing instability and economic decline. And unfortunately, what was so called deputies of the revolution, most of them, showed a devastating performance failure and did what they used to criticize, such as populism.

Switzerland's democratic system is regularly mentioned as a model of political stability. With a robust tradition of direct democracy, Swiss citizens participate enthusiastically in decision-making through ballots. The Swiss model of consensus-building adopts stability by inspiring cooperation among diverse political groups. This collaborative method reduces political polarization, ensuring a stable governance framework.

In contrast, Lebanon's democratic context struggles with political stability because of sectarian divisions. The confessional system, which distributes political power based on religious affiliation, often leads to gridlock and ineffective governance. The sectarian distribution of power produces a fragile political atmosphere, where compromise is often indefinable. The back-and-forth of sectarian interests repeatedly results in a failure to address pressing national issues, exacerbating instability.

Conversely, Lebanon's economic challenges are worsened by its political system. The lack of clear policy-making, influenced by sectarian benefits, hinders economic development. Lebanon's economic catastrophe is a direct consequence of political dysfunction, where short-term interests often overshadow long-term economic planning. The ongoing economic disaster, characterized by rampant inflation and unemployment, is a direct consequence of the rooted sectarian political structure that prioritizes sectarian over state interests.

Social cohesion is an additional advantage of operative democratic governance. In Switzerland, the inclusive nature of its democracy encourages social harmony. The Swiss stress on civic engagement and local governance enhances social ties, contributing to a sense of national identity.

In Lebanon, however, social cohesion is destabilized by sectarian divisions. The political system often strengthens these divisions, making it difficult to substitute a unified national identity. Sectarianism in Lebanon hampers efforts toward social cohesion, leading to division and distrust among different communities.

Although democracy can enable cooperation, it can also lead to political gridlock, particularly in fragmented political systems. Lebanon's confessional system often results in stalemates, where opposing sectarian interests hinder effective governance. The prerequisite for consensus among diverse political factions can lead to paralysis, stopping timely decision-making. The incapability to form al-

fallacy while taking critical decision regarding who will lead the nation?

This fragment explores the advantages and disadvantages of democracy through a comparative analysis of Lebanon and Switzerland. Both countries exhibit dissimilar democratic frameworks and political histories that form their governance and social outcomes. The study highlights the effectiveness of democratic practices in fostering political stability, economic growth, and social cohesion in Switzerland, contrasted with the challenges and complexities of Lebanon's democratic system, characterized by sectarian divisions and political uncertainty. By examining the implications of these differences, it aims to contribute to a profounder understanding of how democratic systems function in diverse socio-political contexts.

Switzerland's exceptional approach to democracy combines federalism, direct democracy, and a multi-party system, permitting for wide-ranging citizen participation. The Swiss model includes regular polls on a wide selection of issues, providing citizens with direct influence over national policies. this exercise not only engages the electorate but also educates them about political methods.

The efficiency of this standard is evident in Switzerland's economic resilience and social stability. The stable political environment in Switzerland enables the formulation and implementation of sound economic policies. Governments can pursue long-term economic strategies, such as promoting innovation, investing in education and research, and maintaining a favorable business environment.

Switzerland holds the top position among countries in terms of government efficiency, which is a measure of how conducive government policies are to promoting competitiveness with a score of **95.33 and Political stability index**, 2019 with the score of **9.49** considering Political direction stable=10, unstable=0⁽¹⁾.

In contrast, Lebanon's democratic framework is intensely tied with its sectarian identity. The 1989 Taif Agreement, which ended the Lebanese Civil War, established the existing political system, reinforcing sectarian quotas in government. this arrangement has perpetuated a sequence of corruption and ineffectiveness, as political leaders prioritize sectarian interests over national harmony.

The consequences of this system were starkly obvious during the 2019 protests, where citizens united against corruption and economic mismanagement, regardless of sectarian affiliation. the protests showed a shared demand for change, highlighting the potential for cross-sectarian harmony. However, the rooted po-

(1) UBS. "Switzerland: A Politically Stable country. www.ubs.com/global/en/wealthmanagement/topics/family-wealth/why-switzerland/politically-stable.html. Accessed 10 Nov. 2024.

corted by the rise of leaders who reject the very principles of liberal democracy in favor of authoritarian performs.

Moreover, demagoguery can intensify social divisions, as leaders pit groups against one another in a bid for political control. This “us versus them” approach not only deepens polarization but also threatens the social fabric of democratic societies. The rise of demagogues can lead to increased fanaticism and a decline in civic address, making it difficult to accomplish meaningful political engagement.

The Bandwagon Fallacy: An Examination of Popularity and Belief

The bandwagon fallacy, also known as the appeal to popularity, is a logical fallacy that asserts a claim is true simply because many people believe it. This fallacy can lead to significant misjudgments in both individual and societal decision-making processes. As simple as it gets, only because a belief is widespread doesn’t mean it is true or justified.

The psychological foundations of the bandwagon fallacy are rooted in social conformity and the wish for acceptance. classic experiments demonstrated that individuals habitually conform to group opinions, even when they are undoubtedly incorrect. A study showed that “approximately 80% of participants would either conform to opposing views or choose silence when presented with contrasting opinions, mainly when the majority supported those opinions”⁽¹⁾. The pressure to conform can create an atmosphere where widespread beliefs overshadow empirical evidence. This phenomenon is mainly predominant in the age of social media, where misinformation can spread rapidly, often gaining traction simply due to its popularity.

Additionally, the bandwagon effect can significantly influence public opinion and policy. Individuals are more likely to adopt a belief when they perceive others doing so, leading to a cascading effect of conformity. This is particularly evident in political contexts, where elector preferences can shift dramatically based on prevailing social trends, irrespective of the actual merits of the policies or candidates in question.

In a nutshell, the bandwagon fallacy serves as a cautionary tale about the dangers of equating popularity with facts. Understanding this fallacy is crucial for fostering critical thinking and encouraging individuals to evaluate claims based on evidence rather than social consensus. The question is: can voters realize this

(1) Shengtao Zhang. “Will People’s Moral Standing Change Due to Social Pressure?” Journal of Education Humanities and Social Sciences, March 2024, Page 552

which are vital for effective governance. This phenomenon weakens the democratic process itself, as consensus-building becomes extremely difficult.

Moreover, polarization can result in social shattering, where communities become divided along ideological lines. When individuals surround themselves with like-minded people, they become more entrenched in their opinions, leading to a brutal cycle of distrust and aggression towards opposing groups. This dynamic not only hinders democratic dialogue but also poses risks to social unity and stability.

Political polarization often leads to legislative gridlock, where important policy initiatives stall due to biased disagreements. Gridlock is particularly problematic in systems with checks and balances, as it can avoid the government from responding effectively to pressing issues. The cumulative difficulty of passing legislation in polarized environments can lead to an accumulation of critical issues that remain unaddressed.

This inefficiency can have real-world consequences, mainly in times of disasters. For instance, during the COVID-19 pandemic, prejudiced divisions hampered timely responses and resource allocation, ultimately exacerbating the public health crisis. The inability to reach bipartisan agreements on vital issues such as healthcare and climate change reflects a broader trend of dysfunction that threatens the efficiency of democratic governance.

Additionally, the presence of gridlock can foster disappointment among the voters. Citizens may perceive their representatives as unproductive or self-serving, leading to reduced trust in democratic institutions. According to Pew Research Center, “Since 2007, the shares saying they can trust the government always or most of the time have not been higher than 30%”⁽¹⁾. This loss of trust can further entrench polarization, generating a feedback loop that undermines the democratic process.

The rise of populism and demagoguery is another serious shortcoming associated with contemporary democratic systems. Populist leaders often exploit social grievances, offering themselves as champions of the “common people” against an alleged corrupt elite.

Populist rhetoric repeatedly oversimplifies complex issues, pleasing to emotions rather than reasoned debate. This can lead to the loss of democratic norms, as populist leaders may weaken institutional checks and balances in their pursuit of power. The democratic backsliding observed in various countries is often es-

(1) Pew Research Center. «Public Trust in Government, 1958-2024.» *Pew Research Center*, 24 June 2024.

rary debates, critiques have emerged that echo historical concerns while addressing contemporary challenges.

One prominent critic is British philosopher *David Runciman*. In his 2018 book, *How Democracy Ends*, Runciman argues that democracy is threatened not only by external forces but also by its internal contradictions. He states, “Democracy is a system that depends on trust, and trust is in short supply”⁽¹⁾. This skepticism towards the sustainability of democratic structures highpoints a rising anxiety about the efficiency of democracy in addressing complex global matters.

Similarly, political theorist *Martha Nussbaum* has raised concerns about the emotional and ethical dimensions of democratic engagement. In her 2019 work, *The Monarchy of Fear*, Nussbaum observes, “Democracy demands a level of emotional maturity and moral reasoning that is not always present”⁽²⁾. Her critique stresses the vulnerability of democratic systems to populism and emotional manipulation, suggesting that not all electorate is equipped to participate successfully in governance.

On a more historical note, Francis Fukuyama revisits earlier democratic criticisms in his 2019 work, *Identity: The Demand for Dignity and the Politics of Resentment*. He writes, “Democracy as we know it today is under threat from identity politics, which prioritize group identity over universal principles”⁽³⁾. Fukuyama claims that this emphasis on identity can fracture societies and destabilize democratic governance.

One of the most pressing challenges facing contemporary democracies is political polarization, which refers to the growing ideological detachment among political parties and their voters. The political gulf between the two major parties in the United States has extended dramatically over the last few decades, leading to an increasingly hostile political situation. This polarization is not merely a feature of American politics; it has been experimental internationally, with similar patterns emerging in many democracies. Nevertheless on 6/11/2024 the declaration of Trump’s successful campaign and he being the 47th president went swiftly stable dissimilar the 2020 elections.

The effects of polarization are numerous. It can lead to increased bias, where individuals prioritize party loyalty over shared social interests. the embrace of extreme partisanship has caused in a decrease in compromise and collaboration,

(1) *David Runciman, How Democracy Ends (New York: Basic Books, 2018).*

(2) *Martha Nussbaum, The Monarchy of Fear (New York: Simon & Schuster, 2019).*

(3) *Francis Fukuyama, Identity: The Demand for Dignity and the Politics of Resentment (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2019).*

offices, and human rights commissions play critical roles in addressing violations and guaranteeing accountability. Nations with democratic governance structures have better mechanisms for protecting human rights and addressing criticisms. Such mechanisms empower individuals to pursue justice and hold offenders accountable, strengthening societal norms that value human dignity.

The societal effects of protecting human rights in democracies are profound. Societies that prioritize human rights frequently practice higher levels of trust among citizens and among citizens and the state. This trust is vital for social cohesion and collective action, allowing communities to work together towards mutual goals. Furthermore, when people sense their rights are valued, they are more likely to contribute in civic activities, fostering a vibrant democratic culture.

Accountability is a critical feature of democracy, guaranteeing that government officials act in the public's best interest. Democracy safeguards that citizens have the means to hold their leaders accountable through regular, free, and just elections. These electoral mechanisms generate a direct line of accountability, compelling leaders to address the needs and worries of their voters. If they flop to do so, they risk being elected out of office.

Democracies similarly promote transparency in governance, which is vital for effective accountability. Laws related to freedom of information and open government ensure that citizens can access critical information about government actions. i.e. Transparency is the basis of accountability. In this notion, when citizens have the tools to examine government decisions, it generates a robust deterrent against corruption and mismanagement.

Furthermore, a vibrant civil society and independent media are vital components of democratic accountability. Civil society organizations frequently serve as watchdogs, advocating for policy changes and highlighting matters of concern.

Independent journalism plays a critical role in updating the public about governmental actions and exposing corruption. Walter Cronkite quoted that "Freedom of the press is not just important to democracy, it is democracy."⁽¹⁾ This struggle is made more operative through the active engagement of civil society and media.

Disadvantages of Democracy

Democracy, frequently hailed as the peak of political systems, has faced significant criticism from various scholars and thinkers. Remarkably, in contempo-

(1) «World Press Freedom Day 2024: Here's the Best Inspirational Quotes and Wishes.» *Business Standard*, 3 May 2024

and democracies tend to create environments where stability can flourish. Daron Acemoglu asserts, “A number of studies find empirical confirmation of an ‘inverted-U’ relationship between level of democracy and the probability of onset of internal armed conflict”⁽¹⁾. This reflection highlights that democratic framework, characterized by regular and peaceful transitions of power, significantly reduce the risks of violent conflict. The cause behind this stability often lies in the institutional structures that democracies establish, such as separation of powers and federalism.

Furthermore, democratic systems enhance political legitimacy through public participation. When citizens actively involve in the political process—whether it is through voting, campaigning, or public discourse—they grow a sense of ownership over their government. The diffusion of authority in a democracy generates a political environment where no single entity can govern. This diffusion tolerates diverse interests and viewpoints to be represented, reducing the potential for marginalization that can lead to instability. In contrast, authoritarian regimes frequently suppress opposition, which can result in deep-rooted bitterness and eventual upheaval.

The implications of political steadiness spread beyond governance and into economic realms. Countries that partake stable democratic governance attract foreign investments, as investors seek predictability and a low-risk environment. Numerous scholars such as: Elish, Buitrago and Barbosa Camargo, and Ciesielska-Maciagowska and Koltuniak stated that: “more excellent political stability creates a favorable climate for businesses to make foreign direct investments and foreign portfolio investments”⁽²⁾. This investment not only increases economic growth but also fosters job creation and infrastructure development, generating a virtuous cycle of stability and prosperity.

The protection of human rights is essentially woven into the fabric of democratic governance. Democracies launch comprehensive legal frameworks that enshrine individual rights and freedoms. One should be positive that democracy is only as strong as its obligation to human rights. These frameworks often embrace constitutional guarantees for freedom of speech, assembly, and religion, which are vital for a vibrant civil society.

In addition to legal protections, democracies tend to have robust establishments devoted to safeguarding human rights. Independent judiciaries, regulator

(1) Dr. Philos. «Democracy and Armed Conflict.» journal of Peace Research 2014, Vol. 51(2), p 160

(2) Le, A.N.N., Pham, H., Pham, D.T.N. *et al.* Political stability and foreign direct investment inflows in 25 Asia-Pacific countries: the moderating role of trade openness. *Humanit Soc Sci Commun* **10**, 606 (2023).

fraternity.

Shura, an Islamic principle of consultation, shares numerous key landscapes with modern democratic systems, predominantly in its emphasis on participatory decision-making, accountability, and inclusivity. Alike democracy, Shura promotes collective deliberation, where leaders pursue advice from a diverse group, ensuring decisions echo the needs of the public.

Both systems prioritize accountability, with leaders expected to answer to the people or their representatives. Additionally, Shura emphasizes inclusivity, as the consultation procedure ideally involves various societal sectors, comparable to democratic principles of representation. While Shura lacks certain features of modern democracy, such as political pluralism and electoral competition, its core values of shared decision-making and public participation align closely with democratic ideals.

Thus, Democracy is not a static or universal model but rather a dynamic and context-dependent structure that diverges significantly across nations. While the core principles of democracy—such as popular sovereignty, political participation, and accountability—are widely collective, their manifestation can vary due to historical, cultural, and institutional influences.

For instance, while liberal democracies in Western countries highlight individual rights, multi-party competition, and the rule of law, in other districts, such as in the Middle East or parts of Asia, democracy may be practiced through hybrid models that incorporate fundamentals of authoritarianism or traditional governance structures.

These variations reflect the ways in which democracy adapts to local political cultures and societal needs. Moreover, the shift in democratic models over time is also influenced by global trends, such as globalization, economic development, and technological advancements, which impact how democratic governance is structured and practiced.

Thus, while the concept of democracy is broadly accepted, its execution is far from uniform and should be understood within the specific political, economic, and social circumstances of each country.

However, Democracy, as a formula of governance, stands as an inspiration of hope for societies striving for fairness, justice, and progress. The advantages of democratic systems are profound and complex, encompassing political stability, protection of human rights, and enhanced government accountability.

Democracy carries Political stability is a foundation of successful governance,

the interests of the rulers). Aristotle said “The rule of the many is preferable to the rule of the few, provided that the many are virtuous and competent.”⁽¹⁾

Aristotle acknowledges that democracy can lead to mob rule if the masses lack virtue and wisdom. He stresses the importance of education and moral character in a democratic society.

In this piece of work we will answer several problematics, such as:

- What are the advantages and disadvantages of democracy?
- How do the differing historical, social, and economic contexts of Lebanon and Switzerland mold the effectiveness and stability of their democratic systems, and what lessons can be drawn from their separate experiences?
- To what extent does the principle that 'democracy is not a one-size-fits-all solution' hold factual when examining the opposing political landscapes of Lebanon and Switzerland, and what factors contribute to the varying effectiveness of democratic systems in these two nations?

Advantages of Democracy

The notion of democracy first emerged in ancient Athens around the 5th century BCE. Athenian democracy was a direct form of governance where citizens partaken in decision-making personally. This system laid the foundation for later democratic thought, emphasizing the importance of civic participation and equality. Unless you were a commoner or a woman.

While Athens provided the initial structure, the Roman Republic (509-27 BCE) introduced key elements such as representative governance and legal frameworks. The Roman model influenced later political theorists, highlighting the separation of powers and the role of elected senates.

The Enlightenment period of the 17th and 18th centuries saw significant philosophical developments concerning democracy. Thinkers like John Locke, Jean-Jacques Rousseau, and Montesquieu deliberated ideas of social contracts, popular sovereignty, and checks and balances. These concepts were contributory in determining modern democratic ideals.

The American Revolution (1775-1783) and the French Revolution (1789) manifest critical turning points in the history of democracy. The U.S. Constitution introduced a representative democracy with a structure of checks and balances, while the French Revolution highlighted the principles of liberty, equality, and

(1) Aristotle, *Politics*, trans. Benjamin Jowett (Oxford: Clarendon Press, 1885)

Advantages and Disadvantages of Democracy: A Comparative Analysis of Lebanon and Switzerland

Wassim AL KAAKOUR - Ph. D student - Lebanese University Doctoral school of Law, Political , Administrative and Economic Sciences.

The concept of public choice indicates that the status quo for individuals living in a democracy relies on the structure of the given political establishments and the composition of the population. The constitutional framework, which sets the rulebooks of the political game, is important with respect to endorsing aggregate benefit and limiting losses. An examination of the economic performance of governments, consequently, is not only a relevant matter, but it also provides important information, contributing to the understanding of the influence of different constitutionally defined democratic government systems.

Regrettably, scarce studies offer empirical evaluations of the democratic systems, and none have compared two diverse countries: one with only limited democracy, transparent institutions, and limited central political authority, and one with strong democracy and highly developed political foundations, mass democracy, and a powerful central government. The contributions that discover the connection between democracy and economic freedom or test hypotheses linking different political institutions and nation's well-being are rare in the literature.

Democracy is the solution for all countries, that what they always teach us in school on the media and every platform we attend. Moreover, the book of Fukuyama "end of history" also argues that democracies don't fight democracies. But in fact, they do. What also writers do give a blind eye for is that there are various shapes of democracies and other variables that affect the outcomes of any political system.

"Democracy: a system of government in which the citizens exercise power directly or elect representatives from among themselves to make decisions."⁽¹⁾

Nonetheless Aristotle, which is considered from the era of the founding fathers of democracy, views democracy as one of the systems of government, which can have both positive and negative implications. He discusses the concept of democracy in his work *Politics*, where he distinguishes between "true" forms of government (which serve the common good) and "deviant" forms (which serve

(1) Merriam-Webster. "Democracy." In *Merriam-Webster.com Dictionary*. Accessed November 2, 2024